

رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية



نوبة قلبية

وقصص أخرى

(قصص قصيرة)



. سمير عبدالحميد إبراهيم

العبيكان
Obekan

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

إبراهيم، سمير عبدالحميد

نوبة قلبية./ سمير عبدالحميد إبراهيم.- الرياض، ١٤٣٠هـ

٢١٤ ص؛ ١٤ × ١٢سم

ردمك: ٧-٧٤٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- القصص القصيرة الأردية

أ- العنوان

ديوي ٨٩١,٣٤٩ ١٤٣٠/ ٣٤١١

رقم الإيداع: ٣٤١١ /١٤٣٠

ردمك: ٧-٧٤٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

الناشر العبيكان Obeikan

الرياض – شارع العليا العام – جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض – العليا – تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تقديم

هذه مجموعة من القصص القصيــرة اُختِيرت بدقة وعناية؛ حتى تمثل اتجاهات القصة القصيرة المعاصرة في الأدب الأردي، والعناوين التـي وردت هنا ترجمة دقيقة لعناويــن القصص الأردية، وينطبق هذا أيضــاً علــى ترجمة محتوى كل قصــة، فقد توخيت الدقــة والأمانة ولم تحــذف عبارة وردت في الأصــل، كما لم أعمد إلى أي زيادة، وإن حدث – وهوأمر نادر– وضعت الكلمة أوالعبارة بين قوسين.

تضمنــت هذه المجموعــة القصصية قصصًا قصيــرة لأدباء لهم مكانتهــم فــي الأدب الأردي مثــل: أحمد نديــم قاسمــي، وممتاز مفتي وبانوقدسيــة وأي حميد وشبــان أدباء احتلوا أيضــاً مكانتهم في الأدب الأردي، وبخاصة في فن القصة القصيرة ومنهم: عقيلة كاظمي، زكية بلكرامــي، ستار طاهر، ظفر إقبال، غافر شهزاد، شمس نعمان، سلمى ياسمين، محمد سعيد شيخ ونجم الحسن رضوي.

وقــد اُختِيرت هذه المجموعــة القصصية بعد قــراءة متأنية لأكثر مــن خمسين قصــة قصيرة نشرت فــي مجلات أدبيــة متفرقة وضمن مجموعــات قصصيــة لأدبــاء من شبــه القــارة الهنديــة الباكستانية،

وهذه القصص تمثل فــي معظمها الاتجاه الواقعي، وهي قصص تتسم بالصــدق في نقل صورة المجتمع في شبــه القارة وفيها عمق، فالأفكار جديدة ونبيلة واللغة معبرة وشخصياتها مرسومة بدقة.

وفــي معظــم القصــص المختــارة هنا نــرى الأحــداث ذات طابع اجتماعــي، دينــي، سياســي وأحيانًا فلسفــي وأخلاقــي، فالأدباء هنا يرصــدون الواقــع كيفما تسنى لهــم، ويختارون من الأحــداث ما يخدم الغرض.. وسوف يطالع القارئ قصصًا تعالج أحداثًا مختلفة في أزمنة مختلفة، وفي أمكنة مختلفة.

أمــا لغة هــذه القصص في مجموعها، فهي فــي الحقيقة لغة الحياة اليومية، ولغة التفاهم المستخدمة بين الناس كل يوم، وقد أشار إلى هذا بوضــوح الأديب ممتاز مفتــي، إلا أن بعض القصــص تضمنت لغة سمت قليــلاً عــن لغة الحديــث التي أشار إليهــا ممتاز مفتــي، ولا يعني هذا أن اللغــة التي أشار إليها ممتاز مفتي لغة مبتذلة.. لا.. إنه يعني التعبير عن المشاعر بالمصطلح الذي يجد صداه لدى الطرف الآخر، فيؤثر فيه.

ولا بد مــن الإشارة هنا إلى أن الترجمــة العربية للقصص الأردية حافظــت بقــدر الإمكان علــى روح النــص الأصلي وروح العبــارة وروح الجملــة، وما تتركــه الألفاظ من ظلال على المعانــي، وقد تمّ هذا دون الخروج على النص الأصلي.

وهــذه القصــص القصيرة التــي نقــدم ترجمتها للقــارئ العربي، لــم يقتصــر مؤلفوها على تصوير المجتمع فقط، بــل تغلغلوا في النفس

البشرية، وأوضحوا أثر الأحداث في الأفراد والجماعات.. ولما كانت القصة تحتاج إلى الحوار في بعض أجزائها، فقد اهتم بهذا أدباء الأردية الذين كتبوا القصة القصيرة، وضمن هذه المجموعة نلاحظ أجزاء تضمنت حوارًا بين الشخصيات، والحوار له أهميته كما هومعروف في السمو بفن القصة القصيرة؛ لأنه يبين الشخصية، ويضيف حيوية إلى الحدث، ثم هوعامل أساسي ومهم يبين كيف تفكر الشخصية من ناحية، ثم يوضح نوعيتها التي تظهر طريقة التفكير ونوعية الحوار من ناحية أخرى، ويمكن أن نلاحظ هذا بوضوح في قصة «الماضي والمستقبل» للأديب ممتاز مفتي، وكذلك في قصة «الابن والابنة والله» للأديب شمس نعمان و«كرب» للأديبة سلمى ياسمين و«كشف» للأديبة بانوقدسية.

وقد اُختِيرت قصص هذه المجموعة؛ ليتم التعامل مع كل منها على حدة بوصفه وحدة فنية داخل إطار فكرة المعنى والحبكة والأسلوب والسياق والتراكيب اللغوية والمفردات ذات الدلالة وثقافة المتلقي، والأمر الأخير هو الأهم؛ لأن المتلقي هنا هوالقارئ العربي، وما يتلقاه مترجم عن لغة أخرى لقصص وضعت لقارئ آخر هوالمتلقي لها وبيئته مختلفة إلا أن العامل المشترك هنا هوالإسلام وثقافته وحضارته والبيئة التي يفرضها، ومن هنا كان التنازع أحيانًا داخل هذه القصص بين البيئة التي تمثل مثالية الكاتب، وهي البيئة الإسلامية، والبيئة التي تؤثر لا شعوريًّا في شخصيات القصص، وهي بيئة شبه القارة الهندية بموروثها القديم، هذا بالإضافة إلى أن المتلقي في شبه القارة يعرف تاريخه، ويعرف تقاليد مجتمعه، وأحيانًا يجد المترجم نفسه مضطرًا إلى شرح بعض النقاط غير الواضحة في أثناء الترجمة مما يقلل من

ثـم الناحية الفنية للقصــة المترجمة، ولهذا حرصــت كل الحرص في اختيــاري لهذه المجموعة القصصيــة أن تكون من النوع الذي لا يحتاج إلى شرح في أثناء الترجمة.

أما مــن ناحية اللغة، فالترجمة هنا تنقـل المعنى إلى العربية مع المحافظــة على ما يسمــى فنيًّا بالتكنيك الموجود فــي القصة بلغتها الأصليــة أي الأرديــة، وقـد حاولت قدر جهـدي الحفــاظ على جمال الأسلوب والسياق ونقل التراكيب الأردية إلى العربية، وكذا الصور.

وأهــم ما تجب الإشــارة إليه هنا هوأن أدبــاء الأردية في معظمهم يعالجون قضايا تهمّ المجتمع الإسلامي، واتجاههم في أسلوب المعالجة اتجــاه إسلامي خالص، وهذا باختصار يعبــر عن روح الأدب الهادف، وبعبــارة أخرى يعبر عن مفهوم «الأدب الإسلامــي».. ويتضح هذا جليًّا حين نستعرض قصص هــذه المجموعة التي تمثل بحق الاتجاه الغالب في فن القصة القصيرة في الأدب الأردي.

- القصة الأولى في هذه المجموعــة «الصدمة الثانية» للأديبة ذكية بلكرامــي تتناول قضية تتعلق بالإنسان المسلم الذي يصيبه الغرور والكبر ويكفر -والعياذ بــالله- بنعم الله -عز وجل- وتضع الكاتبة لقصتها نهاية هي عبرة لكل متكبر مغرور جاحد بأنعم ربه، وترسم الكاتبــة بطريقــة ضمنيــة صورة واضحــة لما يجــب أن يكون عليه المجتمع المسلم في علاقاته الفردية والجماعية.

- وقصــة الأديــب ظفــر حبيب «أيــن أذهب» تتنــاول موضــوع الفتنة الطائفيــة، أومــا يطلق عليــه بالأردية «فســادات» في شبــه القارة

الهندية ويرسم الأديب صورة واقعية لوضع المسلمين في الهند، واستعمل الرمز، فكشف عن الحقيقة بوضوح، ورسم صورة وضح من خلالها تسامح المسلمين مع غيرهم من جيرانهم ومدى ما يتعرضون له من بطش وقهر، ومدى ما تتعرض له ملامح الحضارة الإسلامية في الهند من هدم وتخريب على أيدي غير المسلمين، يعضدهم في هذا السلطات الرسمية، ويخاطب الأديب ضمير العالم على لسان بطل قصته قائلاً: أين أذهب؟

- قصة «شعاع الشمس الأخير» للأديب غافر شهزاد قصة التقطها الأديب من أحد شوارع مدينة لاهور الباكستانية؛ ليبين للقارئ الانتقام الإلهي، فبطل القصة سائق «تاكسي» يعود بالدواء إلى بيته فيجد فلذة كبده، ابنه الوحيد قد فارق الحياة.. ومن بعيد تناهى إلى سمعه صوت الأذان.. وكان سائق التاكسي قد تأخر في إيصال طفلة مريضة إلى المستشفى، وراح يسير بالسيارة مسافة أطول؛ لينال أجرًا أكبر، مما نتج عنه وفاة الطفلة؛ لأنها لن تصل في الوقت المناسب، وقد أبدع الكاتب تصوير شخصية بطل قصته الذي وصل إلى بيته مع آخر شعاع لشمس الغروب..

- قصة «شوكة» لعقيلة كاظمي تناقش ما يدور من صراع داخل الأسرة الواحدة، فالثروة حطت فجأة فغيرت من شخصية الإنسان.. حتى أصبح يتمادى هذا الإنسان في بطشه إلى أن يأتي اليوم الذي ينال فيه جزاء غروره.. وهكذا أصيبت «سعدية» بالجنون.. ابنها وزوجته أخواته وإخوتها.. حتى بناتها قلّ أن يذكروها، وقلّ أن يزوروها حيث تقضي أيامها الأخيرة في مستشفى الأمراض العقلية.

- قصة «جني القمقم» للأديب أ.س حميد قصة فيها دعابة وسخرية، فيهـا رمز وإسقـاط والهدف الأساسي الذي يريـد الكاتب إيصاله إلى الذهن هو بيان ما يقوم به بعض الناس من خداع الآخرين عن طريـق إقامة المزارات والقباب واستجـلاب النذور، وما إلى ذلك من تقديس القبور.

- قصة الأديب ظفر إقبال «نوبة قلبية» تعالج قضية الغربة والمغتربين وما ينتج عنها من مشكلات أسرية بين الزوج وزوجه.. فالزوج مغترب يعانـي الوحدة والشقاء والزوجة تعاني وحدها داخل بيت أسرته، ولا تجـد أي فرصة للانفـراد به حتى خلال إجازتـه القصيرة كل عام، فتقـرر أن تشرح لـه معاناتها، وحين يقرأ رسالتهـا يدرك الحقيقة، ويصعب عليه تحمل مرارتها، فيصاب لأول مرة بنوبة قلبية.

- قصـة «ساحة العرض» للأديب نجـم الحسن رضوي تعالج موضوع الغربة أيضاً، لكن بأسلوب آخر وفي اتجاه آخر، فالمغترب هنا صبي صغير في ميدان سباق الهجن يصاب ويحمل إلى المستشفى، وأبوه برغـم هذا يود أن يسلم الأخ الأصغر إلـى حلبة السباق مرة أخرى فيعتصـر الصبي الألـم وهومشدود داخل الأربطـة والأنابيب على سريـر المستشفـى، وقد تراءت لـه المشاهد المحيطة بـه وكأنها ساحة لعرض المأساة التي لا يريد لأخيه الأصغر الوقوع فيها.

- قصة «كرب» تعالج قضية المغتربين المسلمين، وبخاصة في أوروبا، فهؤلاء يذوبون في المجتمعـات الغربية فينسون دينهم وعقيدتهم، والقصـة تصيـب القارئ فعـلاً بالكـرب، وقد نجحـت الكاتبة في إيصال رسالتها إلى القراء بوضوح.

- وللمغتربيـن حكايـة أخرى قدمهـا شمس نعمان فـي قصته «الابن والابنة والله»، وهي حكاية يمكن أن نجدها في باكستان وفي مصر أوالسـودان أوفي الشـام أوفي غيرهـا والأديب يريـد أن يقول: إن حب الثـروة إذا تغلغل بداخل الإنسان، فسيغلب على صلات الدم.. صلات الرحم، وتكون المأساة.

- وإلى غربة من نوع آخـر، غربة داخلية، فالمسلمون في وطنهم كشمير يعيشـون كالغربـاء، لكنهـم لا يخضعـون ولا يخنعون.. بـل يجاهدون ويناضلـون.. وثمن الحرية في كشمير ثمن باهظ، والحكاية على لسان فتاة من كشمير جعلتها الأديبة عقيلة كاظمي تحكيها لأبيها، وقد نشرت القصة في أبريل من عام ١٩٩٤م خلال تعرض أهالي كشمير لهجمات الجنـود الهنادكـة الشرسـة، وسيطرتهم علـى دور العبـادة وهدمهم وحرقهم لبيوت المسلمين واغتصابهم للنساء وقتلهم للشبان.

- قصـة «تفاهـم» للأديـب محمد سعيد شيـخ تصور حيـاة المجتمع المسلـم فـي شبه القـارة الهندية والقلـق الذي يصيب أفـراده إذا مـا تعرضوا لمـا يمس سمعتهـم بوصفهـم مسلمين شرفـاء، حتى لـوكان الأمر مجـرد إشاعة.. تـرى كيف تتم معالجة هـذه القضية إذا مـا حدثت..؟! هذا مـا كتبه لنا الأديب وهويرسـم صورة رائعة لشخصياتـه؛ لتعبر بصدق عما يعاني منه المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية.

- وموضوع قصة «الماضي والمستقبل» يتشابه إلى حد ما مع موضوع القصـة السابقة، فقد عبر الأديب ممتاز مفتي عن روح الشباب في

المجتمع الإسلامي، وكيف يصر هؤلاء الشباب على أن يمضوا على طريق الإسلام بوعي على الدرب الصحيح.

- قصة الأديبة الكبيرة بانوقدسية «كشف» تناولت الحياة الاجتماعية داخل حارة صغيرة، وهي تتعاطف مع شخصياتها، وتود أن تساعدها لاتخاذ قراراتها بنفسها، وذلك عن طريق كشف الحقيقة بوضوح، وعن طريق الكشف عن المشاعر الصادقة.

- أما القصة الأخيرة هنا وهي «وخز» للأديب الشهير أحمد نديم قاسمي، فهي تعالج موضوع الأضرحة والنذور، وما يروج له في منطقة ريف البنجاب من خرافات وخزعبلات وبدع تتنافى مع تعاليم الإسلام، وقد عالج الأديب هذه الفكرة بأسلوب رائع ممتع.

كانت هذه نبذة موجزة عن هذه المجموعة القصصية التي تقدم للطبع أول مرة من خلال رابطة الأدب الإسلامي العالمية.. وهي كما يلاحظ في مجموعها تعبر بكل وضوح عن الاتجاه الإسلامي في واحد من أهم أنماط الأدب الأردي، وهو فن القصة القصيرة.

والله أدعو أن أكون قد وفقت في اختيار هذه النماذج، وفي ترجمتها والتقديم لها.. وأدعوالله أن يوفقني لاختيار المزيد من النماذج الأدبية الأخرى، وترجمتها إلى العربية.

د. سمير عبد الحميد إبراهيم

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض – غرة رجب – ١٤١٤هـ

القصة القصيرة في الأدب الأردي

بقلم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم

على الرغم من أن بعضهم يؤرخ لبداية فن القصة القصيرة في الأدب الأردي مع بداية القرن العشرين الميلادي، إلا أن إرهاصات هذا الفن ظهرت في الأدب الأردي منذ مدة سابقة، لكن المحاولات الأولى كانت محاولات ناقصة.

ومن الجدير بالذكر أن المرأة قد شاركت الرجل منذ البداية كتابة فن القصة، وكان سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية قد دعا إلى ضرورة إعطاء المرأة قسطاً من التعليم، يتناسب مع إمكانياتها، ولا يتعارض مع ظروفها بوصفها امرأة مسلمة، وظهرت عدة مجلات مثل «تهذيب نسوان» و«شريف بي بي» مما أوجد فرصة لدى بعض النساء الموهوبات لكتابة القصص والروايات، ومن هؤلاء: رشيدة النساء بيغم التي كتبت رواية بعنوان «إصلاح النساء» وذلك سنة ١٨٨١م تناولت فيها موضوع العادات والتقاليد التي تسيطر على النساء في الهند، وما تتعرض له الأسر العريقة من دمار وفساد وأسباب ذلك. وتعد رشيدة النساء أول أديبة كتبت الرواية الأردية.

كان للمجلات الأدبية الأردية التي ظهرت في الحقبة اللاحقة لحركة سيـد أحمد خان أثرهـا الإيجابي في تطور القصـة الأردية، فقد بدأت نمـاذج القصة الأردية تنشر في مجلة «مخزن» و«زمانه» وغيرها، وكان مـن مشاهير الأدباء الذين كتبوا فـي المجلات الأدبية: راشد الخيري، وسجاد حيدر يلدرم، وسلطان حيدر جوش، ومنشي بريم تشند. وهؤلاء جميعًا كتبوا في فن القصة القصيرة، وقام سجاد حيدر يلدرم بترجمة القصص القصيرة من اللغة التركية إلى الأردية، واستفاد منها، إلا أنه أبدع بعد ذلك في كتابة فن القصة القصيرة الأردية.

تطور فن القصة القصيرة في العقدين الأولين من القرن العشرين الميلادي بسرعة وشهدت هذه الحقبة يقظة جديدة في إحساس أهالي شبـه القـارة، بالإضافة إلى الإحساس بالحزن نتيجـة لضياع الحرية وسيطـرة الإنجليـز علـى مقاليـد الحكم فـي البلاد، وظهـرت عاطفة جياشـة في قلـوب الجميع مـن أجل الحصـول على الحريـة، وظهرت حـركات اليقظة السياسية في عموم البـلاد، وبخاصة بين المسلمين.. وقـام بعض الأدباء فـي قصصهم بالإبداع الفنـي، بالإضافة إلى وضع هـدف لرواياتهـم وقصصهـم. فها هـو راشـد الخيـري يتمنى خلال قصصـه أن يتخلص المجتمـع المسلم من العـادات والتقاليد السيئة التـي سيطـرت على النسـاء، وهي تقاليد وعـادات كانـت تتعارض مع تعاليـم الإسـلام.. ونلاحظ هذا فـي قصصه: فرشته بيـوي (الزوجة الملاك) ومامتا (حنان الأم) وغيرها من روايات عبر فيها عن مأساة المـرأة فـي المجتمع نتيجة سيطـرة العادات والتقاليـد المستمدة من عادات الهنادكة.. أما يلدرم فـكان صاحب اتجاه رومانسي، فغلب هذا

علـى أدبه فـي وقت اتجه فيه بريـم تشند (وهوأديب غيـر مسلم) إلى الواقعيــة، لكنه أساء فهم المجتمع المسلم، ولم يتعمق فيه وأخذ معظم أفكاره من بيئته الهندوكية ومما كان يسمعه من حكايات عن المسلمين تحكى بين الهنـادكة.

مضــى علــى طريق الاتجــاه الرومنســي أدباء مثل نيــاز فتحبوري، ومجنــون كوركه بوري، ول. أحمــد، وحجاب امتياز علــي، وقاضي عبد الغفور، ومن بعدهم الأديــب الشهير ميرزا أديب. هذا، بينما اتجه إلى الأدب الواقعــي أدبــاء من أمثــال علي عباس حسينــي، وأعظم كريوي، وأختــر أورينــوي، وسهيل عظيــم أبادي. وبينمــا اتجه أدبــاء إلى كتابة القصــة للمتعة فقط دون وضــع هدف معين أمامهــم، ويمكن تصنيف هؤلاء في خانة أصحاب مذهب «الفن للفن»، ومن هؤلاء: عاشق حسين بتالــوي، وسيد عابــد علي عابد، وفياض محمــود خليقي دهلوي، وظفر واسطي، وآي رام نكري، ورئيس أحمد جعفري، وأبومحمد إمام الدين، وايم سليــم، وعابدي وغيرهم..وتطور فن القصــة القصيرة وانتشرت وزاد عدد قرائها..

وعــودة إلــى أوائـل القــرن العشرين.. فقــد شهدت هــذه الحقبة نهضــة نسائية، وبدأت حركة تهدف إلى ترك العادات البالية، واشترك مــع راشد الخيري شيــخ عبد القادر وشيخ محمد إكــرام، وصدرت من مدينة «دهلــي» سنة ١٩٠٨م مجلة «عصمــت»، وكان هدف شيخ محمد إكــرام وراشد الخيــري تعليم النســاء، والحفاظ علــى حقوقهن داخل المجتمع، ومن العجيب أن يقوم راشد الخيري بكتابة عدة مقالات وبعض القصــص القصيرة بأسماء وهمية لبعض النساء، مما أدى بدوره إلى

تشجيع المرأة على الدخول في ميدان كتابة القصة القصيرة، فظهرت أسمــاء فعلية لأديبات جنبًا إلى جنب مع أسماء الأدباء المشهورين على صفحات مجلة «عصمت».

ومــن الضروري الإشارة إلى أن فــن القصة القصيرة قد تأخر عن الروايــة، فقد ظهــر هذا الفن في أواخــر القرن العشريــن، كما ذكرنا في مجلات مثــل «مخزن» و«زمانه» على يد سجــاد حيدر يلدرم وراشد الخيــري وسلطان حيدر جوش وغيرهم ممن يعــدون رواد هذا النمط الأدبــي، وفي هذه المدة شاركت المــرأة في هذا الفن، وكانت الكتابات النسائيــة ذات طابــع إصلاحــي تبليغي. وبــدأت الأديبــات يتخذن من القصــة وسيلــة لتحقيق أهــداف إصلاحية، ومن بيــن الأديبات اللاتي كتبــن في هذا الفن: محمدي بيغم، وعباســي بيغم، ونذر سجاد حيدر، وطيبة بيغم، وبيغم شاه نواز، وصفري همايون مرزا. واتجهن في الغالب إلى كتابة الرواية بدلاً مــن القصة القصيرة، وركزن على تعليم المرأة وحقوق المرأة.

لم يكن الأديب (مولانا) راشد الخيري هوالوحيد الذي كتب بأسماء نسائية مستعارة ليشجع المرأة على دخول ميدان الأدب، فقد كتب فضل حــق قريشي قصصًا قصيرة بتوقيع طاهــرة بيغم شيرازي، وكتب نياز فتحبوري قصصًا باســم مريم زماني بيغم، وكان في قصص الأديبين روح الدعابة والشقــاوة.. إلا أن الأديبات:عباسي بيغم، وخاتون إكرام، وأمة الوحي، وراحت آرا بيغم، وشائسته أختر سهروري أخذن مكانتهن في مصــاف الأدباء، وكانت أفكارهن في قصصهــن أفكارًا نيرة، فقد انتميــن إلى أسرٍ فاضلة تهتم بالعلم والعلمــاء والأدب والأدباء، وكانت

لأسرهــن مكانة عالية في المجتمع، وقد اتخذن قضايا المرأة موضوعًا وأبدعــن قصصًا هادفة، وكانت خاتون أكرم من أشهر الأديبات اللاتي كتبن القصة القصيرة في مجلة «عصمت»، وكان ذلك بين سنة ١٩١٨م وسنة ١٩٣٤م، ومن أهم قصصها «انقلاب زمانه» ثورة العصر، و«بيكر وفا» مجسم الوفاء، و«بجهري بيتي» أي الابنة التي فارقتني. ونالت هذه الأديبــة شهرة واسعة، ونشرت مجموعة قصصها تحت عنوان «كلستان خاتــون»، وكانت خاتون أكرم أول أديبــة تنال شرف الأديبة صاحبة أول كتاب ينشر ويتضمن مجموعة قصصها القصيرة.

وصــدرت عدة مجلات فيما بعد.. من لكهنو مجلة نكار، ومن لاهور مجلــة همايــون ونيرنك خيال وأدبــي دنيا، ومن دهلــي ساقي وغيرها، وكان لهذه المجلات دور عظيم في تطور القصة القصيرة..

ثم كان عصر الترجمة..

زادت حركــة ترجمــة القصــص القصيرة مــن اللغــات الأجنبية إلى الأرديــة، وكان لهذه الحركة أثرها فــي اطلاع كتاب القصة القصيرة على المستوى الفني الذي وصلت إليه القصة على المستوى العالمي، كما عرضت نمــاذج مختلفة مــن القصص. وممن قــادوا حركة الترجمــة وتزعموها: منصــور أحمد، حامد علي خان، بروفسور محمــد مجيب، خواجه منظور حسين، ظفر علي خــان، نياز فتحبوري، جليل أحمد قدوائي، وعبد القادر ســروري. ومن الجيل الجديد ظفر قريشي، وشاهد أحمد دهلوي، وصادق الخيري، وعطــاء الله كليم، وفضل حق قريشي، وسعادت حسن منتو، وقد أسهم هؤلاء أيضاً في كتابة القصة الأردية القصيرة.

وتعـد سنــة ١٩٣٦م منعطفًا مهمًــا في تاريخ القصــة القصيرة في الأدب الأردي، فقد تأسست جمعية المؤلفين التقدميين، وشكل أصحابها اتجاهًـا أدبيًـا أومدرسة أدبيــة عرفت باسم «ترقي بسنــد تحريك» أي حركــة الأدباء التقدميين، وأصدر هــؤلاء مجموعة من القصص كانت بالنسبــة للقــراء غير مقبولــة، نظرًا لمــا فيها من فحش وهجوم على الحضارة الهندوكية من جهة والحضارة الإسلامية من جهة، مما جعل الحكومة الهندية تلجأ إلى مصادرة هذه المجموعة القصصية؛ حفاظاً على الأمن العام، ولهذا نالت هذه المجموعة القصصية أهمية تاريخية برغم أنها كانت في معظمها قصصًا ضعيفة من الناحية الفنية.

يــرى نقــاد الأدب الأردي أن الحقبة التي أعقبت عــام ١٩٣٦م هي الحقبة الذهبية للقصة القصيرة في الأدب الأردي؛ نظرًا لتأثير حركة الأدبــاء التقدميــين، وقد ظهــرت جماعة أخــرى تسمى «حلقــة أرباب ذوق»، وظهرت جماعة ثالثة روجت لفكرة الأدب من أجل المتعة أوالفن للفن، ومن هؤلاء عظيم بك تشغتائي، وشوكت تهانوي، وقد نالوا شهرة عظيمــة. ومن الأدبــاء الذين اتجهوا لفن الدعابــة والمزاح فرحت اللّٰه بيك ورشيد أحمد صديقي وشفيق الرحمن وبطرس بخاري.

كان اتجاه أدباء الحركة التقدمية يرمي إلى تطوير القصة على أسس واقعيــة، ونذكر من بيــن الأدباء النشطيــن حيات اللّٰه أنصــاري، وعلي ســردار جعفري، واحتشام حسين، وأختر حسيــن رائبوري، وقد تضمن أدبهم الصراع الطبقي في المجتمع كأساس. والحقيقة أن حركة الأدباء التقدمييــن قد نهلت من منبــع الأدب الروسي إلا أنها اتجهت في مرحلة لاحقــة إلى الأدباء الإنجليز، وخاصــة عام ١٩٣٥م وما بعدها كما تأثروا من ناحية أخرى بكتاب الروايات الجنسية، حتى في الأدب الفرنسي.

وإذا وضعنا في أذهاننا الاعتبارات الفنية، فإن حيات الله أنصاري لـه مكانة من حيث الإبـداع القصصـي، ومن روائعه «آخـري كوشش» المحاولة الأخيرة، و«أنهوكي مصيبـت» المصيبة الفريدة، و«مان بيتا» الأم والابن، وغيرها.

أمـا سعـادت حسـن منتو فقـد تربى في حضـن القصــة الروسية والفرنسيــة، ثـم اتجه بعـد ترجمته للعديـد من القصص إلـى الإبداع القصصي، فكتب قصصًا رائعــة في موضوعات مختلفة لم يكتب فيها من قبل فــي فن القصة الأرديــة القصيرة.. وهو عــادة يصور العلاقة بيــن المرأة والرجل، وقد يجـذب إليه القارئ، فيستغـرق في القراءة، ثـم ينتهي إلى الحيرة لا أكثر ويظل حائـرًا.. وقد كتب عدة قصص لم يتقبلهـا المجتمع، بـل أدت به إلى قاعات المحاكـم، إلا أن القضاء برّأ ساحته من «تهمة الفحش».

ومـن مشاهيـر الأدباء الذيـن تربوا فـي أحضان القصــة الغربية القصيرة نذكـر الأديب غلام عباس الذي كتب قصــة بعنوان «الحمرا كافسانــة» أي حكاية الحمراء، ونالت شهرة واسعة، ومن القصص التي تعبر عن اتجاهه الأدبي نذكر: «حمام مين» في الحمام، و«ناك كاتنـوالا» أي جادع الأنف، و«نواب صاحبه كا بنكله» أي فيلا الهانم.

ومن الأدبــاء التقدميين نذكر خواجه أحمد عباس الذي كان ينشر الشيوعيــة من خــلال قصصــه، فكانت قصصــه كـ «المانيفستو» أي كالمنشور.

ومن الأدباء المعتدلين الذين نالوا الشهرة في عالم القصة القصيرة نذكر «ممتاز مفتي» وهوأديب لا يزال على قيد الحياة يهتم بالتحليل النفسي للإنسان، وبداخل الأديب شخصية سائح لا تكل من الحركة والمشاهدة والتدوين. أما غلام الثقلين، وجميلة هاشمي، وصادق حسين، وأحمد نديم قاسمي، فقد صوروا في قصصهم الريف في شبه القارة الهندية إلا أن لكل منهم صورة تصدر من زاوية مختلفة، ونشير هنا إلى أن غلام الثقلين نقوي عبر في قصصه الرائعة عن القيم الإنسانية من وجهة نظر رومانسية.

ولا يفوتنا أن نذكر أنه في تلك المدة وفي باكستان الشرقية سابقًا (بنغلاديش الآن) ظهر أدباء كتبوا بالأردية من أمثال أحمد زين الدين، وأم عمارة، وغلام محمد وأي خيام، وأحمد سعدي، وعلي حيدر ملك، وأيوب جوهر وغيرهم، فقدموا من خلال قصصهم القصيرة بالأردية المجتمع وقضاياه في منطقة البنغال.

وكما كان لعصر الترجمة أثره في الأدباء من الرجال، فقد كان له أيضاً أثره على الأديبات من النساء؛ نظرا لأن الاتجاه الرومانسي في القصة جذب إليه المرأة، واشتهر من أديبات تلك المدة حجاب إسماعيل التي عرفت فيما بعد باسم حجاب امتياز علي، ولا تزال تكتب قصصها التي تتميز بالإبداع والرومانسية، والأديبة الثانية مسز عبدالقادر التي أعطت القصة الأردية مكانة وحددت لها اتجاهات واضحة، ويشير النقاد عادة إلى تأثرها بروايات «إدجار ألن بو» الرومانسية، وعنصر الرعب والخوف ظاهر في قصصها، ومن عناوينها، مثلاً «لاشون كا شهر» مدينة الجثث، و«صداء جرس» صلصلة

الجرس، و«راهبة» أي الراهبة، وقد برعت الأديبة في استخلاص نتائج ميتافيزيقيــة رومانسية من الأحداث الواقعيــة، وأبدعت هذا الفن في الأردية.

وكان لكتابـات رشيـد جهـان أثرها فــي قصص وروايـات أديبات الأردية: عصمــت تشغتائي، وهاجرة مسرور، وخديجة مستور، وواجدة تبسم، وقد اشتهرت من بين هؤلاء الأديبة عصمت تشغتائي التي تناولت فــي أدبها موضوع الجنس؛ لتعبر عما يدور في المجتمع، وقد حملت ما يدور داخل الحجب إلى خارج الحجب وعرضته بلذة فكرية وجدت قبولاً أحيانًــا ورفضًــا أحيانًا، فالناقد عزيز أحمد يـرى أن عصمت تشغتائي أديبة ذات اتجاهات مريضة، ويعود فيقول: لكن أحدًا لا يمكنه أن ينكر قدرتها على البيان؟.

أمــا خديجة مســرور، وهاجـرة مسرور فقــد نحتا منحــى الأدباء التقدمييــن، وحاولتــا رؤيــة الحياة من خــلال التعبير عــن إحساسات المرأة الرقيقة وعواطفها، ووصلتا إلى درجة عالية من التعبير الفني من خــلال عرض الصراع بين الخيــر والشر لإخراج صورة مؤثرة لعلاقات الصداقــة الإنسانيــة.. وعبرت الكاتبة صديقة بيغـم في قصصها عن ملامــح الحياة الاجتماعية للأسرة المسلمــة، بينما كتبت زينب سجاد قصصًــا رائعة صورت فيها بيئة إمــارة حيدر آباد الدكن بكل ملامحها الاجتماعيــة والسياسيــة، وعن طريق القصة قامــت بتشريح المجتمع، ونجحت في ذلك إلى حد كبير.

ويــرى النقاد أن عصمــت تشغتائي هي الأديبــة التي احتلت مكانة

ثابتة بين الأدباء التقدميين، بينما كانت بقية الأديبات كاليراعات يحلقن.. يبرقن.. ثم ينتهين.

واتجه الأدباء قبل تقسيم شبه القارة الهندية إلى تصوير المجتمع بكل تعقيداته وبكل مشكلاته.

ومن الأدباء الذين شاعت شهرتهم قبل التقسيم نذكر شوكت صديقي، وقرة العين حيدر، وخديجة مسرور، وهاجرة مسرور، وقدرت الله شهاب، وبروين سرور، وآي حميد، وسيد أنور، وممتاز شيرين، ومحمد أحسن فاروقي، وقاضي عبد الستار، وتسنيم سليم تشهتاري.

بعد التقسيم برز أدباء إلى الصف الأول منهم إشفاق أحمد، وانتظار حسين، وغلام الثقلين نقوي، وبانوقدسية، وإلطاف فاطمة، ونثار فاطمة، وخليل أحمد، وغيرهم.. اتجه إشفاق أحمد إلى تصوير الواقعة الصغيرة في قصة؛ ليركز بها على هدف معين، وقد نالت قصته «كدريا» أي الراعي شهرة كبيرة، ومن قصصه «توبة» أي التوبة، و«تلاش» أي البحث، و«أمي»، و«شب خون» أي الغارة ليلاً.

أما انتظار حسين فقد ركز على الماضي؛ ليصل إلى الحاضر، ثم يعود مرة أخرى إلى الماضي، وهويستخدم الرمز وأسلوب الرواية الأسطورية. وقد وفق من الناحية الفنية في العرض القصصي.

ومن الأديبات نذكر فرخندة لودهي التي ركزت على الريف، فهي من الريف وأقدامها متصلة بالأرض والفلاحة.. وقد قدمت إلى المدينة، فجمعت بداخلها ألوان الحيرة والدهشة، ومن قصصها «شرابي» أي

السكير، و«معجزة» أي المعجزة.. هذا بينما ركزت الأديبة ألطاف فاطمة على الجانب النفسي في شخصيات قصصها.

هناك مجموعة من الأديبات لم ترتبط بجماعة الأدباء التقدميين نذكر منهن الأديبة القديرة قرة العين حيدر التي لا تزال تعطي الأدب الأردي من مداد قلمها ثروة أدبية عظيمة، وقد نالت شهرتها قبل التقسيم وبعده، وهاجرت إلى باكستان، ثم عادت مؤخرًا إلى الهند، ونالت أكبر الجوائز الأدبية في عموم الهند منذ شهر (نوفمبر ١٩٩٤م) ونشأت في بيت أدب وعلم، فوالدتها هي الأديبة نذر سجاد حيدر ووالدها هو سجاد حيدر يلدرم، وكلاهما من كتاب القصة كما أشرنا.

حاولت قرة العين حيدر جمع أشواك الحياة في حضنها، وراحت تكتب عنها، وهي تشعر بالجراح، والألم الذي ابتلي به المجتمع الإنساني كله، وقد احتلت مكانة فريدة لما لها من حس ثقافي وحضاري واجتماعي وتاريخي.. ولا يزال فنها القصصي يرقى ويتطور حتى كتابة هذه السطور..

أما ممتاز شيرين فقد حاولت أن ترقى بالقصة الأردية القصيرة إلى المستوى الغربي، وكتبت قصصًا رائعة مثل «كفارة»، وتمتاز قصصها بسلاسة البيان وروعة العرض. ويرى بعض النقاد أنها ربما تكون الأديبة الوحيدة من بين كتاب القصة التي لها إدراك عميق بالتجربة الفنية و«التكتيكية»، ولهذا نالت شرف كونها أول ناقد من نقاد القصة الأردية.

بالإضافة إلى قرة العين حيدر وممتاز شيرين نذكر سحاب قزلباش، وتسنيم سليم جهتاري، وعائشة دراني، وشائسته أختر، وصالحة عابد حسين، وبروين سرور، وحميدة سلطاني، وزهرة جبين، وشفيق بانو، وسيدة أشرف وغيرهن، وبرغم أنهن لم ينلن اهتمام النقاد إلا أنهن نِلْنَ اهتمام القراء. فقد ظلت مثلاً قصص سحاب قزلباش مدة تثير التساؤلات وتنال الاهتمام على صفحات صحيفة «جمنستان» في دهلي، ولا يزال صدى قصتها «آك كل رهي تهي» كانت النار مستعرة يسمع حتى اليوم. كما نشرت بعض قصصها في مجلة «آج كل». ومن قصصها «بهوكا هـ بنكال» أي البنغال الجائع، و«توت كيا ايك تاره» نجمة تحطمت.

وكتبت صالحة عابد روايات وقصصًا اجتماعية إنسانية، وعبرت بروين مسرور عن البربرية التي حدثت في أثناء التقسيم، كما عبرت أيضاً عن سقوط دهاكة، ولا تزال هذه الموضوعات ومثلها هي عصب قصصها.

في العقد السادس من القرن العشرين الميلادي مرت القصة الأردية بمنعطف جديد اتجهت فيه إلى أسلوب التجريد والرمز، ويقال: إنه في سنة ١٩٥٨ م بعد تطبيق قانون الطوارئ بدأ أصحاب الأقلام في البحث عن طريق جديدة للتعبير عما بداخلهم، فاتجهوا إلى الرمز والاستعارة والتجريد في قصصهم، وساعدهم على هذا اكتمال فن القصة القصيرة واتجاه النقاد إلى الرغبة في مطالعة قصص من نوعية جديدة.. وقد كتب هذا النوع رشيد أمجد، بلراج منير، أنور سجاد، أحمد جاويد، قمر إحسان، علي حيدر ملك، سجاد نقزي،

وخالـدة حسيـن، وكمارباشـي يوسف تشودهـري، ونيلم أحمـد بشير، وشمسـ نعمان، وظفر إقبال، وأسد محمد خان، وزاهدة حنا التي تكتب في جريدة أردونيوز التي تصدر في المملكة العربية السعودية..

ومنـذ سنـة ١٩٨٠م، وما بعدها بـدأ عصر الإبداع فـي فن القصة القصيـرة فـي الأدب الأردي علـى يـد أدباء كبـار ورد ذكـر بعضهم، ومنهـم: ممتاز مفتي، وميرزا أديب، وأحمد نديـم قاسم. وكذلك أنوار أحمد ،ومرزا أطهر بيك، ومحمود أحمد قاضي، وعقيلة كاظمي، وكلزار جاويـد.. كما حققت بعض الأديبـات شهرة واسعة ونذكر منهن: نيلوفر إقبـال، نكهت سيمـا، عطية سيد، شمـع خالد، فريدة حفيـظ، شكيلة رفيق، رفعت مرتضى، وخالدة شفيع، ونسرين قريشي، وبروين عاطف، وسلمـى ياسمين نجمي، وشمع خالـد، وفرزانة رباب، وسلمى صديقي، وذكية بلكرامي وغيرهن كثيرات..

وتضم قائمة القصة القصيرة اليوم أسماء عديدة يصعب حصرها فـي الهند وباكستـان، نذكر منهم هنا بالإضافة إلـى من ذكرناهم في السطـور السابقة على سبيل المثال لا الحصر: جميل أحمد آفاقي، آغا قزلباش، عرفان علي، إعجاز أحمد فاروقي، كلزار جاويد، ستار طاهر، ظفـر حبيب، وغافـر شهرزاد، وفـاروق خالد، برزين عاطـف، وسلمى أعوان، وعقيلة كاظمي، وغيرهم كثيرون..

الصدمة الثانية

للأديبة: زكية بلكرامي

الأديبة ذكية بلكرامي تكتب القصة القصيرة وتعبر بصدق عن روح الأدب النسائـي، وهو أدب في معظمه هـادف يعالج قضايا مهمة داخل المجتمـع النسائي بصفة خاصة. وقصتهـا الصدمة الثانية فيها عبرة لـكل فتاة وكل امرأة يغرها جمالهـا ودلالها، فقد تعرضت بطلة القصة لصدمتيـن كانت الصدمة الأولى بلا شك أشـد، فقد فقدت فيها أمها وأباها وإحدى رجليها، ومع هـذا فقد تحملتها.. إلا أن الصدمة الثانية كانت من الشدة، بحيث لم تستطع أن تتحملها!

الصدمة الثانية:

كنـت أعرف جيدًا أنني على قدر كبير من الجمال.. بياض تخالطه حمـرةورديـة، جسم متناسـق كله نشـاط وحيوية، وشعـر أسود فاحم مسترسل.. وكما تقول صديقاتي: كنت أبدو «حلوة جداً» حين أضحك.

كنـت الابنة الوحيدة لأبويّ وكان لـي أخ يكبرني قليلاً، وكانوا جميعاً – أبـي وأمـي وأخي – يقومون على خدمتي ويفتدونني بأرواحهم، إذ

كانــوا يــرون أن من واجبهم تلبيــة جميع مطالبي وتحقيــق رغباتي كلها والرضوخ لعنادي.. كان لنا بيت جميل، نعيش فيه حياة كلها راحة ودعة، فاللّه وهبنا كل شيء، وكان يجب علي أن أسجد للّه شكرًا على نعمه هذه، وأن أسبــح بحمد اللّه على مــا وهبنا إياه، لكن سلوكي كان على عكس ما ينبغي، فقد ركبني شيطان الغرور والكبر، وفي نشوة الإحساس بالعظمة لــم أكن أعمــل حسابًــا لأيّ كان، كنت أغتــر بجمالي وأشعــر أنني فقت جميع نساء العالم جمالاً، حتى إنني كنت أجلس أمام المرآة وأتطلع إلى وجهي وأتخيل أميرًا وسيمًا بهي الطلعة سيأتي من بلاد الحور، ويحملني معــه ويطير، كان هــذا هوالسبب في أن أحدًا من أبنــاء الأسرة لم يشد انتباهــي، أوكما نقول نحن الفتيات: «لم يمــلأ عيني»، والأدهى من هذا أننــي رحت أسخر منهم جميعًا، وكانت عماتي وخالاتي جميعهن يرغبن فــي أن يخطبننــي لأحد أبنائهــن، لكني كنــت دائمًا – أمــام أبي وأمي – أسخر من أبناء أقاربي سخرية فاضحة: ماذا يعني لو صار «إعجاز» ابــن عمتي طبيبًا؟! قامته قصيرة.. قزم كيف أقبله زوجًا؟! وابن خالتي «أسعد» صار مهندسًا إلا أن لون بشرته أسود.. لا حول ولا قوة إلا باللّه.. لو حدث وتزوجته لصرنا معًا كالكشري المليء بالعدس.

أما ابن عمي «وقار» فقد حصل على الماجستير، ويعمل في وظيفة طيبــة، إنسان طيب إلا أن شعر رأســه قد اختفى ولو أن شكله مقبول إلا أن «صلعته» لا تعجبني.. وهكذا عارضت الارتباط بأي شاب من أسرتي، وحاولت أمي أكثر من مرة أن تفهمني:

«نائلــة! يــا بنيتي، هذا أمر مشين أن تسخــري من شكل وصورة كل إنسان من حولك وتعدّيه أقل منك، يجب أن تتوبي وتستغفري اللّه؛ حتى لا يغضب عليك بسبب غرورك هذا».

لكنـي كنـت أسمـع كلام أمـي مـن «أذن» وأخرجـه مـن «الأذن الأخرى»..

فـي الكليـة عقدت صداقات مـع بنات كل صنـف، إلا أن كلاً منهن كان فيهـا عيب ما، فكنت أشير إلى هذا العيب بطريقة أوبأخرى وكانت البنات يحملن بداخلهن كراهية لي، ومع ذلك بقين على صداقاتهن لي، إذ كانت معظمهن يستفدن مني.. مثلاً لما كنت آخذ دروسًا خصوصية، فقـد كان عندي إجابات جميع الأسئلة، فكـن يحصلن عليها مني، هذا بالإضافة إلى أنني كنت أنفق كثيرًا من المال في مقصف الكلية، وكنت أغـدق عليهن، وفي مقابل ذلك كـن يتحملن غروري واعتدادي بنفسي، وحتى سخريتي منهن..

وهكذا حصلـت ذات يوم على البكالوريوس، وأعلنت وقتها أنني لن أواصل دراستي أكثر من هذه المرحلة، وأقام والدي وليمة ضخمة بهذه المناسبـة، دعا إليهـا جميع أفراد العائلة، وبعدهـا بدأت عروض طلب الـزواج تنهال علي. وكانت العروض من الأقارب ومن غيرهم أيضًا، إلا أننـي رفضت مناقشة هذا الأمر جملة وتفصيلاً.. ومرت الأيام، وكانت أمي قلقة جدًّا لأمري، وعنفتني ذات يوم فعارضتها، قائلة:

«يـا أمي، لمـاذا تنسين أني جميلـة؟! ومن حقي الـزواج من رجل وسيم، وإذا كان كل رجل في هذه الدنيا يبحث عن فتاة جميلة أليس لي الحـق أنا أيضاً في أن أفعـل ذلك، وأبحث عمن يعجبني؟!.. فإذا رفض أهـل الشاب أن يزوجوه من فتاة قبيحة، ويرون من حقهم هذا الرفض، فلمـاذا لا تعيبيـن عليهم هذا الفعـل؟ ولماذا أنا التي تتـزوج من أصلع

أو قصيــر القامــة أوأسود؟! لا يمكن.. إذا لم يكــن في أي عيب، فلماذا أتــزوج من فيه عيب؟ رجل أسود يتجرأ ويطلب الزواج من فتاة جميلة.. تبًا له.. على أمثاله اللعنة..».

أفرغــت كل ما في قلبي ورحت أصب جام الغضب على أمثال هؤلاء الرجــال، ولم تنطق أمي بشيء ردًّا على هــذه الخطبة التي ألقيتها على سمعها، ومضت في صمت وتركتني..

وذات يــوم اختاروا لأخي فتــاة.. كان أخي يكبرنــي بسنوات، وكان والــداي يرغبان في أن يكون زواجه بعد زواجــي، إلا أنهم اضطروا إلى التفكيــر في طريقة أخرى بعد رفضي للزواج، وخطبت أمي له «نوشين» إحدى بنات صديقاتها القدامى، وقد التقيت بها وأعجبتني كثيرًا، ولأن بين الأسرتيــن «معرفة» قديمة، فلم تكن هناك حاجــة لتأخير الزواج، وهكــذا وبسرعــة أصبحت نوشين زوجــة أخي وجــاءت لتعيش معنا في بيتنــا، وفي أيام قليلة اعتــادت زوجة أخي عَليَّ، وعلــى أهل بيتي، لكني شعــرت أنها لم تستحسن أفكاري ولم تعجبها عاداتي.. وذات يوم قالت لي بكل اتزان:

«نائلــة.. يجــب عليــك أن تفكري فــي مستقبلك، وتتخــذي قرارك بسرعــة؛ كي لا يفلت الوقت من يدك ويمر قطــار الزواج، فهو لا ينتظر طويــلاً والرجل ليس بصورته، ولكنــه بسيرته، ولا يعيبه شكله إذا كانت أخلاقــه حميدة، فانظــري بلا شك إلى تعليمه، وإلــى أصله أي أسرته، أنــا لا أقول لــك: تزوجي من رجل قبيــح الخلقة.. ولكــن الطريقة التي ترفضين بها الزواج ممن تقدموا لك طريقة غير لائقة!».

«يـا زوجة أخي.. أنـا لا أريد أن أعيش حياتي علـى عكس ما أهوى وأريـد، ثم لماذا أنت قلقة عَلَيَّ، ومـاذا يفيدك التفكير في حالي.. أمي وأبـي لا يزالان على قيـد الحياة وبخير، دعيك من هـذا القلق واتركيه على كاهلهما، فهما أحق بتحمله منك».

أصابها ردي بالامتعاض، فسكتت على مضض..

كان جلوسـي في البيت بعد ذلك مدعـاة لأن يتغير مظهري فرحت أحيـك ملبوساتي على مختلـف أشكال «الموضة» ورحـت أرتديها بحب ورغبـة، وكان جميع شبـاب العائلة الذين رشحوا قبـلاً للزواج مني قد تزوجوا، بينما صار أخي أبا لابن صغير...

مـرت ثلاث سنـوات على حصولي على البكالوريوس إلا أنني كنت – حتى ذلك الوقت – لا أزال واقفة في المكان نفسه على مفترق طريق الحيـاة.. ولم يأتِ حتى ذلك الوقت أمير أحلامـي.. وهكذا راح الوقت يمضي والأيام تمر والعجيب أن يزداد غروري أكثر وأكثر، ويزداد شعوري بالتعالـي على الآخرين.. وربما سبب لي عدم تقدم عريس وسيم يطلب يـدي، شيئًا من الغضب بطريقة لا شعوريـة.. لا يهم فكم كان عمري؟! ثلاثـة وعشرون، لـم يكن هذا الأمـر يصيبني باليأس، فقد كنت على يقيـن من أنني سأحصل على ما أتمناه: شـاب وسيم يأتي إِليَّ يومًا ما، وسيرى العالم كله هذا، وسيقول النـاس: زوجان كالشمس والقمر..

كانـت الحيـاة بالنسبـة لـي جميلـة رائعة.. لـم يحـدث أن تألمت أوأصابنـي مـا يشعرنـي بالحزن أو الأسـى، لم أكن أعـرف ماذا يعني

الحزن أو على أي شيء يطلق هذا الاسم، ولكن ذات يوم انتهى فجأة كل ما هو جميل في حياتي.

كنـا في مشـوار بالسيارة أنا وأبي وأمـي.. وإذا بسيارة نقل ضخمة تصدمنـا.. توفـي أبي مع أمي في الحال، وتوفـي السائق أيضاً ولم ينجُ من هذا الحادث الأليم سواي..

حيـن عدت إلى البيت بعد خروجي من المستشفى أدركت أن رجلي اليمنى قطعت، وتحت ذراعي اليمنى عدد من الغرز خاطوا بها جراحي، ورحـت أتطلع إلى المرآة خائفة مرتعـدة.. آه لم يحدث شيء لوجهي.. كان لا يزال على عهدي به جميلاً وكان شعري الأسود الطويل أيضاً كما هو.. أما أنا فلم أعد كما كنت.. صرت فتاة يتيمة معوقة..

ظل أخي وزوجتـه يحاولان مواساتي ويجبـران بخاطري.. وجاءت العائلة كلهـا فرادى وجماعات لأداء واجب العـزاء.. وانتهى الأمر لكن بالنسبـة لـكل من حولي، أما أنـا فقد أظلمت الدنيا فـي وجهي.. فأمي التي لم أكن أفكر ولو للحظة أن تبتعد عني قد ابتعدت عني إلى الأبد.

كان مولـد طفـل لأخي مدعـاة لأن تنشغل زوجة أخـي أكثر فأكثر، فكانـت كل بضعـة أيام تذهـب بالأطفال إلى بيـت أسرتهـا، وأبقى أنا وحيـدة في البيت، أدور حول نفسي، أقطع الوقت الذي صار يمر بطيئًا، لقـد اعتادت زوجة أخي الذهـاب إلى بيت أسرتها، لكـن ذلك كان في وقـت كانت أمي موجودة في البيت، وأبـي أيضاً، فلم أكن وحدها أشعر بالوحدة، إلا أن الوضع مختلف الآن، فقد صارت الوحدة قدري.

تقوقعت على نفسي، وانتهت زيارات صديقاتي لي، فقد تزوجن.. ولم يعد لي صديقة واحدة.. تمرغ غروري وكبريائي الكاذب في التراب، كان الناس ينظرون إلي فيخافون ويرتعدون ويوجهون لي عبارات التعاطف والمواساة التي كانت تصل إلى قلبي، فتخزه كشوكة تدميه.. وراحت العجائز من عائلتي يثرثرن:

«لو كانت نائلة تزوجت من أحد أفراد العائلة لكان الجميع عونًا لها، لكن من يسأل عنها في حالتها هذه؟!».

كان شباب العائلة الذين رفضتهم قبلاً يبدون تعاطفًا تجاهي، كانوا يعيشون حياتهم العادية كما هم مع أهل بيتهم في اطمئنان وسعادة، بينما كان قلبي يدمع دماً.. أين راحت أيام السعادة؟! من سلبني اللحظات المليئة بالسرور والهناء؟! وصدقت زوجة أخي فيما قالته لي من قبل.. لقد أفلت الوقت من يدي وتركني القطار، ومضى دون انتظار.. وراح «عكازي» هذا يقلقها كلما تحركت هنا أوهناك، وكنت كلما تحركت ناحية الثلاجة لأحضر الماء، أو كلما تحركت من غرفة لأخرى لأحضر شيئًا ما كان صوت عكازي، وهو يدق على الأرض يقلق الأطفال، فيستيقظون من نومهم.. كم من مرة قالت لي زوجة أخي:

«نائلة، اطلبي الماء أحضره لك.. الأطفال الصغار يستيقظون بسبب الإزعاج وإعادتهم إلى النوم ثانية أمر شاق».

كانت كلماتها سهامًا تصيب كبدي.. كان هذا صحيحًا.. كنت معوقة.. وكان صوت «عكازي». يسبب إزعاجًا للآخرين.. لكن ماذا

يمكـن أن أفعـل؟ وأين؟ بل كيـف أخفي مكان رجلـي التي قطعت؟ كنت أعـرف أن علـي أن أقضـي بقية حياتي فـي هذا البيـت، كان هذا أمرًا مقـررًا ومفهومًا لدى زوجة أخي، ولهذا كنت أسكت، ولا أرد ولو بحرف علـى ما تقولـه، وتناسيت، بل أقلعت عن التفكير فـي كل ما كنت أرغب فيه وأتمناه، ومع هذا فقد كانت زوجة أخي دائمة الشكوى مني، وراحت أحيانًـا تذكرني بتقصيري وبأخطائي في الماضي، مما جعلني عصبية سريعـة الغضب، وزاد هذا من ثم من توتـري، وأما أخي فقد رزقه اللّٰه الكثيـر مـن الأولاد.. واحدًا تلوالآخر ممـا جعله أكثر انشغـالاً وانفعالاً أيضًـا، وكانـت زوجته تعرف أن أخي سيتحمـل مسؤوليتي طوال العمر، ولم تكن هي على استعداد ذهني لتقبل هذه الفكرة..

ذات يوم، وبعد أن ذهبت زوجة أخي إلى بيت أهلها خرجت مستندة على «عكازي» إلى حديقة بيتنا.. حديقة جميلة برغم مساحتها الضيقة، تملؤهـا الورود الزاهرة من كل نوع، لكن ماذا حدث؟ ألوانها صارت في عينـي باهتة، وعبيرها لم يعد له تأثيـره السحري القديم الذي اعتدت عليـه من قبل.. جلست على أحد الكراسـي الموجودة بالحديقة ورحت أفكر في تلك الأيام التي مضت.. هل تعود؟! ومن بعيد شاهدت «جمال» أحد أقاربنا قادمًا، وجمال كان يكبرني بعدة سنوات، ولم يكن قد تزوج بعـد.. لقـد اقتربـت الآن من الثلاثين ونظـرًا لجمالي الفتـان كان من الصعب ملاحظة كبر السن في ملامحي..

كان جمـال مـن ناحية الشكل والصـورة إنسانًا عاديًـا بوجه عام، وكان بطبيعتـه إنسانًا شريفًا عزيزًا وابنًا مطيعًا لوالديه، وكان في زمن مضـى يسرح شعـره بالزيت، ويرتدي ملابس زاهيـة الألوان فضفاضة

لا يهتـم بكيهـا أو ترتيبـها ويـروح يتـجـول هـنـا وهنـاك، لكـنـه الآن يـرتـدي ملابس يبدو منها هندامه واضحًا كما يلبس حذاءه الذي يلمع دائمًا؛ نظرًا لمسـحه «بالورنيـش» وبصفة عامة لم يحدث أن دار بيني وبينـه أي حديث، لكنه وبعد مدة طويلة، وفـي ذلك الوقت بالذات يأتي إلى بيتي.. وفي غير وجود زوجة أخي، فلم يكن هناك بدّ من الترحيب به..

جلـس جمال على الكرسي المواجه لـي، وسألته – وكالعادة – عن أحوال والديه وبعد حديث استمر مدة ليست بالطويلة إذا به يقول:

«نائلة! عندي لك كلام»..

«نعـم، هـل هناك شـيء.. تفضل قـل» قلت هـذا بمنتهـى الرزانة والاتزان.

«لا.. لا شيء بالتحديد، لكن لدي اقتراح»..

«أنا لا أفهم» ولم أفهم حقيقة ما قال.

«في الواقع إنني أتألم وأنا أراك هكذا وحيدة، وإنني قلق في معظم الأحيان من أجلك».

«أخي جمال.. هذا هو القدر المكتوب».

«نائلـة! أود.. أعني.. أقصـد أنني أريد طلب يـدك.. ولا اعتراض عندي على...».

سمعت كلام جمال، فشبت النار في جسدي، وسرت في عروقي، هذا الشخص الذي لم أكن حتى أميل إلى أن أبادله أي كلمة.. يأتي اليوم.. يعطف علي.. يطلب يدي، فقلت، وأنا أخفي غضبي بداخلي:

«أتدري ماذا تقول؟».

«نعم، نائلة» وصار أكثر حساسية وانفعالاً واستطرد، قائلاً:

«فكرت دائمًا فيك.. أحببتك لكني لم أجرؤ أبدًا على الإفصاح بذلك، فقد اعتبرت نفسي غير جدير بك، وبعد هذه الحادثة أيضاً لم أجرؤ على التحدث إليك؛ لأن وظيفتي كانت متواضعة، أما الآن فقد رقيت إلى وظيفة أحسن، وتحسنت ظروفي المادية، وأنت الآن وحيدة، ولذلك فقد جئت اليوم حاملاً أمنياتي الكامنة في قلبي منذ سنوات، فإن رضيت، وقبلت حدثت أمي في الأمر»..

يا لزماني!.. إنسان مسكين كالح الوجه يعطف علي، فيطلب يدي.. لم أدرِ كيف سيطرت على أعصابي، وكتمت غيظي وغضبي على غير العادة، فقلت له:

«أخي جمال! لا أود سماع هذا الكلام الفارغ، إنني أتعجب، بل أجدني في حيرة كيف واتتك هذه الجرأة.. من الأفضل على أي حال أن تغادر قبل أن تأتي زوجة أخي، وإلا فإن ما بي سيفيض، ولا يمكنني أن أتمالك أعصابي».

لم يكن جمال يتوقع أن يصدر عني هذا الرد، فنظر إلي دهشًا متحيرًا، وقال:

«نائلة، فكري مـرة أخرى.. كان في قلبي لك حب طاهر، ولا يزال، وسوف يبقى».

وتحاملت علـى نفسي، وأخذت «عـكازي» واندفعـت لأدخل البيت، وجعلنــي الغضب في حالة يرثى لها، ورأى جمال أنه ليس من اللائق أن يظل جالسًا فنهض وعاد من حيث شاء.

فــي تلك الليلة رحـت أذرف الدمع غزيرًا، هكـذا كتب علي قدري، ورحــت أنال جـزاء غروري، وأتجـرع الألـم علقمًا، لم أكـن قد فكرت أبـدًا فـي الوجه الآخر للحياة، لكن لماذا كل هـذا يحدث لي، على وجه البسيطة آلاف وآلاف من الناس ارتكبوا أيضاً أخطاء وأغلاطاً بطريقة أو بأخـرى، ولـم يأتِ يـوم حسابهم أبـدًا، فلا يزالون ينعمـون وينالون نصيبهم من السعادة ولا يزال حبل سعادتهم ممتدًا، لكن حبل سعادتي انقطع فسقطت من علياء السماء إلى الدرك الأسفل من هذه الأرض، ثم إننــي قرأت في الكتب: إن اللّه يبتلي عباده الصالحين وإنه ينعم عليهم برحمته بعد هذا البلاء، فهل أنا يا ترى من عباد اللّه الصالحين؟! هل أنـا الآن في مرحلة البلاء والاختبار؟! ومتــى تنزل علي رحمة اللّه؟!... بـدأت هذه التساؤلات تدور في عقلي، وهي تساؤلات لم توجد لها إجابة واضحــة عندي، ومضت أيام شعرت خلالها بــأن حديثًا جادًّا يدور بين أخي وزوجته يتعلق بالتأكيد بأمر يهمني؛ لأنني كنت كلما اقتربت منهما انقطعـت سلسلة الحديث، لم تكن لدي رغبة بأي موضوع يتحدثان فيه، فقـد كنت أعرف أن أميـر أحلامي لن يأتي أبدًا كما لـم أكن أبدًا على استعـداد – ذهنيًّــا – لقبول شخـص مثل جمال، فقـررت من داخلي قـرارًا لا رجعة فيه، وهوأن أعيـش حيـاتـي وحيدة، فلا ضرورة مطلقًا

للـزواج، وكم مـن الفتيات يقضين حياتهن هكذا مـن دون زواج فلأكن واحدة منهن.. إلا أن جميـع أفكاري ونظرياتي وقراراتي ذابت، بعد أن أجلسني أخي، وحضرت زوجته بالقرب منه، ثم قال:

«نائلـة! لقد رتبنا لك أمرًا من أجـل مستقبل طيب، وكان الله معنا وأعاننـا على هذا الأمر.. «نعيم» إنسان طيب، فهل لديك اعتراض على قبول الزواج منه؟!».

لفني صمت أخرجني منه ما قالته زوجة أخي:

«نعيم ابن عمي إنسان شريف عزيز، كما أنه رآك مرة أيضاً..».

رفعـت ناظري تجاه زوجـة أخي، كانت في نظراتـي إليها تساؤلات تمـوج في صمـت.. فنهضت واقتربت مني وجلسـت بجواري، ثم راحت تربت على ظهري، قائلة:

«لا تقلقـي نعيم يعرف مأساتـك، أنت من ناحية الشـكل والصورة جميلة.. وافقي على مقابلته».

«لكـن يـا زوجة أخـي.. لا بد أن يكـون هناك سبب مـا يجعله يقبل الزواج من فتاة معوقة مثلي...» وكان نطقي بكلمة فتاة قد جعلني أتلعثم فسكت، ولم أكمل عبارتي، فعاجلتني زوجة أخي بقولها:

«لا تقلقي نفسك، ولا تفكري بشيء فقط قابليه..».

«لا.. أريد أولاً معرفة أصل الحكاية.. ماذا قلتم له؟».

راح أخـي وزوجته يتطلعـان إلى بعضهما، وكأنهمـا يحاولان إخفاء أمر ما لا يريان أي داعٍ لإخفائه وعدم الإفصاح عنه.. فقلت:

«يا زوجة أخي.. يجب أن تكون الأمور واضحة تمامًا.. أنا لست بهذا الضعف، ثم إن الزواج ليس بالأمر الضروري أيضاً».

«الزواج أمر ضروري جدًّا يا نائلة.. أنت لا تدرين حالة أخيك، وكم هو قلق من أجلك!».

«لهذا رحتـم تبحثون لي عن أمثال نعيم.. لكـن على أي شرط! إذا لـم تخبرانـي بالحقيقة، فلن أستمـع لكما» قلت هـذا وحملت «عكازي» وشرعت أترك المكان إلا أن أخي استوقفني، قائلاً:

«اجلسي يا نائلة.. سأخبـرك.. ما سأقوله لك صحيح مئة بالمئة.. نعيم إنسان شريف له محل تجاري، تعيش معه أمه وأختاه، وهو مسؤول عـن إعالتهـن، وحدث أن تعرضـ متجره للسرقة، وهـو الآن في ضائقة ماليـة شديـدة، وهو لم يتزوج حتى الآن، كانت أمـه تبحث له عن فتاة، ثم حدث ما حـدث لمتجره، فتوقف التفكير في مسألة زواجه، لكنه إذا وجد عونًـا ماليًّا وتحسن وضعه التجاري والمالـي، فلن يكون هناك أي مانع في التفكير في مسألة الزواج من جديد.. نائلة لا حرج ولا مضايقة فـي هذا الأمر، سوف نساعده ماديًـا فتتحسن أوضاعه التجارية، وأنت سوف تذهبين، وتعيشين في بيت رجل شريف».

«هكـذا الأمـر.. جعلتموني سلعة تقيمونها فـي البورصة» وتحطمت بداخلي أشياء، فقلت وأنا أحاول إخفاء ما بداخلي من مشاعر:

«كم المبلغ الذي اتفقتم عليه؟».

«سوف نعطيه مئتي ألف».

وقالت زوجة أخي بسرعة:

«هذا هوالمبلغ الموجود في حساب المرحوم الوالد».

«اسمعي يا زوجة أخي.. أنا لا أوافق على هذا الزواج».

«لكن لماذا...؟».

«أنتم تبيعونني بمئتي ألف روبية.. هذا هو قدر محبتكم لي؟ أنا لست سلعة تباع بمال، ولن أسمح لأن أكون كذلك وزواجي لن يكون لقاء أي مبلغ مهما كان».

«نائلة! لا تأخذي الأمر بهذه الحساسية الشديدة». قال أخي هذا وهو يحاول إفهامي:

«نعيم رجل شريف لن يجلب لك سوى السعادة على الدوام».

«أخي على الأقل أنت لا تكرهني إلى هذه الدرجة، فلا تجعلني لا أرى أمامي سوى الموت».

اغرورقت عيناي بالدموع، واستراح أخي لرفض هذا الزواج إلا أن معاملة زوجته لي تغيرت منذ ذلك اليوم، كانت دائمًا تقدح في حقي، قاعدة قائمة، ذاهبة عائدة، ولم يكن أمامي من سبيل إلا الصمت..

وبعـد مدة عرفـت أن نعيمًا تزوج من أرملة غنيـة، وأنهما يعيشان حياة هادئـة مطمئنة، ولم يكن لهذه الأخبار أي أثر يذكر في نفسي، وخاصة حين كانت زوجة أخي تعمد إلى سرد حكاياتهما أمامي.

فـي تلك الأيـام سافر أخـي إلى ألمانيـا مدة سنـة، وكانت زوجته تقضي معظم وقتها في بيت أهلها وفي بيتنا في الركن الخاص بالخدم قدمـت أسـرة؛ لتقيم فيه، فاطمأنت زوجة أخـي، إذ لم أكن وحيدة في البيت.. لكـن الوحدة كانت قدري المكتوب، لم يكن لدي سوى ذكريات الأيـام الخوالي أجترها بين حين وآخـر.. ماذا كنت؟ وكيف صرت إلى مـا أنا فيه؟!.. الظلمة من حولي، أبحث عن شعاع من نور وسط الظلمة الحالكة.. فلا أجد.. لكن.. فجأة.. وجدت أشعة النور تتجمع.. وتنقشع سحب الظلام!

فـي ذلك اليـوم وكعادتها دائمًا أخذت زوجة أخـي الأولاد، وذهبت إلى بيت أهلهـا، وكعادتي أخذت «عكازي» واتجهـت إلى حديقة البيت، ورحت أتفحص تلك الورود التي كانت بالنسبة لي حياتي واهتماماتي.. وإذا بي أرفع نظري إلى البيت المقابل لبيتنا.. فتحت نافذة في الطابق العلـوي.. وخلفها وقف رجـل غريب عن الحي، بدا وكأنه يحلق من بعيد في السمـاء، وشاهدت السحب، وكأنها تغطي وجهه حينًا، وتكشف عنه حينًـا آخر.. كنت أعرف أن بعض النـاس قد استأجروا هذا البيت منذ أيام، لكنني لم أعرف عنهم شيئًا على الإطلاق..

نعم كان هذا الوجه الذي طالما تصورته في مخيلتي وطالما تخيلته فـي أحلامي، كان هذا وجه الأمير القادم من موطن الحور الذي طالما

حلمت بالتحليق معه في السماوات.. انتابتني الحيرة ولفتني الدهشة.. هـل يصـل الخيال في العالم إلى هـذه الدرجة، فأرى مـا أتخيله هكذا أمامي في النافذة؟!

لكن الأمور تتغير مع الأيام، لم أعد أنا التي كنت.. ولعله أيضاً وجد بغيته.. وغرقت في بحر الحيرة، وأنا أطيل النظر ناحيته حتى وقع نظره علـي، بينما كنت أقف متكئة على «عكازي» وشعري الطويل ينساب على كتفـي يصل إلى أردافي، على وجهـه الحزين ارتسمت علامات الحيرة للمحـة، ثـم ارتسمت فجـأة على شفتيـه ابتسامـة سـاحـرة.. فتراجع عـن النافـذة، أما أنا فعـدت إلى داخـل البيت أحـاول أن أتمالك قلبي المضطرب الذي تسارعت دقاته.

رحـت أفكر مدة في هذا الأمير الغريب، لكن ذهني اضطرب.. كم تمنيت أن أعرف عنه شيئًا.

في اليـوم المقبل رحت أطيل النظر مرات ومـرات ناحية النافذة، لكني لم أرَ أحدًا وعندها أدركت حماقتي.. كيف يظهر في النهار؟ لكني كنـت كمجنونة تنظر ناحية النافذة، وحين جـاء المساء شاهدته خلف النافـذة.. كانت عيناه لا تتجهان ناحية السحـاب في السماء، بل كانت تتجه نحـوي.. راح ينظر إلي.. في نظراته شوق وهيام.. بدا لي مختلفًا عـن بقية البشـر.. على وجهه ارتسمت بـراءة الملائكة وازدادت دقات قلبي، لـم أستطع الوقوف طويلاً في الحديقـة، فتحاملت على عكازي، ودخلت البيت.

بدأت لعبة «الاستغماية» هذه بيننا في صمت، لم أكن أعرف عنه شيئًا، وأعتقد أنه أيضاً لم يكن يعرف عني أي شيء، وبرغم هذا شعرت وكأنني قابلته منذ سنوات طوال.. كان يسكن في قلبي، وكان هو من تصورته في أحلامي، وبدأت أهتم بملابسي وبمظهري، وخاصة وقت المساء رحت أخرج ثيابي التي خزنت في «دولاب» الملابس مدة طويلة أردت أن أزين بها جسمي.. فقد كنت أشعر أنه ينتظرني كل مساء، وكانت أزهار السرور تتفتح فوق وجهه الحزين إذا ما رآني أخرج إلى الحديقة.. لكن لماذا هذا الحزن المرتسم على وجهه دائمًا؟ لماذا يبدو الألم على وجه هذا الرجل الجميل؟ لم أدرِ حقيقة الأمر إلا أن السعادة عرفت طريقها إلي في تلك الأيام، وصارت الحياة جميلة في عيني، وعادت البهجة إلى روحي.. وحين رجعت زوجة أخي من بيت أهلها توقفت عن الخروج إلى الحديقة في المساء من باب الاحتياط والحذر.

ومرت عدة أيام لم أرَه فيها، لم أكن أدري هل ينتظرني على أحر من الجمر أم لا.. لكني بنفسي كنت متوترة أتوق شوقًا إليه.

لم أعد أتبادل الحديث مع زوجة أخي إلا نادرًا، خاصة بعد أن رفضت الزواج من نعيم قريبها، فقد أثر هذا فيها، وكان جرحًا في صدرها سيستمر على ما يبدو طول العمر. على كل حال، وفي ذلك اليوم دقت باب بيتنا فتاة جميلة جاءت من البيت المقابل لبيتنا؛ بهدف التعرف إلينا، فجلست زوجة أخي معنا، كان اسمها «روبي» وكانت جميلة جداً عمرها على أكثر تقدير عشرون عامًا، ذكرني شكلها بالأيام الماضية، حين كنت في مثل عمرها، أخبرتنا أنها انتهت من توها من امتحان البكالوريوس، وبدأت الإجازة، ولهذا فكرت في زيارتنا للتعرف علينا.

عرفت كل شيء عن جيراننا من روبي، فهي تعيش مع أخيها الأكبر «نديم» الذي فقد زوجته في أثناء وضعها طفلها الثاني، وكان لهذه الحادثة وقعها السيئ على روبي ونديم، والآن عمر بلال ثلاث سنوات وبلغ الطفل عامه الأول.. عرفت من روبي أيضاً أن أخاها نديم لم يخرج من هذا الحزن أبدًا..

سمعت أحوال هؤلاء الناس وحزنت كثيرًا، إذ عرفت سر الحزن الواضح على وجه نديم... بعد أن أدت زوجة أخي واجب الضيافة لروبي، وراحت تتحدث معها مدة، ثم تركتنا وذهبت، وإذا بروبي تقول لي:

«يا أختاه، إنك جميلة جداً، كنت أراك من النافذة، أعجبت بك كثيرًا، وأخي أيضاً يمتدحك كثيراً.. معذرة فربما كان هو أيضًا يشاهدك من النافذة».

سمعت كلام روبي، فراح قلبي يخفق ويدق بسرعة، وراحت تذكر لي مدى إعجاب أخيها بي، ولم تقل شيئًا غير ذلك، ووعدت بأن تزورنا ثانية.

جاءت روبي ثانية، كان معها بلال والطفل، كانا ما شاء الله جميلين، حملت الطفل إلى صدري، فالتصق بي في حنان، وبرغم أن بلالاً كان في الثالثة من عمره إلا أنه قليل الكلام، فقد جعلته وفاة الأم المبكرة من النوع الذي لا يتكلم كثيرًا.. راحت روبي في ذلك اليوم تختلق الأسباب؛ لتمتدح أخاها: وسامته.. ذكاءه.. أحاديثه عن الحياة السعيدة، ثم قالت:

«يا ليت هناك من تأخذ بزمامه، فتحول حزنه إلى مسرات..».

بعد ذهابها بقيت ساعات أفكر في نديم وبلال والطفل، كانت زوجة أخي تجلس معنا أحيانًا، ثم تتركنا وتذهب، وقامت روبي بطريقة لا شعورية بالتقريب بيني وبين نديم، كانت تحدثني أحاديث لا حصر لها عن نديم، ولم أكن أدري ماذا كانت تقول عني لنديم، فقد أخبرتني أنها تحدثه عني.

وفي يوم من الأيام حملت «ألبوم» الصور الخاص بهم، وجاءت كعادتها لزيارتنا، لم تكن زوجة أخي في البيت آنذاك شاهدت كل الصور: صورة والديها وصورة زوجة نديم رحمة الله عليها.. كانت امرأة جميلة، لكنها لم تكن بمثل جمالي وشاهدت صورًا كثيرة لنديم.. شخصية جذابة.. طلعة بهية وعيناه تشعان بالذكاء.. كان هو النموذج الذي أتمناه في فتى أحلامي، كان وجهه هو الوجه الذي طالما حلمت بصاحبه، لقد وهبني الله قربًا ممن كنت أحلم به.. وفهمت جيدًا مرام روبي والهدف من كلامها معي، فقد كانت تود أن أقترن بأخيها، وأن أمنح ولديه الحب والعاطفة، وذلك لأن موعد زواج روبي نفسها قد تحدد، وبعد ذهابها من البيت لن يكون هناك من يرعى بلالاً والطفل الصغير.. وقبلت هذه الصفقة التي تمت في صمت ودون إعلان.. قبلتها وتمنيتها من كل قلبي، فنديم لم يكن لديه أي اعتراض على «عكازي» هذا، ولماذا لا أشرف على رعاية أولاده؟! كان نديم ثريًا وله مكانته في المجتمع، يملك مصنعًا يديره بنفسه، لم يكن ينقصه شيء من أمور الحياة ومستلزماتها.. وشعرت أن هذا من حسن حظي.. أن تأتي إلى بيتي المحبة والثروة والجمال...

لكني كنت أريد تطبيقًا عمليًّا لكل هذه الأفكار، فلم أكن قادرة على أن أفصح عما في داخلي.. وحين تأكدت روبي أنني لن أرفض أخاها زوجًا لي تحدثت مع زوجة أخي، وأحضرت معها صورة لنديم.

لم أعرف ما دار من حديث بين روبي وزوجة أخي، لكن بعد ذهاب روبي جاءتني زوجة أخي:

«نائلة! اليوم بلغتك روبي رسالة أخيها، هؤلاء الناس يريدون عقد الزواج فورًا، لكني رأيت أنه ليس من المناسب إعطاؤهم الرد الآن، فأخوك ليس هنا وهوالذي يمكنه اتخاذ القرار».

«يا زوجة أخي، أنا لست طفلة» هكذا كان ردي عليها فورًا، بل تابعت كلامي:

«فأنا بنفسي أستطيع أن أتخذ قرارًا يتعلق بي».

سمعت زوجة أخي حديثي، ونظرت إلي بتهكم، وقالت:

«نائلة! إنك تعدّينني عدوة لك بينما كنت دائمًا – والله شاهد على ما أقول – حريصة على سعادتك، كان في زواجك من نعيم سعادتك لكنك رفضت، وهوالآن يعيش مع زوجته حياة نموذجية، ونعيم لم يكن على الأقل متزوجًا من قبل ولم يكن له أولاد».

وفار الدم بداخلي:

«لم يكن بلا شك متزوجًا، لكنه كان إنسانًا قبيح الخلقة، وأنت تعرفين أنني أفضل في هذه الدنيا كل جميل».

«لــم يكــن قبيح الخلقة يا نائلــة..» نطقت هذه العبــارة بلهجة فيها عنــف شديد «لــك أن تقولي ما تشائين.. كان قبيــح الصورة وطماعاً.. كان يريد أن يشتري عجزي مقابل مئتي ألف روبية».

«هذا هو تفكيرك يا نائلة.. على كل حال أنا أقوم بواجبي.. لن أقول شيئًا ضد رغبة أخيك».

«لا، بــالله عليك يا زوجة أخي.. لن تفعلي هذا.. لن ترفضي زواجي من نديم.. لوكان عنده أولاد، فهو رجل جميل الوجه جذاب.. لقد رأيت صورته» ولم أخبرها أنني كنت أشاهده عدة أيام.

«إذًا هذا يعني أنك اتخذت قرارك».

«نعم، افهمي الأمر هكذا».

«إذًا اذهبي، وأنهي أمر زواجك بنفسك، لن أتدخل في هذا الأمر».

قالــت هذا، ونهضت مــن جانبي، وبقيــت أبكي مــدة طويلة، ورأت زوجة أخي عيني الحمراوتين، فقالت:

«حاولــي أن تفهمي الأمر، إنه يتحدث فــي أمر الزواج السريع يريد أن يتمــم الــزواج خلال أسبــوع، وفي صمت دون احتفــال، فكيف لي أن أتحمل هذه المسؤولية، بينما أخوك غير موجود هنا؟!».

«لا تتحملــي هذه المسؤولية أبدًا يا امرأة أخي.. أنا مستعدة لتحمل هذه المسؤولية.. سوف أتحمل مسؤولية أي أمر سيئ قد يحدث.. فقط أتمنى أن تتعطفي علي وتتكرمي بالموافقة.. فقط كلمة واحدة.. نعم».

تراجعت زوجة أخي أمام إلحاحي، فأبلغت روبي بالموافقة، وتحدد يوم الخميس المقبل للزواج..

وبـدا الأمر عجيبًـا بالنسبة لـي.. الحلم الذي رأيته طـوال حياتي يتحقق.. يصبـح حقيقة بعد أن كان خيالاً.. وأمير بلاد الحور سيصبح مـن نصيبـي.. الأمير الذي أعجب بي برغم عجـزي برغم عكازي، ثم إنـي فتحت أبـواب قلبي لولديه، وبـدأت أشعر بحب جـارف تجاههما، شعـرت كأنهما ولداي، ولداي من رحمي، كانا يظلان بجواري ساعات، فأضمهمـا إلـى صدري أطفئ بهما ظمـأ قلبي.. وكانـت السعادة تغمر روبي في تلك الأيام، فراحت تسمعني حكايات السعادة التي تغمر نديمًا أخاها.. فقد كانت تقوم بعمل الوسيط بيننا..

لا ينبغـي أن أنتظـر أكثـر من هذا.. وحـل يوم الخميـس السعيد.. اشتـرك في عقد القران بعض الأقارب وبعضـ أهل الحي.. جعلوا مني عروسًـا بحق -وكما قال النـاس- كان جمالي فتانًا، وكان عرسي عرضًا لجمـال الحوريات.. وجليت في «الكوشة» مـدة، ثم صعدت لأجلس على الكرسي المعد لي بجوار نديم بين باقات الورد.. التقطوا لنا الكثير من الصور التذكارية، وفي أثناء ذلك سمعت عبارة:

«القمر مع الشمس لكن..»

وقـرأت الفاتحـة على مأتـم عقلية النـاس الذيـن لا يعرفون كيف يتغاضـون عـن مواطـن العجز لـدى الآخريـن.. ماذا لو فقـدت رجلي اليمنى.. وماذا لوكانت لنديـم زوجة سابقة توفاها الله.. وماذا لو كان عنده طفلان..

انتقلت بعد ذلك إلى غرفتي، فتناولت طعامي، ولما كان ذهابي إلى بيت العريس لن يكلفني الكثير، إذ سأنتقل إلى البيت المقابل لبيتنا، لهذا لم يكن الأمر مقلقًا أو متعبًا بالنسبة لي، فقد انتقلت ماشية من بيتنا إلى بيته مع روبي وزوجة أخي.. مشينا بخطوات وئيدة، أمسكت روبي وزوجة أخي «بفستان الفرح» أقصد ثوب الزفاف.. ثم تركتني زوجة أخي في غرفة نديم، وذهبت..

تحدثت معي روبي مدة، ثم أغلقت الباب، وذهبت هي الأخرى..

رفعت عيني أنظر إلى الغرفة التي أجلس فيها.. كم كانت رائعة.. الأثاث الفخم.. آه هذه الستائر الجميلة.. كم هي جميلة هذه الغرفة.. غرفتي تتوسطها السجادة الكشميرية الرائعة بنقوشها المنمنمة الدقيقة، ثم الزخرفة التي زينت الجدران.. عشت لحظة سحرية ورحت أغبط نفسي على ما أنا فيه من سعادة وحظ.

وجاء نديم..

فأخفيت وجهي بين ركبتي.. إلا أنني وجدت نفسي أرفع وجهي على الفور..! لقد وصل إلى أذني وقع دقات عكازين، فأذهلني ذلك.. ونظرت فرأيت تحت إبطي نديم عكازين، وهو يقف أمامي برجليه الاصطناعيتين..!!

كانت الصدمة الأولى صدمة شديدة بالتأكيد، فقدت فيها أمي وأبي وفقدت فيها رجلي اليمنى.. لكنها كانت برغم ذلك صدمة تحملتها.. أما الصدمة الثانية، فقد كانت من الشدة، بحيث ربما لا يمكنني تحملها...

أعـرف أن روبـي كانـت ستتـزوج خـلال أيـام، وستذهـب، وأنني سـوف أقضي بقية عمري في بيت إنسـان حسن الطلعة عاجز.. ناقص الأعضاء.. أرعى أطفاله..

أين ذهب الحب الذي ملأ قلبي لبلال والطفل؟!

لماذا لم أعد أشعر بجمال طلعة نديم؟!

لماذا صارت الدنيا فجأة قبيحة في نظري؟!

راحـت هذه الأسئلة، وعديـد من الأسئلة الأخرى تـدور، وتدور في ذهنـي.. لكني لم أجد جوابًـا لأي منها، فقد اضطرب عقلي وأحاطتني الظلمة من كل جانب، ورحت أغرق في بحر من الظلمات سحيق!!



أين أذهب؟!

للأديب: ظفر حبيب

الأديب ظفر حبيب من الأدباء المعاصرين، وتمتاز كتابته بالسهولة والإمتاع، وهو من مدرسة الأدب للحياة، فهو يعبر بما يكتبه عن قضايا المجتمع، ويصور الصراع الذي يختلج بداخل المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية بأسلوب الرمز فيه أكثر تعبيراً عن الحقيقة، وفي قصته أين أذهب يوضح مدى تسامح المسلمين مع جيرانهم من غير المسلمين، ويصور ببراعة ما قد يتعرض له المسلمون يومياً في الهند من جراء التعصب الهندوسي، ويثير في نهاية قصته تساؤلاً يستحق الاهتمام بعد أن شعر باستحالة التعايش مع مثل هؤلاء الجيران.. وتساءل: أين أذهب؟!

فالقصة حكاية مؤلمة للفتنة الطائفية...

أين أذهب؟!

نهضت زوجتي التي كانت تجلس على الكرسي منذ مدة وراحت تتفرج من فتحة طاق في الجدار على ما يجري في الشارع، وفجأة انطلقت صرخة عالية، ثم جلست، وأسندت رأسها إلى راحة يديها...

منـذ أيام وهي في كآبة، وقـد أصابها الوهن، لم تكن تنال نصيبها مـن النوم الهـادئ طوال الليل، وكنت طوال الوقـت أراقب حالتها تلك، فاعتقـدت أنها سقطت من على الكرسـي، وفقدت الوعي، فنهضت من السريـر بسرعـة.. وقبل أن أرفع قدمي لأخطـو أول خطوة رأيتها تترك رأسهـا التي كانت قد أسندتها إلى راحـة يديها وتثبت الكرسي وتجلس عليه.. فتنهدت وقلت في نفسي:

«حسنًا.. مر أمر ما حدث اليوم بسلام».

ولهـذا عـدت لأتمدد فـوق السرير، وبـدأت استكمال قـراءة مقال بعنـوان «مسألـة تحقيق الأمن فـي العالم» كان المقال طويـلاً إلى حد مـا، وكنت قـد استغرقت في قراءته حين حدث مـا حدث من مداخلة، فاضطـرب العقل مدة، والعقل عـادة يمضي على وتيـرة واحدة إذا لم يعكـر صفوه أحد ما، لهذا رحت أرتب أفكاري من جديد، وبدأت أحاول جاهدًا أن أغرق في دنيا هذا المقال.. إلا أن الأولاد من بعد أمهم راحوا يحيلون بيني وبين تنظيم أفكاري، والحقيقة أنهم سمعوا صرخة أمهم، ورأوهـا تمسك برأسها وتجلس، فتجمعوا مـن حولها واحدًا بعد الآخر، وراحوا يمطرونها بالأسئلة.

ولـم يكن أمر إقلاق الأطفال لي سهـلاً.. فوددت أن تنهض زوجتي مـن هذا المكان وتذهب إلى مـكان آخر؛ لأتمكن من إكمال هذا المقال الـذي لم أكمله.. لهذا كنت أحياناً أود أن أزجر الأطفال، وأنهرهم عما يفعلون، كمـا كنت أود أحياناً أخرى أن أنصـح زوجتي، ولكن الضرورة في ذلك الوقت كانت تستلزم أن أشحذ هممهم جميعاً وأن ألقنهم درس الهمة والشجاعة..

يقــع بيتي تمامًا على ناصية شارع المدينة المشهور باسم «دين ديال أباديها رود» الشارع نفسه الذي كان يسمى قبلاً «جامع مسجد رود» فبعد الاستقلال بعشريــن سنة تغير اسم الشارع برغم وجود المسجد الجامع فيه... وكان هذا السؤال في محله.. لماذا كانت هناك ضرورة لتغيير اسم الشـــارع؟ وهل تغيير الاسم يدل على تغيير الإحساس الذهني أو الفكري، ومــن ثم الإحساس التاريخي؟!.. على جانبــي هذا الطريق عاش سنوات وسنــوات أناس من كل فرقة وكل طائفة، ومن كل مذهب ومن كل عقيدة، ويتجه الشارع ناحية الجنوب، وعلى ناصيته يقع المسجد، وحول المسجد يوجد حي يقطنه أتباع هذا المسجد، وفي هذا الحي يوجد بيتي.

بعــد تغيير اسم هذا الشارع بعــدة أشهر جاء إلى الناحية الشمالية منه أسرة من جماعة السيخ وسكنت هناك، وربما كان قرارهم بالإقامة هنا يرجع إلى أن الناس في هذه المنطقة يجنحون إلى السلم، ويعشقون الأمن والهدوء، وتغيير الاسم لن يؤدي إلى حدوث شغب أو إثارة ضجة أو فتنة... في مختلف أنحاء البلاد، وفي أوقات مختلفة حدثت اضطرابات ووقــع شغب من كل نوع، لكن هــذا الجو الساخن المشحــون بالكراهية لــم يتمكن مــن الوصول إلــى ديارنا، ومــع أن الناس مختلــف والمزاج فيمـــا يتعلق بمـــا يقرؤون وما يكتبون وما يأكلون ومـــا يشربون إلا أن روح التصـــادم لم تتمكن من الوصول إليهــم، فكل شيء هنا يمضي بطريقة صحيحة.. هذا الحي يطلق عليه في المدينة اسم «بوش كالوني» والناس الذيــن يقطنونه هم جميعًا ممــن يجلسون على كراســي لها قيمتها في مكتــب أو إدارة، أو أنهــم مــن التجار النشيطين، والنســاء هنا في هذا الحــي مشغولات في قضـــاء أوقاتهن، يتبادلــن الأحاديث عن (موضة)

الملابس، وبخاصـة «الساري» وأحجام «التليفزيونات» المختلفة وألوان السيارات والدراجـات البخارية وزخرفة المباني، وكل ما هو جديد في عالـم المفروشات وغيرها.. ثم يناقشن بعد ذلك هذه الموضوعات مع أزواجهـن، وخلال المناقشة يعرضن مطالبهن.. كانت هذه هي الهواية المفضلـة لديهن.. أما طبيعة الأطفال هنـا فتختلف عما هي عليه عند بقية أطفال الدنيا: في الصباح طاولة الدروس، وفي المساء الجري في الشـوارع، والحديث عن الموضة الجديدة، وصور المجلات ثم في أيام الإجازة الذهاب إلى النزهة أوالسفر بقصد السياحة..

ثـم كانـت هذه الحادثـة التي جاءت مـن سمت الغيـب.. فأحرقت روضـة السـرور بأكملها، كانت حادثة عادية جـدًّا بالنسبة لأهل الحي، لكنها بالنسبة لزوجتي حادثة عجيبة بصفة خاصة، كانت تصر على أن نخرج من هذا المكان حين يخف حظر التجول، كان اليوم هوالرابع منذ أن فرض حظر التجول، وفرض هذا الحظر من الصباح حتى المساء، ومـن المساء حتى الصباح بشكل متواصل، وعم السكون، وخيم الهدوء علـى كل مكان وصار النهار كالليل مفزعًـا وشنيعًا يتخلله صوت الأذان أحيانًـا وأحيانًا أخرى صـوت إطلاق العيارات الناريـة أوالانفجارات.. كانـت هـذه الأصوات المتمايزة فـي نوعها رفيقنا وجليسنـا منذ أربعة أيـام.. وكلما توقفت هـذه الأصوات راحت زوجتي تكـرر إصرارها بأن نغادر هذا الحي.

حاولـت باستمرار إفهامهـا أن ما يجري هنا ليسـ موجهًا ضدها، لكنهـا لـم تكن على استعداد لقبـول تفسيري بأن ما يـدور ليس موجهًا ضدها، كانت فقط تقول:

«إن ما حدث حدث مرة، ويمكن أن يتوالى حدوثه مرات ومرات وإذا كان ما حدث قد أصاب بيوت الآخرين، فيمكن أن يصيب بيتنا أيضاً».

وسألتها:

«أي مكان ذلك الذي يمكن أن نصل إليه، فنجد الأمن والهدوء؟! إن البلاد كلها الآن فريسة في قبضة الفتنة والفوضى، قد تختلف الأسباب هنا وهناك إلا أن نوعية الفتنة واحدة، فالأسلحة هي لغة العصر الحاضر، وأصوات هذه اللغة الانفجارات ونغماتها تعزف في كل لحظة نغمة الأجل، والجنس البشري كله يدخل دائرة اختيار هذا العفريت».

فإذا بها تقول:

«إن من تدمر بيوتهم وتخرب اليوم سوف يفكرون غدًا في ارتكاب الشيء نفسه ولكن أليس من الممكن أن يفكروا اليوم في هذا؟».

أردت أن أفهمها أنه لا يوجد أي مكان آمن يمكن اللجوء إليه، وهذه المسألة لا يحلها تغيير السكن، بل حلها يكون بتغيير العقلية، والعقلية التي أمكنها أن تعبر المسافة بين «مسجد رود» و«أبادهيا رود» يمكنها أن تقوم بمراجعة ما يدور.. فتدل هؤلاء المتناحرين على طهارة «مسجد رود».. لكن كلامي لم يعجبها، فراحت تقول:

«سوف تظل طوال العمر تتحدث عن تغيير العقلية وتغيير الذهن، بينما النار تشتعل في هذا البيت حينًا، وفي ذاك البيت حينًا آخر».

وبرغم الموافقــة على مصداقية ردها إلا أنني بقيت غير موفق في تغييــر طريقــة تفكيــري، أي أن التغيير الذهني هوالحـل الأمثل لجميع القضايـا، فإذا تمتع الذهن بالصلاحية، وإذا ما عمَّ الحب بين الناس، انتهـت جميع الاضطرابات والفتن.. فالأمن في الأصل ضرورة إنسانية والقتال لا يمكن أن يطول، بينما الأمن يمكن أن يستمر ويستتب..

كان مــا حدث منعطفًا جديـداً لما كان يدور بيننــا من حديث منذ عـدة أيـام، كان صرخة جديـدة أحالت بيتــي إلى بوتقة مــن الغضب، وأشعلـت لهيـب النزاع والعــراك بداخله، فقد أصيـب أطفالي الصغار بالخــوف والرهبــة، وراحوا يسألون أمهــم دون توقف عمــا رأته، بينما رحت أنا أحاول للمرة الثانية أن أقرأ عن «قضية قيام الأمن في العالم» إذ هــي ضــرورة من أشد ضــرورات الوقت الراهن، ومــن ناحية أخرى بقيـت زوجتــي.. لم تتحرك مــن مكانها قيد أنملة، ولــم تنطق بحرف، فاضطررت إلى القيام والتوجه إليها؛ لأسألها عما حدث:

«ماذا رأيت من طاق الجدار..؟».

لــم تتكلم فــي البداية وبعـد إلحاح منــي، قالــت: إن الناس الذين يسكنون في البيت المقابل لبيتنا، قام جيرانهم باقتحام بيتهم، وقاموا بجرجـرة ابنتهــم البالغة من العمــر أربع عشرة سنــة، وأخرجوها من البيت (وراحوا يهتكون عرضها).

بـدا لي كلامها متناقضــاً غير مترابط، فرحــت أستفسر منها عن حقيقــة ما حدث وقلــت لها: إن هؤلاء النـاس ينتمــون إلى طائفة واحدة

وحياتهم المعيشية واحـدة، حتى تجارتهم أيضاً، وبينهم صداقة متينة والطفلـة دائمًا تنـادي عليهم، تقول يـا أعمامي، ويا أخوالـي، لا بد أن نظرك أخطأ وتخيلت عينـاك أشياء... إلا أن زوجتي قاطعتني وأعادت علـى سمعي ما قالته من قبـل، وأصرت على أن ما رأتـه وقع فعلاً، وأن نظرهـا بخير والحمـد لله، ومع هذا سألتها سؤالاً آخـر يتعلق بالسلاح الـذي استخـدم مع الفتـاة، فأصرت علـى قولها وقالـت: شاهدت هذا السـلاح في يد هؤلاء النـاس الذين تظن أن وجودهم يعني وجود الأمن والذي تظن أن وجودهم يعني أنك في مأمن كامل.

فـي تلك الأثناء تناهى إلى سمعنـا صوت صفارة الإنذار، فاندفعت إلى طاق الحائط أنظر وأستكشف بنفسي حقيقة الأمر، وفعلاً شاهدت بـأم رأسي الطفلة البريئة ذات الأربعة عشر ربيعًا التي تسكن في البيت المواجـه لبيتنا، وهي ممـددة ترتعد وسط الشـارع.. وبقيت أشاهد ما يـدور.. جاءت عدة سيـارات شرطة وتوقفت ونزل منهـا أناس يرتدون أزيـاء مختلفة، تدل على أنهم ينتمـون إلى جهات مختلفة، دخلوا البيت المقابـل لبيتنا وراحوا يسحبون جثث الموتى مـن جيراننا، ويجمعونها علـى جانـب الطريق، ثم بـدؤوا يطرقون باب جيراننـا الآخرين الذين تحدثـت عنهم زوجتـي، وراحوا يوجهـون إليهم بعض الأسئلة ووقفت أشاهـد من طاق الجـدار هذه التمثيليـة المفزعة الرهيبـة.. شاهدت هـؤلاء الجيران يشيرون إلى ناحيـة بيتي، وفجأة بدأ جرس الباب يدق، فخرجـت.. بدأ هـؤلاء النـاس يحيطون بي، وراحـوا يبحثون عن بقع دم على ملابسـي.. واقتحم بعضهم بيتي، فارتعـدت وفوضت أمري، وأمر بيتـي لله وحـده، وعـاد هـؤلاء النـاس دون أن يجدوا ما يبحثـون عنه،

وتجمعوا حولـي... وأمامي كان أولئك الناس الذين اعتاد أولادهم على الذهـاب إلى المدرسة مع أولادي والذين كانت تربط زوجاتهم بزوجتي علاقات حميمة، راحوا يقولون للمفتشين في آن واحد ويشيرون مؤكدين إلـى وجود بقع دم على ملابسـي.. أصابني الذهول.. رحت أتحدث عن نفسي أخبرهم بأنني معلـم ومربٍّ فاضل للنشء وأديب أكتب الروايات والقصـص.. وكنت غارقًا فـي القراءة قبل أن أسمـع صفارة الإنذار.. لكن الأصابع كلها راحت تشير إلي..

بـدأت عملية اعتقالي تأخذ حيز التنفيذ، وبدأت لهجة خشنة تظهر فـي صـوت المفتشين، وفجـأة دبت الحركـة في جسد الفتـاة الجميلة البريئـة التي خيّـم عليها قبلاً سكون رهيب مـدة، شاهدها المفتشون، فساعدوهـا على الجلوس، ثم قدموا لهـا كوبًا من الماء لم تكد قطرات الماء تبلل حلقها الجاف حتى بدا الارتعاش على لسانها، وبدأت تنطق.. قالـت: إن جميع أهل بيتها قتلوا بخناجر هؤلاء الجيران الذين يشيرون بأصابعهـم.. وقالت عني وعن أهلي: إننـا طيبون شرفاء وإنها تعرضت لمـا تعرضت له من قبل هؤلاء الجيران الذين كانوا يشيرون إلي.. وقبل أن تكمل الفتاة كلماتها وجدتني أضمها إلي.. وانفجرت باكيًا.. شعرت، وكأنهـا ابنتي التي تعرضت لهذا العمل الوحشـي.. وانحدر رأس الفتاة البريئة ليستقر بيـن أحضاني، وبدأت أفكر: هل الأمان موجود حقًّا في حينا.. في حي «بوش كالوني» وفي شارع «بادهيا رود» أعني شارع «جامع مسجد رود» سابقاً؟!.

شعاع الشمس الأخير

للأديب: غافر شهزاد

غافر شهزاد من الأدباء الشبان الذين يحملون فوق أكتافهم هموم الشيوخ، في رأسه عدة عيون، ويمكن أن يرى الجهات الأربع دون أن يدير رأسه، ويمكن أن يشعر بالحقائق دون أن يراها، وقصة شعاع الشمس الأخير برغم أنها تبدو قصة تتعلق بالضرورات الإنسانية إلا أنها على مستوى آخر توضح الانتقام الرباني.

والقصة حكاية التقطها الأديب من أحد شوارع مدينة لاهور الباكستانية ووضعها في سيارة أجرة، ووصل بها حتى «عقب» باب البيت، وهي مأساة.. لكن مأساة من؟ هل هي مأساة الكاتب؟ هل هي مأساة القارئ؟ أم مأساتي أنا المترجم، أم هي مأساة المجتمع كله؟ لا بد أن المؤلف برع في سبك هذه القصة القصيرة، فتأثيرها يظل في ذهن القارئ مدة طويلة.

شعاع الشمس الأخير:

دار مع منحنى الشارع، واستقام «التاكسي» ومضى يقطع الشارع بسرعة، كان يمضي بسرعة، وهو يتطلع إلى مدى البصر، لكن وعلى البعد لم يلمح أي «زبون».

كان الوقت قبيـل العصر، الساعة الثالثة والنصف، وفي شهر يونيه عـادة ما تكون الشمس على ارتفاع ذراع وربع الذراع إلا أنها اليوم تبدو، وقد تدنت أكثر من هذا، وصار من الصعب أن يفتح الإنسان عينيه لينظر أمامه وسط هذه الحرارة المحرقة، توقف عند الإشارة الحمراء، فرأى على بعـد أقدام بعض الأطفـال، نظر إلى هؤلاء الأطفـال الذين ارتدوا ملابـس غطتها الوساخة والقاذورات من فـوق صدورهم، ومضى خلف «أمجي» كان «أمجي» ولده الوحيد، اسمه أمجد، لكنه حين بدأ النطق في طفولته كان يقول لأمه: «أمجي» وهكذا لصق به هذا الاسم «أمجي».

رقد أمجي في الفراش منذ خمسة أيام، وخلال الأيام الخمسة تلك مد والده قدميه أكثر من قدر لحافه، وعالجه من المرض الذي ألمّ به، لكـن الطفل كان مصابًـا بالحمى التي لم تتركه أبـدًا، وكانت الحرارة إذا مـا خفت شدتها قليلاً مدة بسيطـة فتح أمجي عينيه، فتعود الحياة والبريق إلى عيني أمه وأبيه.. أضعفت حمى الأيام الخمسة أمجد، جعلته كالقشـة، لم يكن بصحة جيدة قبلاً، لكنه برغم هذا كان يجري ويمرح هنـا وهناك، وكان يحيـل البيت إلى بهجة وسـرور بشقاوته، ولكن منذ الأيام الخمسة الماضية بدا البيت، وكأن ثعبانًا لدغه، لفه صمت رهيب لدرجة أن صوت أنفاس أمجد كانت تسمع واضحة.. وعمت الكآبة، وران الصمـت على جدران البيت، وحتـى على أبوابـه، وكأن عفاريت الغابة حلت بـه وسكنته، وخلال الأيام الخمسة فقـد الوالد كل طاقة بداخله، ووسـط هذا الاضطراب والقلق ونظـرًا لمشاغله ليل نهار لم يتمكن من الخـروج بالتاكسـي، ولو مرة واحـدة.. ذات يوم أخـذ التاكسي وخرج، وقبل أن يصل إلى الشارع العمومي دقّ قلبه وازدادت دقاته، ولم يتمكن من المضي لأمتار، فعاد بالتاكسي وأوقفه ثانية بجوار بيته.. كما كان.

اليـوم هواليوم الخامس، خـلا جيبه تمامًا من النقود.. لم يبقَ معه ولا روبية ليشتري الدواء الذي كتبه له الطبيب، تشجع وخرج بالتاكسي، فـي ذلك الوقت كان «أمجي» في حالة نصف إغماء، أو ربما كان نائمًا، لكن كان هنـاك نوع من الاطمئنان، فأنفاسه مـا زالت تتردد بداخله.. في ذلك الوقت كانت الطيور تأوي إلى أعشاشها وتحتمي بعضها بأوراق الشجـر.. تشجع وقاد التاكسـي إلى الشارع العمومـي.. كانت الكلمات المطمئنـة التي قالتها «أم أمجي» قد تراءت له حروفًا أمام عينيه، لكن فـي هذا الجوالحار لم يكن في الإمـكان وجود «زبون» يركب التاكسي.. في ذلك الوقـت تمنى أن يجد راكبًا يذهب به خارج المدينة إلى مدينة أخـرى، حتى يحصل منه على أجـرة معقولة، وحين راودته هذه الفكرة حـول اتجـاه التاكسـي ناحية طريق المطـار، لم يكن يـدري هل هناك طائرات قادمة أم لا..؟ لكنه عقد الأمل على هذه الفكرة، ففي لحظات اليأس القاتل يتصرف الإنسان هكذا..

عبـر «جسر شيرباؤ» ودخل منطقة «الكامـب» القريبة من المطار، وحين اتجـه إلى الشارع المقابل، وقعت عيناه مـن بعيد على صبي راح يشيـر إليه بعـد أن رأى التاكسي، وساوره الشـك أولاً، لكنه حين أوقف التاكسي وعاد إلـى الخلف رأى صبيًّا في الثالثة عشرة أوالرابعة عشرة من عمره، يجري بسرعة..

لقـد كان يأمل في وجود زبـون يأخذه إلى خارج المدينة؛ لينال منه مبلغًـا كبيـرًا، لكن هذا الصبي! لم يدر كيـف تراجع عن فكرة الذهاب إلـى المطار، وفي لمحـة أو أخرى وصل الصبـي، كادت أنفاسه تتقطع وبلله العرق كأنه خـارج من حمام، ومن كلماته المتقطعة نتيجة تلاحق

أنفاسه فُهم منه أن الدم خرج من فم أخته وأنفها، ولم ينقطع حتى الآن، ويود الذهاب بها إلى مستشفى الشيخ زايد..

كان مستشفى الشيخ زايد على بعد كيلومترات.. ماذا سيعطيه هؤلاء الناس؟ عشرون.. ثلاثون روبية، لكن دواء ابنه أمجي يحتاج إلى أكثر من هذا المبلغ، وقبل أن يضغط على «دواسة البنزين» لينطلق بالتاكسي نظر إلى الصبي، فطوقته سلاسل المسكنة المرسومة على وجه الصبي، فلم يتمكن من الحركة.. ولم يتمكن من الانطلاق إلى المطار..

البنت التي كانت في الغالب أخت هذا الصبي كانت في حالة سيئة.. كان الدم يندفع من فمها وأنفها دون توقف وبسرعة، فأركب البنت وأمها في المقعد الخلفي وهرول الصبي إلى المقعد الأمامي، ثبت عداد التاكسي وانطلق، عبر جسر شيرباؤ، ووصل إلى طريق السجن، وبدلاً من أن يمضي مع الشارع الموازي للنهر (وهوالطريق الأسرع) وجد نفسه دون أن يدري ينحرف إلى الاتجاه المعاكس، وفي مدة بسيطة كان شارع القائد الأعظم.

انشغلت الأم بمحاولاتها مسح الدماء المتدفقة من أنف ابنتها بقطعة من القماش، كانت على يقين من أن الصبي الجالس في المقعد الأمامي لا يعرف الطريق إلى مستشفى الشيخ زايد، وأمام بيت المحافظ وحين عرج على منطقة «شادمان» نظر في المرآة للخلف ليطمئن على أن السيدة لا تنظر إليه.. إلا أنه سمع الصبي يقول له: عمي، أسرع قليلاً يا عمي، فالدماء تسيل بسرعة، من فضلك يا عمي،

أســرع.. ومن شادمان وصل إلى طريق «فيروز بور» ثم اتجه إلى طريق النهر.

كانت السيارة تنطلـق بأقصى سرعة إلا أن أم الفتاة لم تتمكن من الشعـور بمسافة الذهاب التي طالت، مرة كانت تود أن تقول شيئًا، لكن وجههـا اتجه إلــى عيني الفتاة المفتوحتين نصـف فتحة وراحت تنادي عليها وراحت تصرخ وتصيح: «افتحي عينيك.. افتحي عينيك» لكن في تلك اللحظـات كان التاكسي قد خلـف وراءه المدينة الجامعية وانطلق من شــارع النهر إلى طريق الوحدة، حيث يقـع مستشفى الشيخ زايد.. وحيـن توقف التاكســي أمام «عنبـر» الإسعاف كانت الفتــاة في نصف غيبوبـة ولكن السائـق كان ينظر إلى عـداد التاكســي: خمسة وثلاثون كيلومتـرًا، أي مئة وستـون روبية.. حملت الفتاة إلــى حجرة الإسعاف، أعطت السيدة السائق عنوانًا وأرسلت معه الصبي وأخبرته بأن يحضر والــده بأسرع ما يمكن من المكتـب ويأتي به وأخبرته أيضاً: أن يقول له بــأن يعمـل حسابه على ترتيب نقل الدم، فلا بـد أن البنت ستحتاج إلى نقل دم بعد كل ما حدث.

لقـد مشى التاكسي مسافة لإحضار والــد الفتاة وترتيب كمية الدم المطلوبة جعلت الاطمئنان يبدوعلى سائق التاكسي، وهويقف في نهاية المطـاف أمام «عنبـر» الإسعاف.. كان الدخان منتشـرًا في كل مكان، وكان صـوت المـؤذن لصـلاة العصر يسمع مـن بعيد، ورؤيــة الطريق وسـط هذا الدخان الكثيف متعـذرة، ومع هذا اتجه إلى الشارع المؤدي إلــى بيته وانطلق بأقصى سرعة.. وفـي الطريق لم يدرِ من أين اشترى الــدواء، اكتشف ذلك فقط حيــن أوقف التاكسي في شــارع واسع وراح

يهـرول بنفسه متجهًا إلى حارة باتســاع ثلاثة أذرع، وبعدها بأمتار كان أمــام البيت، وكان قد تعـود أن يوقف التاكسي خلـف الحارة المواجهة لبيتــه، لكنه شعــر أن ذلك سيستغرق منه وقتًا أكثــر.. كان يود أن يوفر دقيقة، وحتــى لحظة.. فالمسافة بين الشــارع الواسع والحارة الضيقة تستغرق فقط ثلاث أو أربع دقائق.

حين فتح باب البيت وجد البيت كله، وقد لفه الدخان، ولم يدرِ من أين جاء كل هذا الدخان، ووسط الدخان وقعت عيناه على وجه زوجته، ثــم على أمجد الــذي كان راقــدًا وعلى وجهــه مسحة مــن الاطمئنان، وبجواره تراءت له تلك الفتــاة ترقد على السرير المجاور، كان السرير ملطخًا بالدم الأحمــر القاني، بينما قطرات الدماء تتساقط واحدة تلو الأخرى على الأرض، وجاءت سحابة من دخان، فحمل الاثنين معًا في حضنــه.. ومن بعيد تناهى إلــى سمعه صــوت الأذان.. ولحظة من بعد أخرى لفت الظلمة كل شيء.

شوكة في بستانك الجديد

للأديبة: عقيلة كاظمي

إذا كانت الأديبة عصمت تشغتائي قد عبرت في قصصها المليئة بالأسرار عن المشاعر الجياشة للشباب في تفتح براعمه الأولى، وكذا عن ثورة هذه المشاعر، فإن الأديبة عقيلة كاظمي قد مزجت في قصصها بين الصراع الداخلي لأفراد الأسرة داخل البيت الواحد من ناحية وخارجه من ناحية أخرى، فهي تشعر – وشعورها صحيح – أن القرارات التي تصدر عن العواطف كثيرًا ما تشعل نيران الفتنة والفساد في ساحات البيوت، وهي نيران إذا ما اشتعلت، فلن تنطفئ.

ومن هنا كتبت عقيلة كاظمي قصصها القصيرة؛ لتعبر عن حياة الأسرة بأكملها، بدلاً من عرض الصور الفردية للمرأة، كما فعلت عصمت تشغتائي. وقصتها «شوكة في بستانك الجديد» تعبر عن الصراع العاطفي داخل أسرة حطت عليها الثروة فجأة، وتعكس بعدها النتائج المفزعة والشنيعة التي تظل في ذاكرتنا على الدوام.

شوكة في بستانك الجديد:

كانت سعدية أختي الشقيقة؛ لذا فأنا أعرفها وأفهمها جيداً، وكانت بحكم كونها الصغرى في البيت محببة مدللة من الجميع، فارقت الأم الدنيا، ولما تكمل سعدية عامها الأول، فأعطاها الأب من رعايته وحبه ما حاول به أن يعوضها عن فقدان الأم، لكن ربما لا يمكن للآباء أن يعوضوا فقدان الأمهات مهما فعلوا... فالأمهات مهما كن، فهن يعوضن احتياجاتهن بفيضانات من المحبة لا نهاية لها.

ولم تكد سعدية تصل إلى الصف الرابع في المدرسة حتى حرمت من ظل أبيها، فواجهت زوجة الأب، وكان من خير الجميع أن الله لم يرزقها «بالخلفة» من ناحية، ومن ناحية أخرى أنها كانت ابنة خالة أبينا، فكان قلبها مملوءًا بالحب والرحمة، وهكذا تربت سعدية في حضن «ناصرة بيغم» وكانت أحيانًا تنال ضربًا وتأنيبًا منها.

عشق الجميع شكل سعدية الساذج، عينيها الزرقاوين، ولون بشرتها الفاتح وشعرها الأسود الفاحم المجعد(*)، وقدها الممشوق، ولما كانت نحيفة القوام فقد بدت للجميع كأنها «عروس دمية».. كانت تدور في الحواري شعلة من النشاط، تعشق اللعب، تقلد هذا وذاك، وهي تقفز هنا وهناك.

أما عن حكاية تحفيظها القرآن الكريم، فهي حكاية لا تنسى.. حدثت مشكلات لا حصر لها.. يا إلهي، فبينما يأتي «الفقيه» الذي يقوم

(*) الشعر المجعد رمز للجمال في شبه القارة الهندية.

على تحفيظها القرآن تغيب سعدية، ويبدأ الصياح والصراخ للبحث عنها، ويجري أطفال الحي هنا وهناك يبحثون عن سعدية، ولكن لا أثر لها.. وهكذا كانت تغيب عن الدرس عدة مرات في الأسبوع الواحد. وفي نحو سنتين مرت أيامها طويلة. ختمت سعدية القرآن الكريم، وكان هذا الفخر من نصيب ناصرة بيغم التي علمتها الصلاة والصوم، وكل ما يتعلق بالتربية الدينية بكل معانيها..

وظلت سعدية تتدلل على الجميع، في الصباح تنهض من نومها دائمًا متأخرة، يعلو الصراخ ويستمر دقائق، تمر كالساعات، وسعدية تغلق «أذنًا من طين وأخرى من عجين»، وفي وقت الذهاب إلى المدرسة تنهض قبلها بعشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة، فتغسل يديها ووجهها وكأنها تعبث بالماء بيديها وتمشط شعر رأسها من أعلاه فقط، ثم ترتدي زي المدرسة وتنطلق من البيت.. لكن كان هناك شيء واحد، فبرغم كل هذه الفوضى فيها إلا أنها كانت تبدو لكل من ينظر إليها نظيفة طاهرة، وكانت بطبيعتها سريعة البديهة ذكية تلتقط كل ما يتعلق «بالموضة»: فهي تطيل أظافرها، وتأخذ المقص من البيت وتقصر شعرها، ثم تعقصه وتنزل بعض الشعيرات على جبهتها، فيزيد هذا من جاذبيتها، ويبرز ملامح شقاوتها.. كم من مرة أنّبتْها المدرسات على هذا ولكنها لم تتراجع..

ومرت الأيام وكبرت سعدية.. صارت شابة ناضرة، وبدا في عينيها الزرقاوين مزيد من اللمعان، ومزيد من العمق، وزاد اهتمامها «بالموضة» أكثر فأكثر، وكم كانت تود أن تزيد من اهتمامها، ولكن ما باليد حيلة، لم يكن لديها السبيل إلى هذا لضيق ذات اليد، فبعد وفاة

الوالد عمل الأخوان.. كل واحد في وظيفة على قدر حاله. وكانا يقاسيان شظف العيش، إلا أن أحدهما ظل يتلقى تعليمه، بالإضافة إلى وظيفته. زاهـد الـذي أحب سعدية حبًّا لا حـد له، كان إذا أحضـر طعامًا للبيت سلمـه لسعديـة، وكان إذا أراد المزاح أو الضحك ضحـك مع سعدية، المهـم أن تمييزًا وتفضيلاً حدث بين الأختيـن في البيت الواحد.. نعم الأخ الأكبـر شاهـد غير متحيز لأحـد منهما، كان «درويشـا» يعيش في حالـه إلا أنـه كان يحسن السلوك مـع الجميع على حد سـواء ولهذا لم يحدث أن اشتكى منه أحد أبدًا.

كانت سعدية ذكية شقية، وكما تقول ناصرة بيغم عنها دائمًا: «إنك تراهـا أمامك وفي لمحة تنشق الأرض وتبتلعها» أما أختها شاذية فهي «بنـت دوغري» على طـول لا تعرف اللف أوالدوران، وهـي دائمًا موضع نقد سعديـة، كانت شاذية تمضي طوال يومها غارقة في الكتب، تنتحي جانبًـا ويلفه الصمت، وهكـذا تعيش حياتها، لكنها فـي نظر أهل بيتها فتـاة حمقاء من الدرجة الأولى، لا وزن لـرأي تقوله، بل تؤمر بالسكوت قبل أن تنطـق بلفظ واحد.. لكن الوضع بالنسبـة لسعدية مختلف فهي مقبولـة لدى الجميع، ربما لأنها دائمًا تتولى أعمال المنزل ولديها شوق ورغبـة في الحياكة وأشغال الإبرة والتطريـز.. لا شك في أنها بالنسبة للدراسـة حصلت على درجات متدنية فـي امتحانات الثانوية، ومع هذا فقد فرحت كثيرًا، إذ وجدت ذريعة للتخلص من الذهاب إلى المدرسة.. لا كتاب ولا مجلة ولا جريدة! فلم يكن لديها اهتمام بمثل هذه الأشياء.

اعتـاد معظّم ابن جيراننـا أن يأتي إلى بيتنا، كان على درجة عالية مـن الذكاء، كثيـرًا ما كان يستغل سعدية مداعبًـا إياها، كما كان يقوم

بمساعدة ابنة خالته بدفعها على الأرجوحة إلى أقصى ارتفاع يمكن أن تصل إليه، كانت ابنة خالته صديقة لسعدية وأمينة أسرارها، فكانت تحكي لها قصصًا عن «معظّم» تثير غضب سعدية إلا أن سعدية كانت تتحمل قولها وتكتم غيظها، ولا تبيح به لفاطمة.

في البيت وقع يدهم على خطاب لسعدية، لكن أحدًا لم يناقش الأمر، «إنها طفلة» قالوا هذا لإغلاق ملف الحديث عن هذا الموضوع، وكان هذا من حسن حظها، وإلا فأسرة سعدية محافظة جدًّا، ولا تتهاون في مثل هذه الأمور، كما أن سعدية من ناحية أخرى لم تكن مثل البنات اللاتي يجعلن من الحب الأول مرضًا يعشن به طوال حياتهن، أو من البنات اللاتي يهوين ذرف الدموع على ما فات، فهي من النوع القائل: «إذا لم يوجد الآن فليكن فيما بعد وإلا فليكن بعد ذلك»... وحدث أن ولد في بيت الأخت الكبرى طفل، ثم توفي على الأثر، وذهبت سعدية إلى أختها في كراتشي، وهناك مال قلبها إلى ابن عمها «برويز»، وكان برويز شابًّا عاطفيًّا حساسًّا، في طبيعته شيء قليل من الجنون، وكان إذا رأى سعدية الشقية المرحة تنظر إليه حاول التفاني في استمالتها، فعمد إلى التعريج على بيت أختها كل يوم، واستمر في محاولته.. كان والده من الأثرياء الكبار، ومع هذا فقد كان يتصرف تجاه سعدية كخادم مسكين؛ ليدخل السرور إلى قلبها، بينما كانت سعدية تمطره بعبارات المزاح والدعابة الممزوجة أحيانًا بالسخرية: «إيه يا برويز، لماذا تتأخر هنا كثيرًا؟ يا «دلوعة البيت»، اذهب، هيا، سيضربك أبوك» ويظل برويز المسكين جالسًا يفور من الغيظ، وعيناه تقدحان بالشرر، وأحيانًا يثور، ويقول:

«والله.. انظري يا أختاه – موجهًا حديثه إلى الأخت الكبرى – كيف تسخر مني سعدية، على كل حال أدعو الله أن يعطيني الثروة والمال وأن أكون مدللاً؛ حتى يمكن لسعدية أن تسخر مني حقاً».

وتقاطعه سعدية: «لا، لا، لماذا.. أحوِّر الكلام.. اذهب.. اجلس في حضن أمك وأبيك، من هنا يهتم بمثل هؤلاء الناس؟».

تحفـزت سعدية كقطـة شرسـة، فأصابت برويـز بإحساس ساوره كأنها تقول له: أمثالك كثيرون، ولكنها في الوقت نفسه غيرت طريقتها وسقته من عينيها كأس المحبة... وكانت هكذا دائمًا مرة تمنحه نظرة مـن عينيها، ومرة تناوله منديـلاً أو «أزرار» قميصـ، ومرة أخرى تعد له بيدها فنجان شـاي ساخن، وتقدم له بعض الرقائق المقلية.. وذات يـوم وضع برويز في إصبع سعدية خاتمًا من الفضة، وضعه في إصبعها وهـو غارق فـي مشاعر عاطفية جياشـة، وقبلت سعديـة الخاتم، وهي تظهر لـه تدللاً شديداً.. فوعدهـا برويز، قائلاً: إنـه سيحطم حواجز الثـروة، وسيعلن العصيان وسيجبـر والديه على قبول زواجه منها.. لم تدرِ الأخت الكبرى شيئًا مما كان يدور، أما سعدية فقد عادت إلى لاهور بعد أن قضت شهرين في سعادة وهناء.

أخـذت ناصرة بيغم الفتاتين في زيارة لقريتها، كانت هذه أول مرة تشاهـد فيها سعدية وشاذية حيـاة الريف، قضت الأختـان وقتًا ممتعًا وتأثـرت جميـع بنات القرية بهاتيـن الفتاتين القادمتيـن من المدينة. وفي القرية نفسها كان لسجـاد حسين أحد ملاك الأراضي أربعة أولاد أصغرهم أنهى دراسـة الماجستير في الأدب الإنجليزي، وكانت أمنيته

أن يتـزوج من فتـاة متعلمة من المدينــة، وكانت سعديــة فطنة للأمر، فبـدأت تضـع يدها في يـد أخت شاهـد الكبرى، راحـت تتقرب منها حينًـا وتظهر لها الخجـل حينًا آخر، وتقدم لها «بلوفـر» أوبعض أعمال «الكروشيــه»، أمـا صفية فلم تكن بقـادرة على البقاء بعيـدًا عن تأثير سعدية.. وفي البيت ذاع صيت سعدية وراح الكل يمتدحها، ويتحدث عن صفاتهـا الطيبة، وكانت هي بطريقــة أو بأخرى تظهر على شاهد. وفي النهاية أعلنت خطوبة سعدية وشاهد، وأرسلت برقية إلى أخيها وبدأت سعديــة تشعـر بإحساس النصـر فرحة مسرورة. بينمـا راحت ناصرة بيغم تعاكس شاذية وتثيرها وتستحثها في الوقت نفسه: «انظري ها هي سعديــة ستذهب إلى «بيت عدَلْها» حيث ستعيش في سعادة وراحة ورغد العيش، وأنتِ أنتِ لن يسأل عنك أحد، ولن ينظر أحد في وجهك».

كنـت أفور من داخلي، أبكـي بدل الدموع دمًا، وقمـت بالامتناع عن أعمال البيت احتجاجًا، وأغلقت على نفسي الغرفة، وبقيت ليل نهار قابعة فـي سريري أضع رأسي بيـن كفي كالمجانين أو أغـرق نفسي في قراءة الكتـب. في تلك المـدة اهتمت بي سعدية كثيـرًا... كانت تقوم بإحضار الطعـام إلى غرفتـي، تغسل ملابسي، إلا أنها لم تكـن تجبر بخاطري أو تواسينـي بكلمـة واحدة، ولم تكن تعيرني أي انتبـاه، كنت أود من صميم قلبـي أن تحدثني أو تواسينــي ولكنها كانت تمضي إلى حـال سبيلها ليل نهار، هاشة باشة ضاحكة، تترنم بألحان أغنية أو تدندن بكلماتها.. وفي اليوم الثالث أو الرابع حضر خطيبها إلى البيت أيضاً، فأعدت سعدية ما لذ وطاب من ألوان الطعام، لم تخلع سعدية خاتم برويز الذي أهداه إليها قبلاً، وحين عرف برويز ذلك حضر وعلى وجهه أمارات الحزن، حتى كاد

يبكي، ولكن سعدية ومن دون خجل راحت تُسمعه كلامًا مهينًا: «أمك هذه لـم تكلف خاطرها وتأتي لترينـا وجهها، ولو مرة واحـدة وحتى لو كانت رضيت بزواجنا إلا أنها ستظل كما هي، إنكم تخيفوننا بثروتكم وغناكم! أمـا هؤلاء الناس الذين ارتبطت أنا بهم فهم من القرية، وأنا قادرة على أن أخيفهم دائماً» وبرويز المسكين لا يدري ما يقول، فيصمت..

في تلك الأيام تم زواجي على شاب فقير أمّيّ لم يذهب إلى مدرسة، ولا حتـى إلى كتّاب، وبعد زواجي بسنـة تزوجت سعدية من شاهد وكان الذهاب إلـى القرية للزفاف، وبعد أسبوع استأجـر زوجها بيتًا في حي راقٍ بلاهور، وبـدأت سعدية تعيش حياة هانئـة سعيدة تحررت خلالها مـن كل تفكير أو هـم، كان أهل زوجها قد بـدؤوا يخشونها فعلاً، وبدأ زوجها يلبي كل طلباتها وبدأت النقود تطير من يدها هنا وهناك.

كانـت سعدية فـي البداية صاحبـة مزاج، كانت مغرمـة بكل شيء ومولعة بكل ما ترى، والآن وجـدت متنفسًا لتحقيق كل رغباتها، فالمال وافر والزوج مطيع، فأظهرت ما كان بداخلها من رغبات، وراحت تعيش حيـاة تحقق فيهـا كل ما تصبوإليـه: الملابس.. أحـدث «الموديلات»، الذهـب والمجوهـرات، وكل مـا يمكن أن تفكـر فيه امـرأة من مباهج الحيـاة.. كانت سعدية كما هـي دائمًا لا مبالية، معتدة بنفسها، سلمت البيـت كلـه للخدم، بعد سنة وهبها الله طفـلاً، والآن ثبتت أقدامها في بيتها وبين أسرة زوجها..

أمـا أنـا، فكنت أشعـر أمامهـا بالإحساس بالنقص، فلم يرزقني الله الولد، ولم يهبنـي الثراء الذي تتمتع به سعدية، وكنت دائمًا أذهب

إليها، وأنا مغلوبة على أمري كالمستضعفة، وسعدية كانت على قدر كبير من الذكاء والدهاء أيضًا، فقد كانت تقوم على خدمة زوجها بنفسها وتظهر له حبها وتستميله بدلالها، ولكنها إذا ما كانت تراني أخدم زوجي بأسلوبها نفسه توجه الحديث إلى زوجها، قائلة: «انظر كيف تعمل كالخادمات، إنه لا يعيرها أي اهتمام وهذه المسكينة في سبيلها إلى الموت، آه لو نفسه كنت في مكانها لطلقته بالثلاث وانفصلت عن مثل هذا الزوج! «وشاهد المسكين شابًّا قرويًّا بسيطاً كان يسمع هذه الانتقادات، فيصاب بالذعر... والحقيقة أن سعدية أصبحت سيدة طيبة من داخلها تحب كل من حولها إلا أن نقطة الضعف الوحيدة عندها كانت محاولتها إثبات مكانتها في أي مكان حلت به، وهي تريد أن تعلن للجميع أنها تنتمي إلى أسرة ثرية، وربما لهذا السبب وفِّقت في حياتها حتى الآن وعاشت ثرية، فالناس دائمًا ومنذ صغرها كانوا يأخذون بيدها ويساعدونها، وبعد الزواج عاشت حياة ناعمة، وهذا لا يحدث مع كل فتاة في مجتمعنا، فأنا نفسي أختها ومضيت في حياتي على الصراط المستقيم، فنجاحاتها أوجدت بداخلها الإحساس بالعظمة.

بدأت مراسم زواج أخي، وبرغم أن سعدية هي الصغرى بيننا إلا أنها كانت دائمًا في المقدمة، الأخت الكبرى وأنا، كنا من الناحية المالية فقراء لهذا كان نجم سعدية يعلو في الأسرة، المجوهرات تُشترى بمشورة سعدية، الملابس تحاك طبقًا لرأي سعدية، وكل شيء يتم بناء على رغبة سعدية، وناصرة بيغم أيضاً وضعت على الرف! لم يعد أحد يهتم بها والمسكينة تلقي علينا نحن الأختين الكبريين بسهام سخريتها، فتقول:

«إيه.. شاذية! أسمعت؟ سعدية اشترت للأخ هداياه التي سيقدمها لعروسه، أوه! اشترت طقمًا ذهبيًّا رائعًا.. هل رأيته؟».

«لا يا أماه.. لا علم لي بهذا الأمر» أجيب عليها، وأنا أبكي من داخلي.

«آه، من يسأل عن أمثالك أو أمثالي؟! حسنًا، فأنا مهما كنت زوجة أب لا أكثر ولا أقل، لكن أنت ونادية الأختان الكبريان، وأنتما شقيقتان».

وكانت ناصـرة بيغم في الظاهر تبدي تعاطفًا معنـا، فتوجه أسئلة ونحن الأختان تصيبنا سهام الجراح، وكانت تحاول أن تبدي ابتسامات كاذبة وضحكات جوفاء، وهي تنظر إلى وجهينا.

وأخيـرًا، وبصعوبـة كان يوم زواج أخـي، فزواج الإخـوة مثل زواج الأخـوات كان أعظـم أمنيـة.. فـي يـوم الفـرح ذهبنا ونحـن نتظاهر بالمماطلـة، وكانت زفة العروس إلى مدينـة أخرى، حيث عقد القران، وكانـت السيارة التي تحملنا قد تخلفت عن ركب المدعوين. أما سعدية فجلسـت مع العروس وعريسها في سيارة المقدمـة، ونزلت في بيتهما لتتولـى تسلم «النقوط» والإشراف علـى ترتيب إتمام مراسم احتفالات الـزواج.. وابتداء من إعداد الحلوى حتـى مراسم غسل أقدام العروس كانت سعدية في المقدمة.. وحين وصلت مع الأخت الكبرى كان العريس وعروسه في حجرتهما، بينما كان بقية المدعوين نظرًا للتعب والإرهاق يستعـدون للنوم، فنظرت إلى الأخت الكبرى نظرة حملت لها كل معاني المسكنـة والمذلة، فما كان منها إلا أن خفضت رأسها، وكأنها تقول: لا حـول ولا قوة لنـا بما يدور هنا.. أما سعديـة، فبالإضافة إلى سيطرتها

التامـة على زوجها، فقد وضعت الأخ تحت إمـرة محبتها، حتى إنه راح إذا مـا اشترى أي طعام أو فاكهة أودعها يد سعدية بدلاً من أن يعطيها إلـى عروسه، وكانت العروس تلوي شفتيهـا وتنتفض كمهرة غاضبة ولا أكثر من ذلك. وعدنا كلٌّ إلى بيته بعد انتهاء احتفالات الزواج المعهودة أنـا وسعدية، فكانت قد ثبتت أقدامها في بيت الوالد، وبعد أشهر انتقل شاهد إلى بيت آخر.

أنجبت زوجة أخـي طفلة انتقلت إلى رحمة الله، بعد ولادتها بأيام، وقالـت سعدية على الفور: «سوف يكون لهـا سبع بنات سوف يكثر عدد بنـات أخي..» التحـدث بمثل هذا الكلام غيـر المناسب كان من فطرة سعدية، ويعلم الله متى يخرج مثل هذا الكلام من فمها.. لقد وهبها الله خمس بنات.. توطدت العلاقة بين الأخ والأخت الآن، فزاهد أكمل تعليمه وبدأ في ممارسة أعمال تجارية عادية، وراح بعدها يتوسع ويتوسع، حتى صـارت أعماله على نطاق واسـع، وسعدية كان زوجها أستاذا بالجامعة وكان يمتلـك بدوره أربع قطع من الأرض تقـارب مئة فدان، والأسرتان الآن تذهبـان لمعاينة قطعة أرض، والآن يعد برنامجًـا لزيارة منطقة مري، حيث تقضي إجازة الصيف.. وهكذا توطدت العلاقة..

ومـرة كنت أجلس في بيت سعدية، وجاء أخي زاهد مع زوجه ووجه حديثـه لسعدية: «هيا هيـا يا سعدية، قومي لنذهب إلـى «حي الورود»، سـوف نتناول الطعام هناك أيضاً» وتشعر سعدية بقليل من الخجل لعله خجل مصطنع، ثم يصيبني أنا الخجل الأكبر، فأنهض من فوري:

«سعدية.. لقد تأخرت، سوف أرجع إلى بيتي».

وتقول سعدية: «اجلسي..».

وتمضــي سعدية فــي أداء دورها على أكمل وجــه، ولكني أخرج من فــوري.. آه كيف لي أن أعبر صحراء هــذا الإيذاء وحدي؟! إن الأنقاض بداخلــي يمكن أن تخبرني بأنني صرت حطامًــا، وتبعثرت هنا وهناك، وبرغــم أن سبيل الرفاهية وراحة البال قــد تيسرت تمامًا إلا أن سعدية قــد أصابها الكفر بالنعمــة، فهي لا تشكر اللّه أبدًا علــى ما هي فيه ولا تؤدي حقه..

«أخــي.. إن أهل هذه القرية قد أصيبوا بالبكــم، لقد نسوا إكرامي لهــم... انظــر الواحــد منهم تــراه إذا مــا كان عنده عمل فــي المدينة وضع «التلفيحة» على كتفيه، وحمل حقيبته ومضى متبخترًا يدق الأرض مــن تحته.. أختي شاذية! أنــت محظوظة ليس لك حمــاة، أقصد أختًا لزوجــك.. بالنسبة لي أخوات الزوج الثلاثــة... واحدة ترملت، وأخرى تمســك دائمًا بتلابيبي، وثالثة تركب فوق رأســي لا تتركني ستة أشهر، ثم العم ووالد العم والأطفال، وما أدراك ما الأطفال!... أوه!».

عرفت سعدية أن «معظّم» أخذ أولاده وذهب إلى السعودية.. فماذا تراهــا تفعــل؟ إنها تحاول أن تجــد طريقًا للسفر إلى الخــارج، وشاهد متقلــب المــزاج، يتضايق سريعًا، لا يريــد أن يفارق إخوتــه وأخواته أو والديه، ولكــن لما كان الأمر أمر سعدية، وذلــك بذكائها ودهائها، لذا أوصلته إلى زاهد، فاستفسر من معظّم عن كل التفاصيل..

أعــد العــدة.. وانطلقت سعدية بزوجهــا وأولادها إلــى السعودية.. وبعــد سنتين جاءت في إجازة.. زادت معلوماتهــا زيادة ملحوظة، فهي

الآن تتحـدث عن السفن والطائـرات وعن المضيفات وتقدح في حقهن بكلام كثير، ثم تحاول تقليدهن.. وراحت سعدية تتحدث خليطاً عجيبًا مـن الإنجليزيـة والعربية، وأهـل القرية البسطاء يستمعـون إليها وهم صامتون، فقد وزعت عليهـم الهدايا وأعطتهم الهبات، إلا أن «شاهدًا» صـار كغصن ذبـل وذوي.. وأظهر الجميع علامـات الحيرة الممزوجة بالتعجـب! ولكن سعدية كانـت منغمسة في ثروتهـا ومباهجها لا تشعر بشيء مما يدور حولها.

لاحـظ زاهد الأمـر؛ لأنـه كان الأقرب إلـى سعديـة، فسعدية كانت بالنسبة له الأخت المفضلة دائمًا، فاستشار الأطباء فشخصوا المرض... سرطان! سمع زاهد ما قاله الأطباء، وعرف الجميع الأمر، وظهرت آراء هنـا وهناك، لكـن كل واحد تمنى أن لم يحدث ما حـدث.. بدأت مرحلة العـلاج وأرسل شاهـد إلى خارج البلاد.. وأنفقـت الأموال الطائلة، لكن إرادة الله حلت في عبده المريض، فانتقل إلى رحمة الله..

وترملـت سعدية فـي عز شبابهـا.. لديها من الأولاد نصـ «دستة» وتحولـت لياليها الفضيـة إلى ظلمة حالكـة، إلا أن جبل الحزن هذا لم يجعل سعدية تنحني وظـل دماغها وسط هذه الظروف يعمل بالطريقة نفسهـا التـي كان يعمل بها قبلاً.. وقـد حدث أن استـوردت سيارة من السعوديـة، وكان عليها أن تدفع «جمركها» البالغ ٣٥ ألف روبية تقريباً، فطلبت سعدية من الأخ الأكبر لزوجها أن يدفع «الجمرك» ففعل، وبعدها قالت سعدية، وهـي تتمايل، وتلوي لسانها بالكلمات: «أتظنيني أرد هذا المبلـغ لهم؟! هيه! هؤلاء النـاس أكلوا جميـع محصول أرضنا كلها، فلو «دست» على هذا المبلغ، فلا بأس!».

ورحت في عالم من الحيرة، وأنا أتأمل وجهها، إن أهل زوجها أثبتوا حقيقــة أنهم أناس طيبون، لقــد رعوها كل رعاية واهتموا بكل طلباتها، ولكــن سعدية التي كانــت أحيانًا تتملقهم في وجــود شاهد كشفت الآن بــكل وضوح عن وجهها الكالح، فإذا جــاءت أخت زوجها الأرمل وجدت من ابنهــا كل إهانة، فتعود المسكينة أدراجها باكية مكسورة الخاطر.. تذهب إلى الأخت الكبرى تشكو لها:

«أختاه أنت تسكنين في بيت سعدية، أنت تضربين بالحذاء، لكن ما ذنبي أنا يساء إلي من أطفال صغار؟!».

ولــم تعــد صفية تأتــي ثانية إلى بيــت سعدية، وكان هــذا ما تريده سعديــة، كانت إذا جــاءت زوجة الأخ الأكبر تقــوم بالإساءة إلى أخوات الــزوج، وإذا جــاءت أخوات الزوج تقــوم باغتياب زوجــة الأخ الأصغر، وإذا جــاءت جارة لها أسمعتها حكاية عن جــارة أخرى، وأشعلت نيران الفتــن في بيوت كثيــرة، وتسببت في عراك العديد من النـاس. ومع هذا فالله وحده يعلم أي سحر كانت تمتلكه سعدية! فقد كانت لها القدرة في تسوية الأمــور وحسمها طبقًا لما تريد ويــروح الناس يزورونها ويلتقون بها من جديد.

كانت حرارة الشباب تلهبها، فتتحدث بكلام يجعلني وأختي الكبرى ننظــر إلى بعضنا ونسكــت.. ومن هذا أن الأخ الأصغــر للزوج اعتاد أن يأتــي من القرية مرتين كل شهر، فكانــت سعدية تقوم عمدًا بالاقتراب منــه والاحتكاك به، ويبدو هــذا من الظاهر لا عيب فيــه إلا أن سلوكها علــى كل حال كان يعطي هذا الإحساس.. لكــن الرجل متزوج وصاحب

أولاد، وأكثر من هذا رجل شريف، فهو يرعى زوجة أخيه كونها أماً.. أماً للأولاد.. لأولاد أخيه، لكن بداخل كل إنسان شيطانه أيضاً، ومن هنا إذا مات وجد فرصة ليسقط الإنسان من رفعته وعظمته إلى الحضيض.. كان دلال سعدية الأنثوي يجعل وجه إلياس يحمر ويصفر ويخضر، لكنه كان يتمالك نفسه، وفي النهاية أقلع عن المجيء إلى لاهور، وإذا ما حدث وجاء لظرف ما، كانت سعدية تتصرف بطريقة طبيعية.

بعد الإقامة في «جهلم» كانت تخرج من القرية أحياناً، كان الأولاد صغارًا، وهنا أيضاً أكملت العدة بعد موت زوجها، إلا أن سعدية صارت مصابة بمرض نفسي، كان معظّم قد عاد من السعودية، فاصطحب أسرته، وجاء إلى بيت سعدية، فتبادلت معه أيضاً بعض الجمل من تلك التي تحمل مغزى ما، كانت أي امرأة تتزين بالذهب والمجوهرات تجعل سعدية تستاء منها، بل تشعر نحوها بالضيق والغضب ويتكدر خاطرها، وحدث أن ذهبت لتحضر حفل زواج أقارب حماتها، وهناك وجد نساء إخوة زوجها، كن قد وضعن زينتهن من الذهب، وكان هذا أمرًا عاديًّا في هذه المناسبة، لكن سعدية كانت تجلس هنا تارة وتقعد هناك تارة أخرى، لا يقر لها قرار، وتظهر ما يتفتق عنه قلبها من مرارة: «كل شيء أعد من أجل كيدي، أتظنوني لا أعرف أن «صغرى» زوجة أخ زوجي ليس لديها أدنى اهتمام بالتزين بالذهب..»».

ويحاول الجميع إفهامها، لكن سعدية هي سعدية.. كيف تقلع عن حيلها؟! ذات يوم وصل الأمر مداه.. كان ذلك يوم عيد، والجميع أعد عدته لمثل هذا اليوم، وبنات سعدية كبرن وبلغن سن النضج، ولبسن أيضاً الأساور والخواتم والأقراط، وفجأة نظرت سعدية إليهن

واغرورقت عيناها بالدموع: «حين يضع أي شخص الأساور في يديه، فإنني أشعر بالنار تسري في جسدي». وحاولت أختها الكبرى أن تفهمها: «أجننت أنتِ..! إنهن بناتك، قطعة منك، فلذات كبدك، كيف تفكرين بهذه الطريقة، وفي المستقبل ستأتي إلى بيتك زوجة ابنك، ولن تتحمل كل هذه الأمور»! فردت سعدية: «على حذائي! لا تهمني هذه، فهذا بيتي وهذه أرضي وكل شيء هنا ملكي»! وتخرج من فمها هذه الكلمات والعبارات غير اللائقة على الإطلاق.

ويصاب الجميع بالصدمة، لقد احترمها الجميع كثيرًا وتحملوها مقدرين ظروفها، وأنا نفسي لم أكن أذهب إلى بيتها، وفي يدي أساور أو في أذني قرط أو في إصبعي خاتم أو أي شيء من هذا القبيل، ولم أكن حتى أضع أي مساحيق تجميل على وجهي، لكن سعدية لم تكن تتراجع عن حركاتها تلك، كان لها ابن وفق الله طريقه وأصبح مهندسًا، وبناتها - ما شاء الله - تزوجن جميعًا.. لكن سعدية تناست علاقة المحبة التي ربطتها يومًا ما بإخوتها وأخواتها وأشربت بناتها وابنها مشاعر الكراهية تجاه الأخوال والأعمام، وكأن أحدًا من أفراد الأسرة ما كان يرعاها يومًا من الأيام.. وهكذا صار لسان الابن لا ينطق إلا بالشتائم ولا يلفظ إلا بالسباب. أما البنات، فقد فقن الجميع بجاحة وسفاهة، وكانت النتيجة أن فقدت سعدية احترامها أمام الجميع.. ولم تفق سعدية مما هي فيه برغم كل هذا، وراحت تتباهى بأولادها وأموالها.

وجاء يوم الفرح والسرور الذي تنتظره كل أم، اختارت سعدية عروسًا كالقمر لابنها أضاءت بها البيت، واشترك الجميع بالأفراح

والاحتفـالات بكل ما لديهم، وتم الـزواج على خير بعون الله، لكن كيف لسعديـة أن تغير عاداتها.. لقد استمرت توجـه النقد لزوجة ابنها: «يا أختي، إن إغلاق باب الحجرة والنوم حتى العاشرة يتعارض مع تقاليدنا وقيمنـا.. انهضي في الصبـاح الباكر..» وتريد سعديـة أن تفرض على العروس كل شيء: «ياه.. يا عروسة، ما هذا اللون الذي تختارينه.. أوه.. هـذه الأساور الفضية.. هذا لا يناسبك، ضعـي في يدك هذه الأسورة، أرى أنها تناسب هذا الرداء الأحمر، ولا بأس من هذا العقد الرائع حول رقبتك..».

كانت سعدية تبدي رأيها في كل صغيرة وكبيرة، بينما العروس التي لـم يمضِ علـى عرسها إلا أسابيـع قليلة تغلي من داخلهـا، لكنها كانت تتحامـل على نفسهـا، وتصمت... برنامج الذهـاب إلى منطقة كاغان الجميلة أعد من أجل قضاء شهر العسل إلا أن سعدية تقحم نفسها في الأمر وتثير سفسطة وجدلاً، لا طائل منه...

«لا.. لا.. الطريـق خطيـر، لقد ذهبت هنـاك، لا.. لا.. اذهبوا إلى لندن لا ضرورة للذهاب إلى هناك».

وصرفـت العروس عن برنامج الذهاب إلى كاغان... وبمرور الوقت خرجـت العروس عن صمتها، وحـدث ما كنا نخشـاه جميعًا وذات يوم واجه الابن أمه وأسمعها قرارًا صريحًا جريئًا:

«يـا أماه! عليـك أن تذهبـي وتعيشي فـي القرية مع عمـي الأكبر، واتركينا نعيش حياتنا».

وتلخبط دماغ سعدية على الفور:

«أي والله.. أي والله سأذهب!! كنت أعرف كل شيء، أعرفك أيها الخبيث، الناس يتغيرون في سنوات، ولكنك لم تنتظر حتى يتغير لون الحنة في يد عروسك.. آه.. لقد أخذتك في حضنها ولفتك بين يديها، جعلتك خاتمًا في إصبعها،وأنا.. أنا حملتك في بطني وجوعت البنات؛ لأنفق عليك، أنفقت على تعليمك عشرات الآلاف من الروبيات، وأخيرًا تعاملني بهذا الشكل، وتكون هذه هي نهاية تعبي وشقائي فيك؟!».

«نعم، نعم! الصحيح أنك لم تحسني لي، لقد قمت بواجبك، فالآباء كلهم يفعلون نفس ما فعلت» هكذا رد الابن ردًّا عنيدًا يتناسب مع ما سمعه.

وجاءت سعدية إلى بيتي، وهي تبكي كسيفة البال مهيضة الجناح، وتحيرت.. يا إلهي! إنها القدرة الإلهية.. هل هذه هي سعدية التي لم تكن تهتم بأحسن الناس، التي أبكتني بدلاً من الدموع دمًا، والتي راحت تشتم ابنها بلهجة المدح: «الكلام صريح واضح قاله دون أدنى تردد»، سعدية اليوم تنتحب، تسكب الدموع، وأنا أحاول أن أسكتها.. وجاء على خاطري مرة ذكرى اليوم التي مطت فيه سعدية شفتيها أمامي، وهي تقول: «زوجك.. وجهه مشرق، الدم يتفجر منه، إنك واهمة، إنه بصحة جيدة، لا مرض به عمره سيطول ويطول؟» وكأن حياة زوجي سبب تعاستها وبؤسها، ولأنني أعرف أنها تعاني من مرض نفسي سكت، لم أرد على عبارتها إلا بالصمت... واليوم تحيرت من هذا التغير الذي أحدثته القدرة الإلهية، فأحوالي المالية بحمد الله أطيب، وسعدية تأتي

لاجئة إليّ؛ لأن زوجة أخي لم تتحملها، لكن الصدمة قد أصابت سعدية في مقتل، فبعد نحو شهرين تقريباً اختل توازنها العقلي، وعالجتها بكل ما أستطيع إلا أنها لم تفق مما كانت فيه، واضطررت إلى إدخالها إحدى المستشفيات، حيث كانت دائمًا تضع في يديها الأساور تارة، وتخلعها تارة أخرى، ثم تبدأ أحيانًا في بكاء طويل، أوتذهب إلى المرضى الآخرين، وتقول: «هيا نركب الطائرة.. هيا نتسوق في حي شادمان... لا، لا... هيا نأكل الآيس كريم أولاً، ثم نذهب للتسوق فيما بعد».

أما الابن وزوجته فقد نسيا كل شيء لم يذكراها بشيء.. أما الأخوات والإخوة.. فيذهبون أحيانًا للقائها، يهتمون بها. وحين تأتي بناتها من الخارج يذهبن لرؤيتها... مسكينة سعدية!!

جنِّي القمقم

للأديب: أ. س. حميد

(محمد صدر عالم صديقي)

أ. س. حميد هو الاسم الفني الذي اشتهر به الأديب محمد صدر عالم صديقي، وقد اشتهر بنقده اللاذع للمساوئ الاجتماعية من خلال كتاباته القصصية الساخرة. وهو في هذا الأمر لا يتورع أحيانًا عن السخرية الواضحة، أوتناول موضوعات تكون أحياناً فاضحة يكشف بها عن مساوئ قد لا يجرؤ غيره على تناولها، حتى إنه تعرض ذات مرة للمحاكمة، وقد برأت المحكمة ساحته. وعلى كل حال، ومهما كانت الموضوعات التي يتناولها، فقد اخترنا هنا إحدى قصصه بعنوان:

«جنِّيَ القمقم» يناقش فيها قضية اتجاه بعض الجهلة في المجتمع إلى الاعتقاد بالسحر والشعوذة واللجوء إلى من يدعون أنفسهم بالشيوخ الذين يسخرون الجن لحل مشكلات الناس وتلبية رغباتهم، كما يسخر ويتهكم على أولئك الناس الذين يعتقدون في بركة أصحاب الأضرحة والقباب وولايتهم.

جني القمقم:

نظر إليّ «الشيخ بابا» وقال:

ما أمنيتك؟

فقلت:

أنا رجل مضطرب الأحوال، فاعطف علي برقية تجعلني أسيطر على الجن.

أغلق الشيخ بابا عينيه مدة، ثم أمرني أن «أرمي بياضي» وأعطيه بعض النقود، فقلت له بأدب جم:

ليس في جيبي «ليرة» واحدة، ولو أمكن أن تقرضني خمس أوعشر روبيات الآن، فسوف أعيدها لك، حين أسيطر على الجن!

غضب الشيخ بابا، وهويستمع لكلامي هذا، ونادى على خادمه، وقال له:

أخرج هذا الشخص قليل الأدب من مكتبنا فورًا...

وحين اتجه خادمه نحوي قلت له مستعطفًا:

لا تتعب نفسك يا أخي، فأنا خارج من تلقاء نفسي.

فتبعني الخادم حتى الخارج، وقال لي بلهجة كلها عطف:

لماذا تضيع وقتك في الجري وراء الشيخ بابا، لو كان فعلاً بداخله شيء من الروحانية.. أتراه يفرض هذه الرسوم، ويمارس هذه التجارة؟!

فشرحت له ظروفي الصعبة، فقال:

لا يمكنني أن أحقق لك أمنيتك هذه، لكن يمكنني بلا شك أن أعطيك رقية تقرؤها في وقت انتصاف الليل، شريطة أن تنزل الماء في نهر من الأنهار حتى يصل الماء إلى وسطك..

فأخذت الرقية وعقدت العزم الأكيد على أن أجربها بكل تأكيد..

بادرني الخادم بقوله:

حين يتبعك الجني عليك أن تعطيني عن طريقه مبلغًا بالتقسيط، وسوف أعيده لك فيما بعد..

وفي الليل وصلت إلى النهر.. ورحت أتلفت حولي.. أتطلع هناك وهناك.. ولما لم أجد أحدًا نزلت إلى النهر، كما قال لي الخادم، وبدأت أقرأ الرقية..

تجمدت قدماي من شدة برودة الماء، ولكني لم أهتم بالأمر.. وحين انتهيت من قراءة الرقية ألف مرة رأيت قمقمًا يسبح فوق الماء.. يتجه نحوي.. فحملته وطلعت إلى الشاطئ.. رفعت غطاء القمقم، فظهر لي جني.. صاح:

لقد كنت نائمًا في راحة وسكون.. في هذا القمقم.. منذ ألف عام، لماذا أزعجتني؟! والآن أخبرني كيف أخدمك؟

فقلت له:

أحضر لي خزائن قارون من حيث كانت؟

قال الجنِّيُّ:

إذا كان عندي خزائن قارون فلماذا أسكن هذا القمقم؟!

فقلت:

إذًا أحضر لي فرختين و«دستة» فطير بالسمن البلدي.

فقال الجني:

أنا نفسي جوعان منذ زمان..

فقلت:

كيف تكون عفريتاً من الجن إذًا، العفاريت من قبلك كانت تحمل الأميرات، وتأتي بهن من آخر الدنيا في لحظات..

فقال الجني:

أخي.. لقد قمت بهذا أيضاً، فقام أقارب الأميرات ورفعوا ضدي قضايا ودارت مرافعات..

إذًا أحضر لي خبزاً من أي مكان وأطعمني.. هيا.

قلت هذا في غضب:

كيف تكون عفريتًا..؟!

فعاد يقول:

إذًا أعطني خمس روبيات..

سمعت هذا فطار لبي وأصابني طيش وبدأت أضربه إلى أن ضم يديه ورفعهما ناحيتي مستجديًا قائلاً:

أنت مولاي وسيدي.. سأنفذ ما تأمر به.. الحقيقة أنه منذ أن ضاع مني «الخاتم السليماني».. منذ ذلك الوقت سلبت مني كل قوتي وضاعت مني طاقتي.

بعد ذلك أخذته إلى البيت وأكلت ما وجدته وأطعمته معي.. وفي اليوم المقبل استأذنني؛ ليذهب إلى المدينة، فأذنت له..

ذهب الجني إلى المدينة، ووصل مباشرة إلى مكتب الجريدة، وهناك قال لرئيس التحرير:

أنا جني أحتاج وظيفة أو أي عمل..

فتفحص رئيس التحير الجني، وقال:

كان هنا من قبل كثير من العفاريت ممن كان يصعب السيطرة عليهم.. لا عمل هنا لك.. عليك أن تقيس الطريق..

فخـرج الجني إلى الشارع، وراح يقيسـ الطريق.. ورآه النـاس يفعل هذا فتحيروا وتجمعوا من حوله.. فسأله أحدهم:

ماذا عساك أن تفعل؟

فقال الجني:

لقد أمرني سيدي أن أقيس الطريق، وها أنا أفعل ما أمرني به.

راح الناس يضحكون بعد أن سمعوا كلامه، فتطلع إليهم الجني، وقال:

يـا إخوتي، أنا عفريت مـن الجن، إما أن تدلوني على عمل أوتعيدوا لي الخاتم السليماني..

كان الأطفـال أيضـاً قد تجمعوا فـي ذلك المكان وبـدؤوا يمطرون الجنـي بالأحجار، فاختفى مـن المكان من فوره.. ووصـل إلى صاحب مكتبة لبيع الكتب، فقال له:

أعطني الخاتم السليماني إن كان عندك..

فقال بائع الكتب:

لا يوجـد عندنا الخاتم السليماني، لكـن بالتأكيد عندنا المجموعة الشعرية للشاعر المشهور فيض أحمد فيض..

فتركه الجنـي، وانطلق حتى وصل إلى سـوق «أناركلي» فرأى رجلاً يبيع الملح السليماني، فقال له الجني:

يــا أخي، إنك تبيــع الملح السليمانــي.. لا بد أنك تعـرف شيئًا عن الخاتم السليماني.. دلني على مكانه، فأنا أبحث عنه منذ أيام..

فسأله بائع الملح السليماني:

لكن من أنت؟!

قال الجني:

أنا عفريت من الجن..

فاستدعى بائـع الملح السليماني شرطيًّا، ففرّ العفريت من المكان على الفور.. ووصل إلى مدينــة، فرأى من بعيد قلعة السلطان القديمة، فظن أنه يمكـن أن يجد فيها الخاتم السليمانــي.. فاتجه إليها.. كانت القلعــة خربــة خاوية.. فقـد انتهى فيها عهـد السلطــان وزال، ولم يبقَ فيهــا غير المباني.. فراح العفريت يتطلع هنا وهناك.. فرأى سردابًا.. فدخلــه.. فــرأى أمامه رجلاً نحيفــاً ضعيفاً كأنه الشبــح يضع يده على بطنه ويولول.. فبادره الجني، قائلاً:

من أنت؟ ولماذا تتألم هكذا؟

سمــع الرجـل كلام الجني، فأخـرج من جيبه «بطاقــة» ومدها إلى العفريت، وقال:

اسمي «هولاكو»، في زمن ما دمرت مدينة بغداد طوبة طوبة..

وعلى الفور أخذ الجني قالبين من الطوب، وحطمهما قائلاً:

أنا أيضاً يمكنني أن أحطم طوبة طوبة هكذا.

فقال هولاكو، وهو يتأوه:

آه جيشي دمر المدينة بيتاً بيتاً، وخرب البيوت طوبة طوبة، ثم مضى وتركني هنا في زنزانة القلعة هذه.. ومنذ ذلك الوقت وأنا سجين.. يأتي الناس، فيشاهدونني ويسخرون مني..

قال الجني:

لماذا تمسك بمعدتك؟

فرد هولاكو:

«يا أخي، أنا أشكو من انتفاخ في معدتي» واستمر في حديثه قائلاً:

لكن من أنت؟ ولماذا جئت هنا؟

فقدم له الجني نفسه، فصرخ هولاكو قائلاً:

أنت جني علاء الدين.. يمكنك أن تساعدني.. احملني من هنا.. خذني إلى قصري الملكي..

فاعتذر الجني قائلاً:

لقد جئت إليك الآن أطلب منك قرضاً..

لعلك لم تقرأ البطاقة بطريقة صحيحة.. لقد كتب فيها: لا تخجل هولاكو بطلب قرض منه..

فقال الجني:

إذاً.. فلعلك تخبرني أين يمكن أن أجد الخاتم السليماني الذي ضاع مني؟

راح هولاكو يجوب المكان على مهل، ثم توقف.. وحينئذ رأى الجني في قدم هولاكو اليمنى صندلاً من البلاستيك، وفي قدمه اليسرى فردة حذاء قديمة..

فتح هولاكو حقيبة يده، وأخرج خاتماً أراه للجني قائلاً:

تفضل هذه أمانتك.. لقد ظللت محتفظاً بها لمئات السنين.

رأى الجني الخاتم السليماني، فبلغ منه السرور حدّه، ووضع الخاتم السليماني في جيب لصيق بصدره لعل قوته تعود إليه.. ثم شكر الجني هولاكو، واختفى خارجًا من القلعة، ولم يكد يخرج من بوابة القلعة حتى فقد كل طاقته وجميع قوته.. فقد كان يطير إلا أنه سقط فوق أشجار حديقة، ثم سقط على الأرض، فحاول العودة إلى السرداب الذي وجد فيه هولاكو.. وراح يتطلع هنا هناك، فلم يجد أحدًا. وفي ركن وجد شِباكاً معلقة على الجدران.. فخرج من القلعة، وقد أصيب بالسقم، وكادت روحه تخرج منه لما كان يعانيه من جوع شديد، فجلس يتناول الطعام في أحد المطاعم، وحين انتهى من الأكل طلب منه عامل المطعم الحساب، فقال له الجني:

أنا جني ألف ليلة وليلة..

فبدأ عمال المطعم يوسعونه ضربًا وركلاً، وهو يصيح قائلاً:

أنا جني ألف ليلة وليلة.. لا تضربوني.. لا تركلوني..

وسلمه عمــال المطعم إلى الشرطــة، فأدبه رجــال الشرطة تأديباً جعله يصرخ ويصيح:

أرسلوني إلى بغداد.. ضعوني في قمقمي وأغلقوا علي..

لكن أحدًا لم يستمع لصياحه وندائه.

وفي اليــوم المقبل أحضــر الجني إلى المحكمة، حيــث صدر عليه حكــم بالسجن شهرًا، وفي السجن ساءت حــال الجني، وكان يقول لكل شخص:

أنا جني، أنا عفريت من الجن.. أنا جني..

لكن لم يكن هناك من ينصت إليه، وأشبعه المساجين ضربًا وركلاً وأدبوه تأديبًا كان يستحقه، ثم شغلوه في العديد من الأعمال واستخدموه هنا وهناك...

وبعــد أن خــرج من السجن كانــت حاله مختلفة تمامًــا، فقد برزت عظامه تريد أن تخرج من جلده...

ورقّ قلبي له كثيراً.. فقلت له:

هل من وسيلة يمكنني بها إعادتك إلى عالمك؟!

فتنهد الجني، وقال:

يــا أخي، لا يوجد أي خاتم سحري، يمكــن أن يعيدني إلى عالمي.. والله وحده يعلم ما هو مصيري على يد هؤلاء النــاس... من بني آدم..

ولا يـزال الجنـي يجلس – هذه الأيام – تحـت شجرة على شاطئ نهـر «الراوي» على هـذه الحال، حتى جف عوده وصـار كالشوكة.. وهو يضم إلى صـدره قمقمه القديم، وكلما مرّ من أمامه شخص طلب منه الجنـي أن يدخله فـي القمقم، فيسخر الناس منـه.. ويمضي كل منهم إلى حال سبيله..

ففكرت في خطة محكمة...

حيـن يمـوت هذا الجني سـوف أبني له قبـرًا أجعل فوقـه ضريحًا لـه قبة؛ ليكون مـزارًا وأطلق عليه اسم ضريح «بابـا جني».. ولا بد أني سأكسب على الأقل خمسة أوعشرة آلاف روبية في الشهر..

فالجنـي الحي لا يفيدني بشيء.. لكن بلا شك الجني الميت سوف يغير من حظي.

نوبة قلبية

للأديب: ظفر إقبال

ظفر إقبال من الأدباء الذين يكتبون القصة القصيرة الهادفة، فهو يعالج قضايا داخل المجتمع قد تبدو غير واضحة، وهو هنا في قصته نوبة قلبية يعالج قضية المغتربين من الباكستانيين، وخاصة من يخلفون وراءهم أسرهم ويعيشون في الغربة، فتأكلهم السنوات دون أن يشعروا، وبطريقة ضمنية يناقش قضية وضع الزوجة داخل بيت العائلة ومعاناتها، وهي بعيدة عن زوجها المغترب، ويؤكد المؤلف هذه القضية التي تهم شريحة عريضة من أهالي شبه القارة الهندية الباكستانية، بل ومن غيرهم من بقية أقطار الدنيا.. ترى لماذا تعرض «أحسن» بطل قصته لهذه النوبة القلبية المفاجئة..؟!

نوبة قلبية:

منذ قليل وصلني في المكتب خبر، مفاده أن «أحسن» تعرض لنوبة قلبية وهو قابع في غرفة الإنعاش المركز.. كان هذا الخبر بالنسبة لي محيرًا؛ لأننا كنا معًا ليلة أول أمس، تناولنا الطعام معًا وتبادلنا الحديث حتى وقت متأخر...

كنت أنا وأحسن ندرس معًا في كلية واحدة بمدينة سيالكوت، وكانت بيني وبينه معرفة طيبة بسبب علاقتنا وانتمائنا لحي واحد بالمدينة، بعد الحصول على الشهادة الجامعية انتقل أحمد إلى كراتشي للبحث عن وظيفة يقتات منها، أما أنا فسافرت إلى المملكة العربية السعودية للعمل..

وفي الإجازة التقيت به مرة أومرتين وعرفت أن والده قد انتقل إلى رحمة الله، فكان عليه واجب إعالة والدته وأخواته الثلاث.. ثم انقطعت صلتي بأحسن... ومنذ عدة شهور والتقيت به فجأة في حفلة من الحفلات، فعرفت أنه يعمل في مدينة الرياض منذ أربع سنوات مضت، ورحنا نجدد علاقة الصداقة القديمة، ونلتقي معًا كل يوم..

بعد الانتهاء من العمل بالمكتب خرجت متجهًا إلى المستشفى وكان أحسن قد نقل من غرفة الإنعاش المركز إلى «عنبر» المرضى وقد تحسنت حالته قليلاً، إلا أن تأثير النوبة كان لا يزال واضحًا على وجهه، اطمأن قلبي وانتظرت قليلاً، ثم سألته في حيرة كيف تعرض لهذه النوبة القلبية.. فسكت لحظات ثم أخرج من تحت وسادته خطابا وناولني إياه...

فتحت الخطاب وبدأت أقرؤه.. كان الخطاب من زوجته التي كتبت له ما يأتي:

«زوجي ورفيقي العزيز!

أبعث إليك بسلامي...

الشكوى والشكاية من غير داع أو العراك دونما سبب ليس من طبعي، وبطبيعة الحال، فأنا راغبةً عادة في حل قضايانا بالصبر والتفاهم، لكن تحملي للغبن والظلم له حدود، وحين تأكد لي أن موقفي المتسم بالصبر والتفاهم فاق كل حدود طاقتي، وأنه لا توجد إمكانية لإنهاء الظلم رحت أدافع بكل قوة...

هذه الكلمات التي أمتدح بها نفسي ضرورية، ذلك لأنه خلال سنوات «الرفقة الشرعية» الثلاث الماضية، أقصد خلال سنوات الزواج الماضية لم نتقابل معًا أكثر من ثلاثة أشهر، ومن ثم لم تتيسر لنا فرصة لتبادل الأفكار أو فهم كل منا للآخر.. فبعد الزواج بعشرة أيام انتهت إجازتك، وسافرت إلى الرياض، وفي العام المقبل جئت في إجازة فكان زواج أختك، وحين كانت الفرصة لنكون معا بعد انتهاء احتفالات الزواج ومراسمه، وما إلى ذلك، انتهت إجازتك.. ثم كانت الإجازة المقبلة، فوهبتها لإصلاح البيت ولقاء الأقارب والأصدقاء، وأنا على يقين كامل من أن الإجازة القادمة سوف تضيع في لقاءات الأحبة والأصدقاء، وما شابه ذلك من أمور تعودت عليها خلال إجازتك السابقة.. ولن تتمكن من أن تجد وقتًا لسماع كلامي أو فهم حديثي، وسوف أجد نفسي ومن ثم مجبرة مرة أخرى على تنفيذ حكم (بالسجن مع الأشغال الشاقة) مدة سنة، ولهذا لا أريد أن أثير أحاديث كلها مرارة.. بل أكتب إليك أمورًا واقعية وحقيقية..

لا أريد أن تسيء فهم ما أقوله لك.. إن الحياة التي عشتها في السنوات الثلاث الماضيات كنت فيها لا أزيد عن كوني «خادمة» مثقفة متعلمة.. وحتى «الخادمة» تحصل على تسهيلات من نوع معين، تحصل

علـى راتب شهري، أوقات عملها محددة، يمكنهـا أن تذهب أحيانًا إلى حيـث تشاء، لكني كنت خادمة مقابل «الطعام والملبس» إذا انتهيت من العمل فلا يسمح لي بالخروج من البيت.. بعد صلاة الفجر يبدأ عملي، ويستمـر هذا العمل حتى الليل، بل أحيانًا أسمع أصوات النداء.. تصكّ أذني في حجرتي:

«قدم بعض الضيوف»..

نعم قدم بعض الضيوف فجأة، وأبدأ من جديـد أدور في طاحونة العمل، وكنت أتذرع أحيانًا بالتدريس لأخواتك؛ لأستريح بعض الوقت.. ونتيجة لهـذا الضجر والملـل والضيق المتواصل رجـوت «حماتي» بكل رقـة وخضـوع وتذلـل أن تسمح لي بالتدريسـ في كلية البنـات القريبة من البيـت، فأقامت الدنيا وأقعدتها.. وراحـت توجه لي الكلام تكشف النقـاب عن تعليمي وشخصيتـي لدرجة أصابتنـي بالدهشة.. وفزعت حيـن ذكرت لي أنني أطعم خير طعام وألبسـ خير ملبس.. فماذا أريد بعـد ذلك.. وأعتقد أنـك تتفق معي في أن هذه الأشيـاء – سواء كانت طيبة أو غير ذلك – كانت ميسرة لي في بيت والدي.

في كل شهر، وحين كانت تصلنا «حوالة البنك» كانت حماتي أقصد والدتـك تكيل لك الدعاء.. لكنك ربما نسيت أن فـي هذا البيت إنسانًا آخر يدعو لك يحتـاج، بل يضطر أحيانًا لبعض النفقات المالية.. ولقد أقلعـت الآن عـن هذه المطالبـة، ولكن إذا حدث ونسيـت وطلبت مبلغًا مـا أحتاج إليه، فإن الأذى يصل حتـى إلى أعماق روحي.. أليس لي حق عليـك؟ وفي الإسلام حيـث تعاليم حقوق الوالدين يوجـد أيضاً أحكام

خاصة بحقوق الزوجة..! فبعد الزواج تقع مسؤولية الزوجة على زوجها، ليس على أم الزوج وإخوته وأخواته، فالزوج هو ولي أمر زوجته.. ربما لا تعرف أيضاً أنك لا يمكن أن تبقى في بلد الغربة مدة معينة دون موافقة الزوجة..

هل حاولت مرة أن تشعر بضرورة التعرف إلى وجهة نظري فيما يتعلق بهذه الغربة المتواصلة؟ لقد راقت لنا فلسفة الحياة الهندوكية، لدرجة أننا تركنا التفكير بطريقة إسلامية، فطبقًا للعرف الهندوكي فإن عقيدة المرأة تحتم عليها أن تقضي حياتها في خدمة الزوج وجميع أهله، فإذا ما مات الزوج وجب على الزوجة أن تحرق نفسها، فلا يوجد هنا تصور لأن تبقى المرأة وحيدة.. بعد الزواج لا يكون أمام الزوجة من طريق سوى التحمل والصبر.. فمن حيث يتجه «هودج العروس» يكون خروج جنازتها.. ومن الناحية الشرعية لا توجد نصيحة صحيحة.. لكن الأمر يا سيدي، في الإسلام مختلف.. فالزواج في الإسلام عقد.. عقد بين طرفين.. فيه حقوق وواجبات، والفريقان مكلفان بأداء مسؤوليتهما على أكمل وجه وأحسن طريقة، ومع أن للزوج بعض الصلاحيات في بعض الأمور، لكن هناك على كل حال توازن وتناسب في حقوق كل منهما... وإذا لم تكن تصدق كلامي فاقرأ الآيات المتعلقة بذلك في سورة البقرة والنساء وآل عمران النور.

ضع يدك على قلبك قليلاً.. وأخبرني هل تعيش في غربتك الحياة نفسها التي نعيشها نحن جميعًا هنا: حياة الدعة والراحة.. حياة البهرجة.. ونحن هنا نتجمع أحيانًا حول التلفاز نتمتع بما نشاهد وأنت: هل فكرت ذات مرة في شقائك وتعبك.. وما هو الهدف من ورائه؟ ومن أجل أي شيء..

مـا هي الثروة التي جمعتهـا حتى الآن؟ كل عام يضيع منك ما يقارب ٤٠٪ من ميزانيتك في شراء الهدايا التي توزعها على الأقارب والأصحاب.. في النهايـة لماذا تقدم للجميع الهدايا، بينمـا ترجع إلى غربتك لا يفكر أحد في تقديم أي هدية لك؟! لماذا هذا التعامل من طرف واحد؟!

لـو حدث وانتهى عقـدك واضطررت إلى العودة فجـأة، فما عساك تفعل هنـا؟ أقاربك يلتفون حولك.. يحيطونك بعطفهم ورعايتهم طالما أنـت هنـاك في وظيفتـك، وفي اليوم الـذي يعرفون فيه أنـك قادم إلى باكستان قدومًا نهائيًّا فسوف أكون أنا فقط التي تنتظرك في المطار..

حيـن تأتي أختك وزوجها إلى البيـت، نعاملهم معاملة «كبار الزوار VIP».. نحيطهـم بكل رعايـة.. نطبخ لهم أشهى أنـواع الطعام.. نرتب لهم رحلات النزهة والفسحة هنا وهناك.. وترن في جميع أرجاء البيت الضحكات والنـكات... أما أنـا فيعاملونني معاملـة الخادمات.. فهذه مهمتي: إعداد الطعام.. التنظيف.. كي الملابس وخدمة الجميع.. أهل البيـت وضيوفهم وحتى ضيوف ضيوفهم.. هل هذه الحياة هي حياتي.. وإلـى متى تمضي حياتي على هـذا الشكل؟ أما سلوك حماتي أمك معي تجاه ابنتها وزوج ابنتها فهو سلوك يظهر منه التضاد والتباين الكامل... سبحـان الله! حين يأتي والداي – وقـلّ أن يأتيا – ليطمئنا علي، يسود البيـت صمت مليء بالأسرار، ويكون علي أيضـاً القيام بإعداد الشاي، فـلا تكون أمامـي فرصة للترحيـب بهمـا أوالجلوس معهمـا، لا يعامل والداي معاملة الضيوف الآخرين وحماتي أمك تعطيهم إحساسًا بأنهم أشخاص غيـر مرغوب فيهم.. ما هذه العـادات العجيبة؟! ولماذا هذا السلوك الذي يرمي إلى إذلال أهل الزوجة؟ هل هذا أمر شرعي؟!

لا علم لي بفلسفتك في الحياة، ولا أدري ما هي أفضلياتك في هذه الحياة؟ وما هومفهوم مسؤوليات الزواج لديك؟

في اعتقادي أن للزوج هدفًا يتمثل في لقاء الطرفين معًا، وترتيبهم معًا لحياتهـم العملية طبقًا لميولهم، وأنا لم أظهر هذه الرغبة، أقصد أن نقضـي حياتنا في يسر شديد، وأن نرفـع من «مستوى معيشتنا» عن طريـق «الغربة» التي لا نهايـة لها، مع أن تصور مستـوى الحياة عندي يختلف عن تصور عامة الناس..

أنا لا أريد هذا الكسب الذي ثمنه وقيمته بعدنا، وانفصالنا عن بعض باستمـرار.. ذلـك لأن الحياة الزوجية لا يمكـن أن تتحطم بسبب الرغبة فـي الحصول على بعض الأجهزة الكهربائيـة.. إنني أحـاول بكل اتزان ومعقوليـة أن أطلعـك لآخر مرة.. أنه من المستحيـل أن أقدم المزيد من الخدمات من حيث كوني خادمة.. هذا أمر غير معقول بالنسبة لي.. يجب أن تعـد العـدة لتدعوني إلى السعوديـة في ظرف أربعة أشهـر، وإلا جهز نفسـك للعودة إلي.. وإلا فإنني من حيث كونـي طرفًا فيما بيننا من عقد أحتفظ لنفسي بجميع الحقوق في إعادة النظر فيما يتعلق بعقد الزواج.

مع سلاماتي وأشواقي

شريكة حياتك

قرأت خطاب زوجة أحسن.. ودار رأسي.. واستندت على الكرسي.. وجلسـت.. فأنـا أيضاً فـي بلاد الغربة.. مـن دون زوجتـي.. منذ سبع سنوات.

ساحة العرض

للأديب: نجم الحسن رضوي

نجم الحسن رضوي كاتب قصة قصيرة، يعمل بالصحافة في إحدى دول الخليج العربي، يبحث عن وقائع في الحياة قلّ أن يعرفها سكان شبه القارة أنفسهم، وبخاصة في باكستان ويرى أن بعض الناس ممن يبيعون دموعهم يشاركون في جريمة بيع دموع الآخرين.. بل وإضاعتهم فوق حبات الرمال في الصحراء الواسعة..

إن الألم الذي تولده هذه القصة «ساحة العرض» بداخلنا يصيبنا بلوعة.. يفري أجسامنا ويؤذي أرواحنا.. لكن من ذا الذي يتلذذ ببيع أرواح الأبرياء؟!

هذا ما سنعرفه من مطالعة «ساحة العرض».

ساحة العرض:

نظر، فرأى آلاف الناس متجمعين، وفي لمحة واحدة مد البعير رقبته الطويلة إلى الأمام، وحكّ قدميه في الأرض كمن يسنّ سكينًا بضربة واحدة، ثم انطلق مع صفوف الهجن كأسراب طيور صحراوية..

فــي ساحة العرض، حيث كان يجري سبــاق «الهجن» الموسمي راح الناس يصفقون، وفي الناحية الأخرى من السور الشبكي راحت جماهير محتشدة تنشد بأصوات كأنهــا الموج، على دقات الطبول، ومعهم كانت النســاء يتمايلــن طربًــا ينثــرن شعورهن كرايــات حريريــة تخفق فوق رؤوسهن، يشددن من همــم راكبي الهجن الصغار وعزائمهم.. وتراجع ميــدان السبــاق تدريجيًّــا واختفى المتفرجــون والمشجعــون في سحب الغبار، وسقط الطائر في بحيرة بيضاء بعد أن قطع دورة في الصحراء، وقد انطــوى داخل ذرات الغبار الذهبية للصبــاح الندي، ونصب الغبار فوقه خيمة.. وهناك ساد صمت رهيب، حيث ابيضت كل الأشياء..

أدار وجهــه وأغلق عينيه أو ربما؛ فتحها؛ لأنه رأى الساحة كلها وقد امتــلأت بالناس.. وبــدأت صفوف الهجــن تنطلق مسرعــة.. مليحة.. صاعقة.. طرفان.. صرصر.. طغيــار.. رعد.. سموم.. شمال.. وكانت تثير بأرجلها سحبًا كثيفة من الغبار..

«صاعقة... صاعقة» ظلت جماهير المتفرجين تصرخ:

«صاعقة... يا لك من فارس مغوار يا من تركب صاعقة!..»

وفجأة تناهى إلى سمعه صوت يقول:

«تنتظرك أكبر جائزة في السباق..!»

فمع نهاية حفل السباق كانت الجوائز تنهال كالمطر.. فراح يضرب عنق البعير وينخزه مرددًا:

«لا تقلق يا أستاذ أحمد.. سيكون ترتيبها الأول دائماً!»..

وراح يلوح بالجريدة، وكانت حركة الناقة التي تدب الأرض بأرجلها كصخرة تدفعه إلى الأمام تكاد أن تسحقه.. وتناهى إلى سمعه الصوت نفسه مرة أخرى:

«إنك لا تخاف منها» كان هذا الأستاذ أحمد المشرف على مربط هجن مولانا، وهو أيضًا معلم الصبية والفتيان راكبي الهجن..

في البداية كان يخاف من الاقتراب من الناقة.. هذا المخلوق العالي الضخم كالجبل مقابل الإنسان الصغير.. كان يوضع على ظهر الناقة، ويربط من وسطه، ثم يظل يصرخ ويصيح طالبًا العون وهو ملتصق بسنام الناقة التي تهرول:

«أبي.. أبي.. الحقني يا أبي.. النجدة..!».

لكن أين أبوه من هذا المكان؟! فبينه وبين أبيه أراضٍ وبحار وفرق حتى في التوقيت والزمان..

وفي الليل حين يغطّ في النوم تتراءى له أحلام عجيبة مخيفة وغريبة.. يرى أحيانًا أن الناقة تجري وراءه.. وأحيانًا يتراءى له كأن الناقة قد ركبت على كتفيه.. وأنه يحمل الناقة ويجري في ميدان السباق.. فيصرخ ويستيقظ ويظل مدة طويلة يبكي بصوت متهدج.. ثم يروح يغمغم ويتمتم:

«إني خائف.. لا يمكنني أبدًا أن أركب الناقة.. لا.. لا..».

فيضحــك الأسـتــاذ أحمد، ويحــاول أن يدخــل الطمأنينة على قلب الصبي قائلاً:

- «لا تخف.. لا تخف..!».

وتصيب الصبي حيرة:

- «لا...».

فيقول الأستاذ:

- «وبعديــن معك... إنهــا بداخلنــا.. بداخل كل إنســان.. اسمع.. بداخــل الإنســان كل شــيء، بداخله أســد وبداخله صقر أيضــاً، وبعير أيضاً!».

فيسأله الصبي بتعجب شديد وحيرة:

«بعير أيضاً؟!».

«نعــم ألا تدري كيــف تعيش الرغبات داخل الإنســان؟ وكيف تعيش الأمانــي، البعيــر أيضاً رغبة.. رغبة عالية.. رغبــة القوة.. والرغبة في المال.. تأكد يعيش في داخلنا جميعًا بعير..!».

وبالتدريج.. تقلــص حجم الناقة حتى إن الصبي رأى ذات ليلة أنه يضعهــا في منديل ويضــع المنديل في علبة طعامــه.. وحين قص هذه الرؤيا على الأستاذ أحمد تهلل وجهه وابتسم، قائلاً:

- «ابسـط.. لقد أصبحت الناقة في قبضتـك وتحت سيطرتك.. كان بداخلـك خوف، وقد انتصرت عليـه.. الآن سوف يكون لك اسمك.. عليك أن تقتنص الشهرة، فالكثير يركب الهجن، لكن قلّ من يسيطر عليها..

لكن الصبي كان شجاعًا برغم جسمه الصغير وقدّه النحيل.. وكان يدرك تمامًا كيف يتمكن من السيطرة على الناقة التي يركبها... كانت «صاعقـة» تفهم جيـداً إشاراته، كانـت تعرف متى تجثـو على الأرض، ومتى تنهض، متى تزيد من سرعتها، ومتى تنطلق سريعًا كريح الشمال تلقي بخيمة ندها في الهواء..

كان الصبـي بطل الأبطال بلا منـازع.. كان الناس جميعًا يعرفونه ويحبونـه، وكذلك كان مولاه أيضاً الذي يمتلك الكثير من الهجن وعنده الكثيـر من الصبية والفتيان من راكبي الهجن.. كان مولاه مسروراً منه إلـى أكبر حدّ، فقد كان الصبي يعلي من اسم مولاه في كل سباق يحقق فيه الفوز..

فـي هذه المرة أيضاً كانت عيون الجميـع مسلطة عليه.. وحين بدأ السبـاق كانت «صاعقـة» في مقدمة الهجن.. وفي وسـط السباق أيضاً كانت «صاعقة» تتقدم الجميع... وفجأة.. حدث زلزال، وانشقت السماء وسقطت كسفًا على الأرض... و..

والصبـي.. فتح عينيـه.. تراءت له مـن بين رموش عينيه بحيرة بيضـاء.. راحت تتسـع وتتسع مـن حوله.. كانـت غرفـة المستشفى.. الجدران البيضاء.. الستائر البيضاء والأسِرّة البيضاء.. كان يرغب في

الحركـة، يتحرق من شدة مـا يعاني من ألم.. لكن الأربطة المثبتة على جسمه جعلته يرقد بلا حـراك، وبلا إحساس، وكانت الأربطة البيضاء والأنابيـب مختلفـة الألوان، وقد أحاطت به من رأسـه إلى قدميه، وبدأ الصبي يئن من الألم والوجع، وعندئذ صاح أحدهم، قائلاً:

«لقد أفاق الصبي.. نادوا على أبيه..!»..

- «أبي...» أراد الصبي أن يقول شيئاً لكن صوته لم يخرج.

وراح والد الصبي يذرف الدموع في صمت..

قال مولاه:

- «.. للأسـف.. لن يتمكـن الصبي من الاستمـرار في الخدمة عندنا، لكن لا تقلق بالنسبة لعلاجه، فجميع الترتيبات...».

ومسح والد الصبي دموعه بأكمام قميصه وتنهد، وهو يقول:

- «مـولاي.. بارك الله فـي خدماتك وأفضالـك.. نحن خدامك.. كان ابنـي محظوظاً بالعمل لديكم.. حسناً إن لـم يعد قادرًا على العمل.. فلا تقلق سيدي، فعندي ولد آخر.. أصغر منه بقليل.. إذا أمرتم فـ..!».

وفجـأة بدأت موجات من الألم الحاد تقطـع في الجزء الأسفل من جسـم الصبي كانـت سيوفًا حادة تخـزه بكل شدة.. وراحـت تأوهات حزينة تخرج من فمـه.. فأسرع إليه الواقفون من حول سريره.. وتطلع إليهم الصبي، وبدا له أن سباقًا سيبدأ من جديد..!

الوصية

للأديب: ستار طاهر

ستار طاهر -رحمة الله عليه- من الأدباء الذين أجادوا كتابة القصة القصيرة، وهذه القصة التي ننقلها إلى العربية نشرت في إبريل عام ١٩٩٤م أي بعد وفاته، وهو يعالج عادة القضايا الفرعية التي قد يظن بعض النقاد أنه لا أثر لها على حياة الناس؛ لأنها كما نقول في العربية «لا تقدم.. ولا تؤخر..» إلا أنها في نظر الأديب تكون ذات قيمة.

بطريقة ضمنية يعرض الأديب لقضايا أخرى تمس الحياة الاجتماعية والظروف المحيطة.. ترى ماذا كانت قضية الأديب ستار طاهر؟ وماذا كانت وصيته؟!

الوصية:

قال الشيخ شاه نقشبندي: الدنيا في الأصل برزخ(*)، فالإنسان يبدأ الممات من اليوم الذي يولد فيه، وتبدأ أنفاسه تتردد بداخله لأول مرة،

(*) عالم البرزخ: هو ما بين الحياة الدنيا ويوم القيامة، وليس كما في القصة (المراجع).. ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وينتهي موته مع آخر نفس له في عالم البرزخ هذا.. ويقول الشيخ: حين يبلـغ الإنسان سن الأربعيـن، فإنه يكون بذلك قد طـوى في هذه الدنيا أربعين سنة من مرحلة الموت في عالم البرزخ.. وأنا يا سيدي، لا أدري كم مرة مت؟ وما هي المدة الباقية على استكمال موتي؟

والحقيقة أنني في الأصل لا أدري كم سنة مرت علي؟ وما هو عمري الأصلـي؟.. كم عمري المسجل فـي الأوراق؟.. ومنذ متى وأنا في عالم البـرزخ؟.. منذ كم سنـة..؟ لقد ابتليت بمرض لا يمكن وصفه وليس له اسم.. بالتأكيد لا بد أن يكون لي نجم.. نجم سعد أو نجم نحس.. نجم والسـلام.. لكننـي لا أدري؛ لأنـي أعرف أن تاريخ ميـلادي المدرج في الأوراق الرسمية ليس تاريخاً حقيقيًّا!

لقد أصبحت بما أنا فيه، حين كنت أجري مقابلة مع لاعب «الكريكت» العالمي المشهـور، وكان اللاعب كلما ركز على بيان أن أسباب نجاحاته هي كفاحـه المتواصل وتدريباته الشاقة أوضح أنه منذ اليوم الأول الذي جاء فيه على وجه الدنيا وهو محظوظ، فيوم مولده كان يوم سعده.. وقال: إنه شخصياً يعرف العديد من الناس ولدوا في اليوم نفسه الذي ولد فيه، وكلهم بلا استثناء أثبتوا أنهم أناس مشهورون وناجحون.. وأضاف أيضاً أن الناس الذين ولدوا في ذلك اليوم يتمتعون بالصحة وطول العمر..

كنـت محظوظاً جداً بهذه المقابلة، وحيـن انتهت أشعلت سيجارة، وأخـذت نفسًا عميقًا طويلاً ورحت أفكر وأنـا أتطلع إلى سحب الدخان المنبعث من فمي وأنفي على حد سواء: ما هو تاريخ ميلادي؟!

هذا التفكير وهذا السؤال وضعاني في سلسلة طويلة ومؤذية لا نهاية لها، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا لم أتخلص من هذا الأذى..

تاريخ ميلادي مشكوك فيه.. جعلتني هذه الحقيقة مريضاً..

أنا أعرف أنني ولدت في إحدى مدن الهند قبل قيام باكستان، وأعرف أنه في ذلك الزمان كان إذا حدثت ولادة في بيت ما قامت القابلة أو أحد من أهل بيت المولود بالذهاب إلى مكتب التسجيل، فيسجل اسم المولود ويعود ويحصل بذلك على شهادة ميلاد الطفل من هذا المكتب، وأعرف أن مثل هذا يحدث أيضاً في باكستان..

في ذلك الزمان، وفي القرية التي كنت أنتمي إليها لم يكن الاحتفال بأعياد ميلاد الأطفال رسماً أوعرفاً راج بين الناس، إذ لم يحتفل أحد أبدًا بعيد ميلادي..

وذات يوم ألبست ملابس جديدة نظيفة منسقة ومرتبة على جسمي، وأخذني أبي وذهب بي إلى المدرسة، وفي المدرسة ملأ استمارة لم أكن أستطيع قراءتها، فلم يعلمني أحد في بيتي القراءة أو الكتابة، وكانت أمي من جملة الأميات في قريتي لا تعرف الكتابة ولا القراءة.. وألحقت بالمدرسة وهناك أيضاً أُدرج تاريخ ميلادي..

كنت في الصف الثاني بالمدرسة الابتدائية، حين تأسست باكستان.. ثم ذهبنا إلى باكستان.. في باكستان لم ألحق بأي مدرسة؛ ذلك لأن أبي انتقل إلى الرفيق الأعلى.. وكان لأحد أقارب أمي أخ، فذهبنا لنقيم عنده.. وذات يوم وبناء على إصرار أمي ألحقت بالمدرسة..

في المدرسة، وحين كانوا يكتبون الاستمارات نظروا إلي، وسألوني:

هل تتذكر تاريخ ميلادك؟

وحين عجزت عن الرد راحوا ينظرون إلي يتفحصونني، وأخذوا يقولون كلامًا غير مفهوم، ثم كتبوا تاريخًا ما في خانة ميلادي.. وكان هذا هو التاريخ الذي استمر يكتب في شهادتي بعد التخرج في المدرسة الإعدادية والثانوية، وحتى في بطاقتي الشخصية ٣ أغسطس ١٩٤٦م. وتخرجت في الجامعة مع تاريخ ميلادي الافتراضي القياسي الزائف، وأصبحت موظفًا في مكتب حكومي ورقيت لأصبح رئيسًا للموظفين.. رئيسًا من الرؤساء المهمين..

لكن.. لا.. لا بد أن هناك وثيقة مكتوبًا فيها تاريخ ميلادي الذي لا يطابق تاريخ ميلادي الافتراضي القياسي المزيف.. كنت أدرس في الصف الثاني حين انتقل والدي إلى جوار ربه، ثم بقيت مع أقاربي أقضي حياتي في خضوع وخنوع وأدرس أيضاً.. وحين وجدت وظيفة تزوجت عن طريق أحد الأصدقاء.. قالت لي أم هذا الصديق تخبرني عمن ستصير زوجتي:

عمرها عشرون.. اثنان وعشرون...

وكنت أفكر أنني في الثلاثين، هذا بينما أخبرت أم صديقي أهل عروستي بأنني في السادسة والعشرين، وحين تم الزواج، كتبوا في قسيمة الزواج أن عمري ست وعشرون سنة وأن عمر العروس عشرون عاماً.

بالنسبة لتاريخ ميلادي الافتراضي كان عمري ثلاثين عامًا، وكانت عروسي لا تقل عن أربعة وعشرين.. وبقينا معًا نعيش هذه الكذبة بطريقة بارعة.. فلم يحدث بيننا سوء تفاهم على الإطلاق نتيجة لهذه الكذبة، بل لم يحدث أي ذكر لها بيننا، فنحن كما كنا، وكما كانت أعمارنا، كنا نعيش معًا..

أما صديقي الذي عرفني على الشيخ شاه نقشبندي، فكان صديق عمل، إذ كنا نعمل معًا في مكتب واحد وكان صديقي منير خان من محبي الشيخ، وممن يلازمونه أيضاً ولهذا طالما يكثر الحديث عنه.. وحين جاء الشيخ إلى بلدتنا لعدة أيام حصل لي أيضاً شرف مقابلته..!

لكن عقلي وتفكيري كانا قد أصيبا قبلاً بلوثة، فقد أجبرتني المقابلة التي أجريتها مع لاعب «الكريكت» المشهور سابق الذكر على التفكير في عمري الأصلي.. كم عمري؟! وحين قرر الشيخ شاه نقشبندي في إرشاداته أن هذه الدنيا هي عالم البرزخ وأن عمر حياة الإنسان هو في الأصل عمر الموت.. نبهتني فلسفته هذه وأدهشتني، بل أفزعتني..

كنت أعلم كم بقي على مدة إنهاء خدمتي الوظيفية؟ وكم يومًا بقي على تقاعدي؟ لكني لم أكن أعرف ما هو عمري الحقيقي، وطبقًا لأقوال الشيخ شاه نقشبندي كم المدة التي قضيتها من مرحلة الموت في عالم البرزخ هذا..

ورحت أفكر لو أن أخوالي زادوا في عمري، حين ألحقوني في المدرسة في باكستان، فهذا يعني أن مدة خدمتي الوظيفية أصبحت

قصيـرة.. لكن كم سنــة؟ سنة.. سنتان.. ورحــت أطمئن نفسي.. ربما كتبوا تاريخ ميــلادي أو جعلوا عمري أقل بنصف عام.. لكن كان هناك تساؤل لم أجد لدي جوابًا له.. بل لم أجد له إجابة في أي مكان..

ما هو عمري الأصلي؟! ما هو تاريخ ميلادي؟!

لــم أكن أبــدًا أهتم بهــذا الأمر من قبــل؟ مع أنه منــذ سنوات في كل جريــدة، وفي كل مجلــة كنت ألاحظ صفحة «برجك هــذا الأسبوع» و«حظــك هــذا الشهر» ولكن حين بــدأت أخوض فــي دوامة البحث عن عمــري الأصلي، وتاريــخ ميلادي الحقيقــي أصبحت هــذه الصفحات بالنسبــة لي كأنهــا إعلان عن عجــزي.. إعلان بأنني معــوق.. لم أكن أعــرف ما هو برجي وما هو نجمي؟! فقد كنــت على يقين من أن تاريخ ميلادي خطأ، ولهذا لم أكن أتمكن من معرفة «قسمتي ونصيبي»..!

وراح هــذا السؤال يدخل عقلــي يركبني كعفريت شرس.. في البيت وفــي المكتب.. فأصبحت سريع الغضب، سريع التهيج، وذات يوم قالت ابنتي التي تدرس علم النفس في الليسانس لأمها:

يبدو أن أبي مصاب بمشكلات نفسية..

قالت هذا، وهي تهمس في أذن أمها.. ولكني سمعت ما قالته، فبدأت أصيح وأصرخ، ورحت أتفوه بما يرد على لساني من كلمات لا معنى لها.. كنت باختصار أهذي.. وفي الليل سألتني زوجتي بعطف شديد:

ماذا أصابك هكذا فجأة؟!

فأجبتها:

لا أعرف تاريخ ميلادي!

وشاهـدت الحيرة تبدو علـى وجهها فأغلقت عينـي، أما هي فبعد سماعها هذه الإجابة المحيرة لم تعد توجه لي أي سؤال.

أمـا ابنـي أرشد الذي يقيم مـع زوجته وحده، فقـد زارنا ذات يوم وراح يحدثنـي فـي موضوعات مختلفة، وحدثني ضمـن ما كان يحدثنا به، فقال:

مـاذا يقلقـك هـذه الأيـام يـا والـدي؟ أخبرنـي، فربمـا أمكنني مساعدتك..

ففهمت أن أمه وأخته أخبرتاه عن حالي.. فأجبته:

«لا شيء» أجبته دون مبالاة.. «إنني قلق فيما يتعلق بتاريخ ميلادي». ونظر إلي في حيرة وتعجب فأخبرته باختصار عن الأمر كله، وقلت له:

اسمع، إن تاريخ ميلادي المكتوب في جميع الوثائق والشهادات غير صحيح.. وظل يصغي إلي باهتمام، ثم قال:

أبي.. فهمت.. بعد قيـام باكستان عدد لا يحصى من الناس جاؤوا هنا وحالتهم كانت مثـل حالتك.. كم من الناس كتبوا تواريخ ميلادهم بناء على قياسهم، فلماذا كل هذا القلق الذي أصابك؟!.. لك أن تتصور تاريخ ميلادك المكتوب تاريخًا صحيحًا..

وسكت. فاضطرب لسكوتي، ثم قال:

أبي.. لماذا تجعل «من الحبة قبة» من دون داعٍ؟!

أرشد أنت لا تستطيع أن تفهم هذا الأمر..

ورجع أرشد إلى بيته قلقًا مضطربًا.. يائسًا..

ورحت أتدبر كل حيلة؛ لأتماسك ورحت أطمئن نفسي.. الناس الذين يعرفون حقيقة تاريخ ميلادهم، هل يؤثر هذا التاريخ على حياتهم؟ لا بد أن الأساس والأصل هو جد الإنسان واجتهاده وعمله المتقن.. لكنني أجد نفسي أفكر في اتجاه آخر معكوس.. هل هذا أمر عادي؟ هل هذا أمر بسيط ألا يعرف الإنسان في أي يوم ولد؟!.. أليس عن طريق معرفة تاريخ الميلاد يعرف الإنسان نجمه ويعرف الكثير عن قسمته ونصيبه؟!.. ثم أقوال الشيخ شاه نقشبندي بأن عالم البرزخ في هذه الدنيا هو سنوات موت الإنسان.. وكأن هناك دودة راحت تخترق دماغي، وأنا في كل لحظة أغرق نفسي في تعقيدات وتعقيدات حتى أصابني المرض.. كان مرضي من النوع العجيب والغريب في الوقت نفسه..

حالة من الصمت الطويل.. ثم ظهور حالة من الهيجان.. أخذت إجازة من العمل.. ورقدت في البيت لا عمل لي سوى التدخين.. وهناك فكرة واحدة لا يوجد سواها تدور داخل رأسي.. وذات يوم رحت أقهقه بالرغم مني وأقهقه.. وفكرت.. حين ألفظ أنفاسي الأخيرة في عالم البرزخ هذا سوف يقول الجميع إنني مت وأنا في الثامنة والستين،

وسوف يكذبون جميعًا.. وهجت وأنا أتصور الجميع يكذبون، ثم انتابتني نوبة ضحك على الرغم مني..

تجمع من في البيت.. راحوا يحملقون في وجهي.. وعلى وجوههم دهشة وحيرة واضطراب.. كانت الدموع ظاهرة بوضوح في عيني زوجتي برغم محاولتها إخفاء دموعها، وفجأة حبست قهقهاتي في حلقي، وأغلقت عيني.. صمت طويل.. بعدها صدرت أصوات الهمس، ثم عمّ السكون..

وفي يوم وجدت نفسي حزينًا تعسًا.. رحت أقول لنفسي: أنا إنسان لا يعرف متى ولد؟ ومن ثم لا يعرف عمره الحقيقي.. لقد قضيت حياتي كلها حتى الآن مستعينًا بتاريخ ميلاد افتراضي زائف..

وفكرت: حين أموت سوف يدفنني هؤلاء الناس.. سوف يضع ابني لوحًا على قبري.. سينقش عليه آيات من القرآن الكريم، ثم تاريخ ميلادي، وتاريخ وفاتي.. تاريخ وفاتي صحيح بالتأكيد، لكن تاريخ ميلادي خطأ..

في تلك الليلة طلبت رؤية ابني، وقلت له:

«انظر! هذه وصيتي: حين أموت لا تكتبوا على لوح قبري تاريخ ميلادي.. لا تكتبوه.. هل تعدني بذلك.. أقسم بالله على ذلك! فهذه وصيتي..».

كرب

للأديبة: سلمى ياسمين

سلمى ياسمين من الأديبات اللاتي يعبرن بصدق عن نبض الحياة في شرايين المجتمع الباكستاني، وقد حدث وسافرت خارج باكستان، فأتيحت لها الفرصة لدراسة القضايا الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين من أهل وطنها، فتألمت وحزنت لما أصابهم نتيجة لانقطاع الصلة بينهم وبين بيئتهم الثقافية والحضارية والدينية.

وقصة «كرب» وهذا هوالعنوان بالأردية – إذ الكلمة مستخدمة بمعناها نفسه في العربية وتخصص المعنى هنا للحزن والألم الشديد يخنق الأنفاس – قصة من النوع الذي يعالج ضياع الإنسان المسلم في متاهات بلاد الغرب، ويعالج تدني قدسية الروابط الأسرية، وتوضح القصة كيف يعيش المهاجر في بلاد الغرب حياة – تحكمها المادة – على مستوى حيواني محض، والقصة قبل هذا وذاك تجعل المسلم يشعر بالاعتزاز بدينه وبنفسه وبوطنه وبجميع قيمه الغالية.

كــرب:

كنــت أنزل في فندق على طريق «أيرلز كورت» وفي الصباح تناولت طعــام الإفطار، وخرجــت إلى محطة «متــرو» الأنفــاق القريبة؛ لأركب المترو، وأنطلق حيث أريد..

وأمام شبــاك التذاكر وقفت امرأة هدّتهــا السنون والأيام، قمحية اللون، مليحــة القسمات، حلوة التقاطيع، ترتدي مــا يشبه «الجيبة» أي التنــورة، وعلى رأسها عقدت منديلاً كبيرًا أخفى شعرها تقريبًا، وبدت لــي كامــرأة تعمل فــي الإرساليــات التنصيرية في مستشفيــات بلادنا وجــاءت هنــا لتجلس في هــذا الشباك فــي مدينة لندن.. حيــن رأتني علــت شفتيهــا ابتسامة صدرت من داخلها، فــزاد يقيني بأنها لا بد من «بلدياتي»..

فــي ذلك اليــوم كان عليها أن تذهــب لعمل ما... فاتفقنــا على أن أنتظرها عند محطة مترو الأنفاق، على أن تقابلني ونمضي معًا نتمشى في شــارع «أكسفورد»... ومحطة مترو الأنفاق الواقعة في طريق «أيرلز كروت» لا تقع تحت الأرض، بل هي كبقية محطات السكة الحديدية..

حضــرت فــي الساعة الحادية عشــرة، ووقفــت أنتظرها يتخبطني القــادم والذاهب فــي هوجة الزحــام، وساورني قلــق واضطربت حين فكرت فــي الذهاب وحدي إلــى المصعد الشبيه بالغرفــة المغلقة؛ لأن المصعد كان يمتلئ في التو بحشد المسافرين.. في الحقيقة لندن مدينة عجيبــة، يتراءى لك فــي شوارعها كل أنواع البشــر إلا الإنجليز: السود

والصفر والشقر والبيض وهلم جرّا.. وبحسابات لندن كان صيف هذا العام شديد الحرارة مما جعل الناس يخففون من ملابسهم، فظهرت سواعد الرجال وأرجلهم إلى الفخذين، وحتى صدورهم وظهورهم كانت عارية لا يسترها شيء.. وبدأت الأشكال البشرية واضحة – فاضحة – بأكملها.. يا لها من رعونة! ودهشت وأنا أشاهد ألوان الشعر الذي يعلو رؤوس البشر: برتقالي.. ذهبي ملتهب.. وردي على جميع الألوان، وبجميع الأشكال: المسترسل والمعقوص والمعقود.. وفي الآذان والرقاب وعلى السواعد كانت هناك أنواع متباينة الأشكال من الأقراط والحلقات والعقود والسلاسل.. ولاحظت أن هناك واحدًا من كل ثلاثة شبان يرتدي الملابس السوداء.. و«البنطلون» واسع أشبه بالسروال، والقميص منتفخ، والأكمام شمرت حتى مفصل الذراع... هذا إن كان هناك أكمام.. بينما الأظافر مطلية باللون الأسود والعيون مظللة بالأسود، وأحمر الشفاه تحول إلى اللون القاتم القريب من الأسود.. يا إلهي لم تعد عيناي بقادرة على التمييز بين الفتى والفتاة وكأنني في غابة تعج بأبناء «اللورد دراكولا» وبناته!

أخذت أروح وأجيء مع أمواج المسافرين هنا وهناك، وإذا بالمرأة المكلفة بمراقبة التذاكر في المحطة تشير إلي، اعتقدت في البداية أنها تشير إلى أحد غيري، فتلفت حولي، إلا أنها ظلت تشير إلى ناحيتي وتحيرت قليلاً وترددت قبل أن أذهب إليها.. فقالت لي بلغة أردية «مكسرة»:

«هل أنت مسلمة؟».

«نعم».

«باكستانية أم هندية؟ أظنك باكستانية!».

«ظنك في محله.. أنا من باكستان».

«هذا البنطلون الذي تلبسينه ماذا تسمينه؟!».

«شلوار..».

«سلــوا (نطقتها بالسين) إنه يعجبني كثيرًا، كيف تلبسينه؟ أريني كيف تلبسينه؟».

قلــت فــي نفسي: لعلهــا تحاول أن تمــزح معي، فهــذه الإنجليزية لا تعرف من الشلوار اسمه ولا رسمه...

«كيف يمكنني أن أريك هذا أمام كل هؤلاء الناس».

«تعالي هنا داخل الكابينة».

ونجحت بصعوبة في إفهامها كيف تلبس الشلوار..

«إنــي أتوق من كل قلبي إلى ارتداء هــذا الزي، كانت جدتي ترتديه في زمن ما..».

«يمكن أن ترتديه إن أعجبك».

فأخذت نفسًا عميقًا، وقالت لي:

«لكني مكرهة.. فأنا أعيش هنا، ولذا يجب أن ألبس زي هذه البلاد، آه زوجك ليس معك اليوم أنا أشاهدكما معًا كل يوم، إنك تضعين (إيشاربًا) على رأسك أيضاً، لهذا تأكدت من أنك مسلمة.. هل تعرفين (الشهادتين)؟

«كل مسلم يعرف النطق بالشهادتين».

وتحيرت كثيرًا ماذا يهم هذه المرأة النصرانية من نطق الشهادتين؟!

«أسمعيني إذًا الشهادتين».

«لماذا؟!» سألتها بامتعاض.

«لأني مسلمة أيضاً..».

«أنت..؟».

«نعم.. ألا تصدقيني.. إن قلبي يتوق لسماع الشهادتين».

فنطقت أمامها بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.. وبدت وكأن عينيها امتلأتا بالدموع.. فراحت تعبث بأصابعها داخل شعرها القصير.. ثم قالت:

«قضيت حياتي كلها هنا.. فنسيت الشهادتين تدريجياً.. إني مسلمة.. نعم أنا مسلمة».

وانتابني شعور بالاهتمام بها، فسألتها:

«هل أنت باكستانية؟».

«لا يا عزيزتي.. لا.. أنا لست باكستانية.. لقد هاجرنا إلى هنا من أفريقيا الشرقية، بعد أن طردت الجالية الآسيوية من هناك».

«فكيف إذًا تعرفين الأردية؟ الأردية لا يتكلمها أحد في أفريقيا الشرقية».

«صدقت.. لكن أبي وجدي من (الكجرات) أبي كان شيخًا فقيهًا يعلم الناس شعائر دينهم، فقدم والدي بعد أن اصطحب جدتي معه إلى أفريقيا وتزوج في أفريقيا أيضاً، كان أبي رجلاً تقيًّا.. كان طيباً.. لقد علمني النطق بالشهادتين، وعلمني أمورًا كثيرة من أمور الدين، والآن نسيت كل شيء».

وانقبض قلبي..

«ثم ماذا حدث؟» سألتها ببرود.

انهمكت في الحديث معي والمسافرون يمضون يبرزون لها بطاقات اشتراكات في المترو الملونة والتذاكر، وهي تهز رأسها دون أدنى اهتمام..

«آه ثم ماذا كان؟ توفي أبي، وتوفيت جدتي هناك، وجئت مع إخوتي إلى هنا، تزوجت بشاب عربي مسلم، كان قاسيًا لم يكن يطعمني، بل كان يأخذ راتبي كله، إذ كنت أعمل».

«هل يمكن أن يحدث هذا في لندن أيضاً؟».

«لماذا؟ أليس في لندن بشر ككل البشر؟.. هنا أيضاً يحدث كل شيء.. جاءني منه ولدان.. الحمد لله كلاهما مسلم.. ثم طلقني وتزوج بأخرى، وأخذ مني الولدين، فوجدت نفسي فجأة وحيدة بلا مأوى وبلا عمل.. فعشت على راتب الإعانة الاجتماعية.. لم يفكر في أحد على الإطلاق، فإخوتي كانوا مشغولين بأنفسهم.. لم يفكر أحد منهم في أن يطيب خاطري بكلمة.. فجأة وجدت نفسي وحيدة تمامًا، والمرأة في النهاية امرأة تحتاج إلى عون الرجل.. إلى محبته وإلى حمايته..».

وسكتت وراحت تفكر قليلاً، ثم قالت:

«إنني أرتاح إليك كثيرًا.. أرتاح كثيرًا إلى كل من هو مسلم.. ففي النهاية أبي الحبيب كان مسلمًا.. إنني أستريح لفكرة ارتداء هذا الشلوار والقميص.. لكن للأسف لا يمكن أن أفعل ذلك، فلم أتعود على ذلك، كما أن هذا الزي لا يتماشى ولا يتناسب مع الوظيفة».

«هل تسكنين بمفردك؟».

«حين اعتصرني الألم ونهشتني الوحدة.. اهتم بي رجل.. طيب جراح الألم ومسح دموع الأسى، وشد من أزري، وكنت آنذاك مريضة، فقام على خدمتي، وتزوجته في النهاية.. لم يطلب مني تغيير ديني، أو تغيير اسمي.. فأنا حتى الآن (زينب) أخذني من أهلي، ولكن لم يطلب مني أن أعبد الأصنام، أوحتى ألبس كالهنادكة، في بيتنا أصنام الآلهة، ولكني لم أسجد لها أبدًا ولم أعبدها، تمر علينا أعياد الهنادكة

واحتفالاتهم، فأشترك فيها، ولكني أتمتع بكامل حريتي.. أفعل ما أريد، آكل اللحم خارج البيت.. فزوجي يحبني كثيرًا.. فماذا عساي فاعلة؟! الجميع يعرف أنني مكرهة، ولهذا لم يغضب مني أحد، فأنا مسلمة.. أنا لا أعبد الأصنام.. أنا آكل اللحم».

«هل عندك منه أولاد؟».

«عندي ولدان وبنت.. كلهم كبروا الآن».

«مسلمون؟».

«لا.. لا.. كيف يكون ذلك.. هم غير مسلمين هم على دين أبيهم، كما يكون الأب يكون الأولاد، أنا كنت مكرهة، هذا الهندوكي الذي يحبني أفضل من الزوج المسلم الظالم.. أليس كذلك؟! كنت أحتاج إلى معين... الله يعرف كل شيء، الله سيسامحني.. ولعلك لن تعجبي إذا عرفت أن إخوتي من المسلمين وأولادي المسلمين غضبوا مني كثيرًا، قالوا: إني تزوجت من هندوكي، ولهذا فأنا كافرة، وإنني سوف أحرق بعد أن أموت، وأظل محترقة أبدًا.. فخفت وارتعبت وظللت أبكي، وأبكي فرقَّ زوجي لحالي ووعد بأن يسلم جسدي بعد موتي إلى أهلي من المسلمين حتى أدفن كما يدفنون.. وحينئذ استرحت واطمأن خاطري وهدأ بالي وإلا فكيف وبأي وجه أقابل أبي يوم القيامة.. الآن أهلي من المسلمين استراحوا، وأنت أيضاً لا تقلقي فزوجي مقيم على وعده ولا بد أنه سيسلم جسدي بعد وفاتي لأهلي.. لن يحرقني كما يفعل الكفار بأجساد موتاهم».

وبينما هي تتحدث إذا بشاب قادم علينا..

«هـذا ابنـي (مـول تشند) له شقـة خاصة بـه يؤجرهـا للطلاب، ويحصل على عائد طيب».

عقد الشاب يديه أمامه، وحياني بتحية الهنادكة (نماسته).

«لا تقل: (نماسته) أنا مسلمة يا عزيزي...».

وتمنيـت من كل قلبـي أن أهرب بعيداً بعيـداً.. أن أهرب بعيداً عن هـذا الوحل البشري.. بعيـداً عن (مول تشند) و(نهـال تشند) و(آشا ديوي) الذين ولدوا في بيت (زينب).. وظلت أنفاسي مختنقة بداخلي، وأنا أردد بصوت مكتوم: يا إلهي! ما هذا الكرب!!.



الابن والابنة..

للأديب: شمس نعمان

شمس نعمــان من كتاب القصة القصيــرة المعروفين، برع في فن القصــة واستخدم الرمــز في كتاباتــه، وقصصه تدور حــول المجتمع المحيط بنا وخلفيتها هي أيضاً المجتمع نفسه، وهو يجعل من الحقيقة مدعــاة للحيرة وقصة (الابــن والابنة والله) توضــح مأساة المغتربين فــي كل مكان في باكستــان، أو مصر أو في السودان أو في غيرها، وهي توضــح أيضــاً بعد قليل من التمعــن عناصر محبة الثـروة المتغلغلة في داخل الإنسان، تلــك العناصر التي لو غلبت على صلات الدم، وصلات الرحم فإنها توجد مأساة أخرى.

الابن والابنة..

كان مديــر البنك يــود من كل قلبه أن يأخذ مــن الحارس بندقيته، فيطلــق عليه جميــع الطلقات التي وضعها في حزامــه الذي تمنطق به، وكان هــذا على الأقل هــو العقاب الذي ودّ لو وقعــه على الحارس جزاء له.. ففي الوقت المحدد تمامًا لانتهاء الدوام، وبدلا من أن يغلق البوابة الرئيســة للبنك، أخــرج علبة الدخــان واتجه حيث أريكــة «كل خان»..

بينما دخل ثلاثة من العملاء إلى مكتبه، وراحوا في نقاش حاد وعراك بالكلمات.. وفقد صوابه وكان قد فقده أصلاً منذ الصباح... ففي الصباح دارت الأمور كالعادة على ما يرام وطبقًا لما يريد، وفجأة تذكر ساعة يده التي لم يجدها في معصمه، لقد وضعها في مكان ما ونسي، وهناك كانت زوجته صافيناز قد أعدت له طعام الإفطار ووضعته على الطاولة، أعدت له طبقاً لرغبته البيض المقلي والبليلة بالحليب.. وقبل ذلك بقليل وحين كان يعد العدة للذهاب إلى البنك كانت صافيناز تثبت له أزرار معطفه، وكانت قد اعتادت على القيام بذلك كل صباح، أما هو فقد اعتاد بدوره أن يمزح معها ويقبض بشدة على أناملها، قائلاً:

«صافينا، إنني جد سعيد داخل قيدك، فلا تحرريني منه، لو حدث هذا فاجعليني أسيرًا في قلاع عينيك..».

وتجيبه صافيناز بدلال، فيضمها إلى صدره في حب وحنان.. كانت صافيناز تعرف أن ما يقوله يخرج فعلاً من أعماق قلبه، فلم يمضِ على زواجهما إلا أشهر معدودات، ومع هذا فقد كانت تفكر وتحدث نفسها: «.. تلك الحياة التي عشتها من دون جاويد.. آه! كم كانت خاوية لا طعم لها.. كانت كبيت في خرابة ليس فيه مصباح..».

بعد أن انتهت صافيناز من تثبيت أزرار المعطف تذكر جاويد ساعة يده التي لم يجدها في معصمه.. ثم ماذا حدث؟ قامت القيامة.. فقد قرب وقت الذهاب إلى البنك والساعة لم توجد بعد، البيض المقلي على المائدة برد، فاستشاط غضبًا وراح وهو على هذا الحال من الهيجان يحرك عينيه هنا وهناك، ووقفت صافيناز المسكينة، وقد

أصابها الرعب، فقد كانت غارقة في سحر المحبة، تطير فرحًا فوق النجوم، وفجأة وجدت نفسها، وكأنها ارتطمت بالأرض.. وأين يا ترى وجدت الساعة؟! لقد أخرجت من جيب معطفه!!

«ألم تستطيعي أن تبحثي عن هذه الساعة التعسة في جيب معطفي؟».

في البداية امتلأت عيناها بالدموع، لكنها لم تدرِ لماذا انفجرت ضاحكة، واستمرت في الضحك، أما جاويد فقد شعر وكأنها تتهمه بالحمق فصب جام غضبه عليها، ولكنه حين نظر إليها شعر وكأن ربيع الأزهار قد حل على بستانها... وكان الوقت يمر بسرعة والبيض المقلي، هذا البيض الذي برد بث في ربيعه الذي أضاء كالصباح سمًّا، فلم يدرِ ماذا حدث له.. حمل طبق البيض المقلي وألقاه بشدة على الأرض:

«ألم تتعلمي كيف تعدين الفطور بطريقة طيبة؟».

«عليك أن تأتي بمن تعد لك الفطور بطريقة طيبة!».

كان جهاز عرس صافيناز يتكون – ضمن محتوياته – من أطباق غالية جدًّا، بالإضافة إلى السجاد العجمي النادر لهذا شدها الذهول واحتواها الغضب، فكان جوابها سريعًا، إذ شعرت أن الطبق الذي تحطم لم يتحطم على السجاد، بل تحطم على جسدها..

- «نعم سوف آتي..».

قال هذا واتجه من فوره دون تناول الإفطار إلى البنك، وقد استمر في البنك طوال اليوم، لكنه كان ينظر إلى عقارب الساعة المعلقة على

الحائـط أمامه في مكتبه.. كان ينظر ويترقـب: متى تشير العقارب إلى الساعـة الواحدة؟ ومتى يصل إلى البيت؛ ليصالح صافيناز؛ لقد خامره إحساس بـأن صافيناز ظلت قلقة مضطربة طوال اليوم، بل ظلت تبكي، وكان هذا الإحساس يؤذيه فلا يشعر بالراحة.. كان يمكنه أن يعود إلى بيته مبكرًا، لكن اليوم أول الشهر ووجوده في البنك ضروري جداًّ، فوجود المدير لازم من أجـل التعامل مع أصحاب الاعتمادات والحسابات، كما أن التعامـل في صرف النقود يكـون أول الشهر أكثر من الأيام العادية.. لكن هــذه المسرحيــة المضحكــة العجيبة حدثـت فجـأة، فحين كانت عقـارب الساعة تشير إلى الثانية عشـرة والدقيقة السابعة والخمسين، وحين بدأ جاويد يلملم أوراقه ويعطي أوامره للصرافين بترتيب الأوراق الماليــة تمهيدًا للتوقف عـن العمل بعد ثلاث دقائـق إذا بهؤلاء الثلاثة يدخلـون عليـه فجـأة، وكأنهم صاعقة حطـت عليه من السمـاء.. فكاد دمــاغ جاويد أن ينفجر، وتمنى من كل قلبــه أن يفرغ في الحارس جميع رصاص البندقية التي يحملها، فلو كان هذا الحارس الجلف موجودًا في موقـع خدمته لما تمكن هـؤلاء من دخول مكتبه في هــذا الوقت.. ولكن مــاذا يمكنه أن يعمـل الآن سوى إعداد نفسه لتمثيـل دور موظف البنك النموذجي، فيستمع إلى حديثهم، ويصغي إليهم بكل أدب واحترام.

كان من بين هؤلاء امرأة سمينة جداً شعرها مجعد بطريقة تدل على أنهـا زادت من استخدام أسطوانات لـي الشعر في صالون تجميل، كانت هذه المرأة قصيرة القامة، لكن صوتها كان ضخماً، وكانت نبراته حادة ومخيفة، وبينما تتكلم كانت تدير عينيها الصغيرتين هنا وهناك بطريقة كلهـا مكر ورياء، وكانت رقبتها قـد التصقت بكتفيها، وكأنها دكت فيهما

دكًّا، وحول هذه الرقبة وضعت سلسلة من الذهب مع عقد من اللؤلؤ، كان كفاها غليظتين، وفي أصابعها الصغيرة غاصت خواتم الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة وفي كل معصم وضعت ست «أساور» من الذهب.

كان يرافقهـا رجـل ضخم الجثة.. أخوها على مـا يبدو؛ لأن هنـاك شبهًا كبيراً في ملامحهما، لكن لون بشرة الأخ أفتح قليلاً من لون بشرة أختـه، كما كان أطول منها قليلا، إلا أنـه أيضاً كان سمينًا جداً، وكانت الأخت وهي تتشاجر معه تناديه أحياناً: تاج الدين وأحياناً تقول له: تاج وأحياناً: تاجو..

كان تـاج أو تاج الدين أو تاجو قـد استشاط غضباً واحتدم النقاش والشجـار بين الأخـت وأخيها، بل أدخلا أيضاً بينهمـا مدير البنك في سفسطتهمـا ونقاشهما العقيـم، وحين تدخل توقـف النقاش لحظات، ثـم عاد الأخ وأخته مرة ثانية للنقاش وارتفع ضغط كل منهما، وبرزت العـروق من تحت جلودهما وظهرت في صوتيهمـا حشرجة تحولت إلى مواء كمواء القطط الجوعى... كان معهما سيدة عجوز تبلغ السبعين أو أكثر نحيفة القوام تبدو داخل ملابسها البيضاء وعباءتها التي لفت بها رأسها ونصف جسمها العلوي تبدو ذابلة ضعيفة..

كانت سيدة هادئة صامتة، في يدها مسبحة وشفتاها تتحركان في حـركات منتظمة مع تساقط حبات المسبحة الواحـدة تلو الأخرى بين أصابعها.. كانت هذه السيدة هي أم تاج وإقبال بيغم. جلست في صمت شديـد على الكرسي تنظـر إلى ابنها وابنتها.. وكانـا حين يصلان في جدالهما وعراكهما إلى أقصى حد تتدخل، قائلة بصوت خافت:

«يــا ابنتي، كل شــيء زائل، لمـاذا تتصـرفون هكــذا.. كل شيء ملك تاج.. لماذا تتعاركان..؟».

«لماذا أترك هذا يا أمي؟ إنني صامت من أجلك فقط!!».

«وإلا.. فمــاذا يمكن أن تفعلي أكثر من هذا..؟ هل الظلم الذي وقع قليــل.. لماذا هذا معي؟ المبلغ الذي ظــل يوضع في البنك منذ زمان.. أخبرنا يا سعادة المدير، كم وصل الحساب حتى الآن؟».

أخرج جاويد دفتر البنك ووضعه أمامه، ثم قال بصوت عالٍ: «ثلاث مئة وخمسون ألف روبية وخمس وسبعون بيسة».

«لكن ما هو نصيبي منها؟».

«لقــد أخبرتك» رد المدير بلهجة كلها نفــور «هذا الحساب حساب مشترك بين إقبال بيغم ووالدتك السيدة حسن بيبي».

«اســمــع سيــادة المدير، هــذا ظلم..هذا امتصاصــ للدماء.. هذا سطو.. يا إلهي.. هذا ظلم هذا المبلغ كله أرسلته إلى أمي من الخارج، وقامــت هي بفتح الحساب المشترك مع إقبال بيغم.. يا سعادة المدير، ســوف أرفع قضية.. إقبــال بيغم ليســت أختي إنها «حربايــة» إنها «أم أربعة وأربعين»!!!

سمعت إقبال بيغم كلام تاج الدين، فاصفر وجهها، صار كالكركم، وكادت أن تصرخ:

- «تاج! اخجل.. إنني أتفل على أموالك هذه، ها اليوم جاء صاحب الثـروة.. اسأل أمك.. هل هي التي طلبت فتح هذا الحساب المشترك، أم أنـا التـي طلبت؟ اسـأل أمك لا تنظـر إلي، وإلا فتحـت كل دفاترك وكشفت كل ما خفي».

ورفعت إقبـال بيغم صوتها وهي تنطق بالعبارة الأخيرة حتى شدت انتباه جميع العاملين في البنك.

سقط جاويد في دوامة من الارتباك، فهذا أمر يتعلق بسمعة البنك الذي يديره، ماذا درى هؤلاء الناس خارج مكتبه بأن ما يدور من عراك إنمـا يدور بيـن أخ وأخته، ربما ظنوا أنه يدور بيـن أصحاب الحسابات والمدير نفسه... وقال المدير:

«انظري يا أماه، حاولي أن تفهمي، فالأمر واضح.. المبلغ كان يرسله تـاج الدين، والحساب مشترك بين إقبـال بيغم وبينك، ولهذا فالعلاقة كانت بين البنك وتاج الدين والبنك من ناحية لا يجيز إعطاءه أي روبية من هذا الحساب.. يا أماه، يمكنك بنفسك حل هذه المشكلة».

«يـا أخي، هذا مـا أقوله، الأمـوال أموالي، كنت أرسلهـا إلى أمي، فكيف حشرت الأخت نفسهـا بيننا وأصبحت شريكة في الحساب، هذا ظلم وإجحاف ولن أسمح بهذا الظلم أبدًا» ثم أردف قائلاً:

«يـا سعادة المدير، إنـك لا تدري.. إن الشركـة التي عملت بها في قطـر في مد أنابيـب البترول تحرق مـع الجسم الدم أيضـاً، لو خلعت قميصـي هذا وأريتك فسوف ترى كم من الجراح والحروق فوق جسدي وعلى ساعدي وفوق ركبتي..» ثم قال وهو ينظر إلى أمه:

«يـا أماه، لقد كـدت أفقد حياتي مرتيـن، وأنا أجمع هـذه الثروة، لقـد ضعت وسط هجير الصحراء» ثم صمـت وأخذ نفسًا، عميقًا وقال مخاطبًا المدير:

«يا سعادة المدير، أنا لم أجمع هذا المال من أجل أن يحقق إخوتي وأخواتـي أحلامهم فـي الحياة الرغيدة.. هذه قطـرات دم تريد إقبال بيغم أن «تشفطها» في حلقها.. لكني..».

«كفـى! أوقف هـذه الخطبة.. أنـت لست أول أو آخـر من اغترب عن بلـده، اسمع أنا أختـك الكبرى، من الخير لك أن تفكـر أولاً.. لنتحاسب، لقـد أعطيتك أربعين ألف روبية حتى تجهـز أوراقك للسفر، وأنا متزوجة وعندي أربعة أطفال.. وبقيت في الخارج سبع سنوات، كان طعام الأم، وما إلى ذلك على حسابي، مرضت وأصيبت العام الماضي باليرقان، وأنفقت علـى علاجها أربعين ألف روبية، شراء الملابـس، وخلافه بالإضافة إلى ذلك كل ثلاثة أشهر تقريبًا يموت أحد الأقارب، فأذهب مع الوالدة ونؤدي الواجب، وكله على حسابي... لا تخفني هكذا أمام مدير البنك».

«لكن الحساب لا بد أن يتم هنا، حيث وضعت الفلوس».

«يا أماه، لماذا أنت صامتة.. لماذا لا تتكلمين؟».

نظرت الأم إلى جاويد مدير البنك نظرات تحمل كل معاني الرجاء والتوسـل، ثم راحـت تنظر بحسرة ومرارة مرة بعـد الأخرى إلى إقبال بيغـم وتاج الدين وكانت عـدة حبات من سبحتها تتحـرك مجتمعة مع بعضها بين أصابعها، حين بدأت تقول:

«أنتما أولادي، كلاكما فلذة كبدي.. ابني وابنتي.. والله فوق.. كسب العمر كله.. ماذا عندي غير هذا؟».

وصمتت فجأة.. وبدأت حبات المسبحة تتساقط بسرعة بين أصابعها، وكان جاويد مدير البنك يريد أن يهرب بجلده، كان يعرف أن الأخ وأخته سوف يستمران في هذا الجدال العقيم، وكان يشعر أيضاً أنه إذا لم يصل إلى البيت لتناول طعام الغداء، فسوف تموت صافيناز من الجوع والعطش، وسوف يضطر إلى إرسال صافيناز إلى بيت أهلها لاسترضائها، فطالما لن تعود إلى طبيعتها، فلن تعود إلى البيت، ولن يستطيع أن يتحمل عذاب هذين اليومين أوالأيام الثلاثة التي تغيب فيها عنه لهذا عرض حلاًّ لهذا الخلاف كله.

«يا أختاه! يمكن أن تفعلوا هكذا.. أن تغلقوا الحساب، وتسحبوا كل المبلغ وتعطيه للأم.. وتسحب الأم ما لك وتعطي الباقي لتاج الدين، فيقوم تاج الدين بفتح حساب خاص به، فهذا المبلغ كان تاج الدين يرسله من الخارج وحسابه في البنك كله كان عن طريق الحوالات بالعملة الأجنبية، فهو لم يدخل أي مبلغ آخر غير ما أرسل عن طريق تلك الحوالات..».

«صحيح.. بالضبط.. ما قلته صحيح» أخرج تاج الدين علبة السجائر المستوردة مع قداحة مطلية بالذهب وأشعل سيجارته وهو ينظر ناحية أخته.. فسكتت الأخت ربما تحت إلحاح المصلحة..

«هيا يا أماه، أخرجي دفتر الشيكات؛ حتى يمكن أن نسوي حساباتنا».

فأخرجت الأم دفتر الشيكات من حقيبتها الصغيرة، وأعطته إلى إقبال بيغم فوضعته إقبال بيغم على طاولة المدير، وراحت تنظر بكل مرارة إلى الجدران الزجاجية للمكتب وتتفحصها من خارجها وداخلها.. نظرت إقبال بيغم إلى المدير نظرات كلها رعب، ثم ألقت بنظرة كراهية تجاه تاج الدين ووضعت دفتر الشيكات أمام الأم، وقالت:

«خذي أعطي كل ذي حق حقه».

وتقدم تاج الدين وأراد أن يضع القلم في يد أمه، فسقطت المسبحة على الأرض وانفرط عقدها ومال جسد الأم البارد، ثم هوى على الأرض، واسترد الله أمانته التي أودعها عبده.



ثمن الحرية

للأديبة: عقيلة كاظمي

عقيلة كاظمي أديبة معاصرة، لها مكانتها في الأدب الأردي، عرفت بكتاباتها في فن القصة القصيرة الهادفة، وقصتها «ثمن الحرية» نشرت في أبريل ١٩٩٤م وكانت كشمير قد تعرضت وتتعرض لهجمات الهنود الهنادكة المحتلين، وهي حكاية فتاة من كشمير، جلست على شاطئ بحيرة «دل» في وادي كشمير وكتبت رسالة إلى أبيها في بلاد الغربة البعيدة.. ترى ماذا جاء في رسالتها..؟!

ثمن الحرية:

كان الخطاب مفتوحاً أمام «نياز أحمد»، وكانت حروف كلماته قد بدت أمام عينيه وسط الدموع المتساقطة كأنها تسبح وسط ضباب كثيف.. سقطت الدموع على بعض الكلمات فمحتها، وكأن هذه الكلمات قد كتبت بالحبر.. جملة واحدة فقط ظلت تتردد في ذهنه مرة بعد مرة كأنها مطرقة: «استشهد جميع أفراد أسرتنا»..

طأطأ نياز أحمد رأسه.. كم طوى من منازل السفر؟! وإلى أي منها انطلق؟! ما بين مكان سحيق شديد الانحدار وآخر مليء بالأودية

الفسيحة التي تطاول من على البعد أفق السماوات.. كان إذا ما وقف في سفح هذه الأودية تراءى له قصرمن السحب بني فوق قمم الجبال.. وكان حين يصل إلى قمة الجبل يطير فجأة قصر السحب إلى أعلى ويصير معلقًا في السماء.. هل كان ذلك سراب في سراب؟ هل كان ذلك خداع في خداع؟..

يذكر حديث الماضي، وكأنه سمعه منذ لحظات قليلة حين كان رضوان أحمد ونياز أحمد يجريان.. يقفزان في أودية «سرينكر».. كان بين الأخوين حب كحب العاشقين، لم يكن أحدهما يتحمل فراق الآخر ولو لحظة واحدة وكان الفرق بينهما في العمر لا يتعدى سنة ونصفًا، ولهذا بدا للناظر أنهما ولدا في يوم واحد..

كانت لهما مكانتهما في الأسرة، بل كان لهما حق النقض داخل الأسرة، وكأنهما دولة عظمى في الأمم المتحدة، فكانت الكلمة التي تصدر عنهما هي الكلمة القاطعة، لا نقاش بعدها.. ولم يصلا إلى مكانتهما تلك عبثًا، بل قدما في سبيلها العديد من التضحيات.. وضعا كفنهما على كتفهما منذ أن كانا في الثالثة عشرة وعاشا حياة كلها رجولة وشهامة..

في منطقة «نوربور» في عموم كشمير آلت حقول الزعفران كلها لأسرتهما، وفي حقول الزعفران تلك كانت حياتهما بكل مسراتها ومباهجها لكن والديهما استطاعا فقط أن يشاهدا بعيونهما فرحة ربيع ثلاث سنوات فقط، ثم راحا يرويان بقطرات دموعهما حقول الزعفران.. وكرّسا حياتهما لتربية ولديهما.. فزوجاهما وأقاما حفلاً لعرسهما ظلت الناس في الوادي تذكره مدة طويلة..

كان زواج رضـوان أحمـد مـن داخل الأسـرة، أما نيـاز أحمد فقد تـزوج من «ريشمـان» وذابت صلابة الوالدين، كمـا يذوب الجليد تحت أشعة الشمس، وذلك من أجل سعادة الابن، فقد كان نياز أحمد معجبًا بريشمـان.. كان شعر ريشمان الأسود ينسـاب خلفها، فتبدو كأغصان شجرة السنديـان تنساب على عودها.. ووجنتاهـا كانت تضيء كشعلة مـن أزهار الجلنار المتوهجة، أما عيناها الواسعتان فكانتا في طرفهما حـور.. وفيهمـا عمق يحـوي جميع أسـرار الكون.. وهكـذا الحسن في كشميـر، لكن حسن ريشمـان كان شيئًا آخر فاق كل حـدّ.. وهكذا أراد نيـاز أحمد أن يخفي دائمًا ريشمان عن أنظار الدنيا على الدوام، وهذا هـو السبب الذي جعله يفرض علـى جميع أفراد عائلة ريشمان الالتزام بالحجاب الشرعي كاملاً..

بعـد أن أكمل رضوان أحمد دراستـه وحصل على شهادة الليسانس تولـى أمر حقـول الزعفـران، أما نياز أحمـد فقد حصل علـى شهادة المحامـاة.. وولـد لرضوان أحمـد الذي تزوج من داخـل الأسرة ثلاثة أولاد كبـروا.. أمـا نيـاز أحمد فقد ظـل أربع سنـوات أوخمس من دون أولاد، مما أثار قلق والديه، وكانت أمه تقول بكلمات خفية:

«لقد نال نياز أحمد جزاء عصيانه».

لكن نياز أحمد كان نفسه سعيدًا بحياته مع ريشمان..

فـي الرابع من أغسطس ١٩٤٧م طلعـت شمس الحرية.. وفي اليوم نفسه نزلت رحمة اللّه على نياز أحمد فرزق بطفلة.. ودخل الأخوان في حملتين متضادتين:

«الحمـد لله، والشكـر لله، فقـد نـال المسلمـون حريتهـم وبهـذه المناسبـة سوف أسمـي ابنتي «آزادي» أي حرية.. قـال نياز أحمد هذه العبارة بكل سرور».

«وأخيراً تم التقسيم..» وكان هذا رأي رضوان أحمد.

وصار الأخـوان اللذان كان يضرب بحبهمـا المثل فريسة لموقفين متضادين.. كان نياز أحمد يعاند:

- «لنذهب إلى باكستان، ففيها العافية».

لكن رضوان أحمد كان يقول:

- «سوف نبقى فـي هذه الأرض، ونعيش على هـذا التراب الذي ولدنا فيه».

كان نيـاز أحمـد يدافع عن نظريتـه بأسلوب المحاميـن، مستعينًا بالدلائـل الدامغـة.. إلا أن أي دليـل مهمـا كان لم يستطـع أن يزحزح رضوان أحمد عن عناده قيد أنملة..

فـي تلك الأيام شاهدا معًا حرب سنـة ١٩٤٨م إلا أن موقف رضوان أحمد لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، وبقلب حزين ترك نياز أحمد نصيبه مـن حقل الزعفران لأخيـه، وهاجر إلى باكستـان.. كان فراق الأخوين صعبًا على قلب كل منهما، ومع هذا ودع كل منهما أخاه وهو يبتسم..

قـدم نياز أحمد إلـى باكستان وعمل بالمحامـاة وذاع صيته وصار عضوًا في «البرلمـان» ووصل إلى منصب وزاري.. ووهبه الله بعد ابنته

«حرية» خمس بنات.. وكان راضيًا بما قسمه اللّه له، بينما كانت ريشمان تشعر أحيانًا بالندم إلا أن نياز أحمد كان يقول لها دائمًا:

- «هذا رزق من عند اللّه.. هذه رحمة اللّه، ويجب ألا نكفر بنعمته.. هؤلاء البنات بالنسبة لي أعظم من أي ولد».

وقد كافأ رب العزة نياز أحمد على صبره وشكره، فصارت بناته شموسًا وأقمارًا: ثلاث منهن صرن طبيبات مشهورات، واثنتان الآن من أساتذة الجامعة والخامسة صارت مهندسة ووهبهن اللّه في الختام أخًا.. سبحان اللّه!

وهناك.. ولد لرضوان أحمد خمسة أولاد وراح يدعو اللّه أن يرزقه ببنت.. إلا أنها مشيئة اللّه.. استمرت المراسلات بين الأخوين.. وحين كانت الظروف تتحسن بين البلدين كانا يلتقيان، وإذا ما اضطربت الأحوال كانا يقومان بالمراسلة عن طريق لندن وأمريكا.

وبناء على رغبة الأخ رضوان أحمد زوّج نياز أحمد بناته الثلاث لأولاد أخيه.. مع أن أولاد رضوان أحمد لم ينالوا تعليمًا عاليًا، لكن كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لاستمرار المحبة وعلاقة القربى بين الأخوين.. لم تكن هناك قلة في المال أو الثروة.. وتزوجت أرم وكنول ونيلم.. وذهبن ليعشن هناك في كشمير جنة اللّه على أرضه.

كان نياز أحمد إذا حدث والتقى بأخيه يحاول جاهدًا، وفي كل مناسبة أن يقنعه بوجهة نظره:

- «الهنادكة لا يمكنهم التخلص مما في عقولهم من تعصب.. وربما يحملونك ذات يوم على الندم والحسرة.. يا أخي، الحمد لله على أنه لم يصبك أذى حتى اليوم.. تعالَ إلى باكستان..».

فيجيب رضوان من فوره:

- «إيه يا أخي! ما هذا المزاح؟ نحن في كشمير ثمانون بالمئة من السكان، والهنادكة يمثلون أقلية في كشمير، وهؤلاء المساكين يخشوننا دائماً.. انظر السكر غير متوافر في جميع أنحاء الهند، لكنه موجود بوفرة في كشمير، فالحكومة دائمًا تهتم كثيرًا بالكشميريين».

ويستخدم نياز أحمد طريقته في المحاماة:

«يا أخي، إن ربيع الوطن الحر شيء آخر، إنك مرفه الحال هناك بلا شك، لكنك تحت سيطرة الآخرين».

وينتبه رضوان أحمد، بل يفزع ويقول منفعلاً:

«اسمع يا أخي، لا تجعلني أطلق لساني بالكلام.. ماذا فعلت لكم الحرية أو ماذا فعلتم أنتم للحفاظ على الحرية؟! لقد انشطر البلد إلى شطرين.. ثم ماذا عن المعارك الدائرة بين حكامكم وزعمائكم.. لماذا لم تنتهِ بعد هذه المعارك؟! هل تذكر الجملة التاريخية التي قالها الكاهن الهندوكي: لن أغير ملابس الكهانة تلك، حتى تتغير الوزارات في باكستان.. يا أخي، أمركم عجيب وعلى قول المثل: «يقرش قوالب السكر ويخاف أكل الكعك» فمن ناحية كراهية للهند، ومن ناحية أخرى

شرائط الأفلام الهندية تملأ كل باكستان وأصوات الأغاني الهندية يرن صداها في كل مكان.. بالأمس، وفجأة ذهبت إلى أحد محلات «الفيديو» وسألت بكل شوق عن فيلم باكستاني فراح صاحب المحل يحدق في من رأسي إلى أخمص قدمي، ثم هز كتفيه بطريقة كلها احتقار قائلاً: «لا.. لا.. نحن لا نضع هنا أفلامًا باكستانية.. وخرجت في حيرة من محل الفيديو.. ما هذه السياسة المتضاربة يا أخي، سياسة بوجهين أليس كذلك؟!».

وبعد أن سمع نياز أحمد خطبة أخيه تصبب عرقًا.. ربما كان عرق الندم، لكنه ظل يتغنى بوطنه الحالي.. باكستان..

كان آخر لقاء بينهما منذ سنتين.. ذهب رضوان إلى لندن لبعض الأعمال، بينما ذهب نياز لزيارة ابنته.. وبعدها لم يلتقيا.. بدأت أخبار الثورة تتوالى من كشمير، وتوالت أيضاً أخبار استشهاد الفدائيين.. وفي أثناء ذلك وصلت رسالة «نيلم» إلى أبيها...

والدي، يا أعز من روحي...

هذا آخر خطاب سيصلك مني، لكني قبل أن أتناول كأس الشهادة أود أن أخبرك بالتفصيل عن بلوغي هذه المرحلة.. مرحلة الشهادة، حتى يمكن للأجيال القادمة أن تقدر قيمة الحرية... فكشمير اليوم تحترق.. من حولنا عمارات تحترق، وأنابيب المياه تنفجر، وأعمدة الإنارة تتساقط في الشوارع، وأكوام من جثث المسلمين.. ورائحة الغازات السامة التي لا يمكن أن تحتمل مع دخان الغازات المسيلة

للدمـوع التـي تكوي الجفـون، انتشـرت في الجـو... واحترقـت حقول الزعفران، وسممت مياه الآبـار والجداول والبحيرات الجميلة وأشعلت النـار في أزهـار الجلنار، أما ثمار التفاح والكمثـرى التي لم تنضج بعد فقد ذبلت، وكأنها رؤوس انحنت من الغم والهم داخل مأتم حزين...

والدي العزيز..

يـداي ترتعشـان، كلماتي وعباراتي غيـر مترابطة، لكنـي لا بد أن أسمعك الحكاية..

جارنـا «لالـه شنكر ديال» الذي كنا نناديه دائمًـا بالعم، وكان حتى آخر لحظة يهدئ من روع عمنا رضوان، بل كان بنفسه يصب اللعنة على حكومته ويروح يلقي الخطب ضد ظلم الحكومة... إذا به ذات ليلة يقوم بإرشـاد العساكر الهنادكة إلى مواقعنا وملاجئنا.. والعم رضوان الذي كان دائمًا يتغنى بمحاسن الحكومة الهندية، وكان من أهم المجاهدين فـي حـرب التحرير.. كان يمـد المجاهدين بالأسلحـة وكان يقدم لهم الملاذ أحيانًا وهكذا كان في «بدروم» البيت أسفل الطابق الأول قاعدة للفدائيين..

كان «لاله شنكر ديال» يشعر بهذا الأمر وذات يوم كان أحد الأطفال الصغـار يلعب، فاقترب من بيته فراح يستدرج الطفل ويسأله ويستفسر منه.. وفي الليل بدأ مهد حريتنا يهتز على وقع أحذية العسكر الهنادكة.. قبضوا على العم رضوان وقاموا بقتله أمام أعيننا.. وانطلق المجاهدون المختبئـون، فهجموا على جنـود الكفر، وتمكنوا منهـم جميعًا.. إلا أن

الظَّلمة تمكنوا من معرفة بيوت المجاهدين كلهم وأخذونا نحن الأخوات الثلاث إلى حيث كنا قضينا شهر العسل بعد الزواج.. ماذا أخبرك يا أبي، عما ارتكبوه معنا.. أخذونا على حجرة مثل الصالة الكبيرة.. وظل رجل مثل أولئك الذين يعملون في مزادات الأسواق، ظهر على ما يشبه خشبة مسرح وراح يدق جرسًا، ويقول:

«يا أبناء القنبلة الذرية! اليوم هزمنا سرينكر.. اليوم فتحنا سرينكر.. واليوم أيضاً هزمنا كشمير كلها.. وبهذه المناسبة السعيدة يعقد هذا المزاد.. مزاد ربما لم تروا مثله في حياتكم.. انظروا الآن وأفرغوا كل ما في جيوبكم..».

قال هذا وراح يدق الجرس بشدة، ويشير إلى الناحية الغربية من خشبة المسرح وبناء على إشارته انفتح الباب الغربي وأحضروا طابورًا من الفتيات الكشميريات المسلمات.. ثم بدأ النداء:

البنت بعشرة روبيات.. البنت بساعة يد.. البنت بعلبة سجائر فضية.. وفجأة خرج جندي ينتمي إلى طائفة السيخ من وسط الزحام، وصاح قائلاً:

- «يا أصدقاء! لا تعيدوا الآن هذه المسرحية الخطيرة مرة ثانية، أتوسل إليكم باسم الإنسانية، باسم التاريخ.. إن هذا المزاد لا يمكن أن يقام، مزاد كشمير هذا لا بد أن ينتهي الآن كما انتهى مزاد جنكيز خان في السابق، ومثلما انتهى أيضاً هولاكو، ومثلما انتهى الروم واليونان ومثلما انتهى مزاد ١٩٤٧م، سوف تعيش بنات كشمير.. وينتهي هذا المزاد».

وجه الجنود الهنادكة أفواه بندقياتهم ناحيته، لكن الجندي السيخي استمر في الحديث:

- «لقد قرأت تعاليم «كرنته» فهو يقول: الإنسان الطيب لا بد أن يحفظ للمرأة عزتها؛ لأن المرأة أم وأخت وابنة.. المرأة هي عزة حضارتنا وثقافتنا، وقد قال هذا أيضاً معلمنا كرونانك..».

وبينما استمر الجندي السيخي في كلامه انضم إليه بعض الناس، إلا أن «جنرالاً» أصلع الرأس خلع غطاء رأسه، وأصدر حكمه ضد الجندي السيخي قائلاً:

- «أحرقوه.. ألقوا به في الخارج..».

لكن الشهامة كانت قد أخذت من الجندي السيخي مأخذًا فلم يتراجع عن موقفه، وقال بلهجة كلها ثقة:

- «لن أتزحزح من هنا؛ حتى توقفوا هذا المزاد.. إنني أتذكر تاريخي جيدًا.. لم يمضِ خمسون عامًا حتى غرر بنا وخدعنا، فأظهرنا شجاعة زائفة سنة ١٩٤٧م، فحطمنا بوحشية أزهار الزعفران.. لكن الخالق عاقبنا، فنحن اليوم نخوض أيضاً حرب حريتنا مثل الكشميريين، لكننا لم ننجح للأسف..».

وفجأة سمعت طلقات عيارات نارية في الصالة، وبدأ جسد الجندي السيخي العريض الطويل يرتعش وقُيِّد بالحبال، وشدوا رقبته إلى ناحية، وراحوا يلفون حول جسده الحبال وهو يتلوى، بينما ارتفعت

أصوات قهقهات وحشية في الصالة، وبدأت بقع الدم تتساقط فوق خشبة المسرح إلى أن وصلت إلى بساط الصالة، فصار بلون الدم.. بينما راحوا يعدون الفتيات اللاتي ربطن بالحبال كحبات مسبحة..

أبي..

ظهرت على شفتي ابتسامة كبرياء.. قلت في نفسي: أنحن حيوانات أم نحن أوراق «كوتشينة»؟... نحن عرض كشمير وعزتها.. نحن شرف كشمير ونخوتها.. يمكن للعدو أن يستولي على كل ركن من أركان كشمير، لكنه لا يمكن أن يستولي على قلوبنا.. وطالما قلوبنا حرة ستظل كشمير حرة.. لا شك أن النهار الآن ظلمة حالكة، لكن فيه نجوم منتشرة هنا وهناك.. ولن يتمكن الهنادكة أبدًا من الفوز بكشمير.. فكشمير اليوم ثائرة..

أبي..

كان ثمن حريتي مئة روبية فقط.. وأنا الآن أجلس على لوح خشبي في البيت المحترق، أكتب إليك بقلم حبر سقط من جيب جندي هندوكي منحوس.. أكتب إليك هذا الفصل من فصول الحرية، وسأحاول بطريقة ما إيصاله إليك.. أدعو الله أن يوفقني في محاولتي هذه.. آه لقد تذكرت، سوف أرسل أختي الكبرى نسيمة إلى لندن؛ لعلها تصل إليك وبعدها سأسلم نفسي إلى بحيرة «دل» حيث كنا نتفسح فوق رمال شطآنها الحمراء.. وحيث كنا نشعر بالقمر، وهو ربيع يتأرجح فوق سطح البحيرة.. حيث ظلال أزهار الجلنار.. حيث كانت حقول الزعفران..

أبي الحبيب..

لن يكون لي قبر، لكن روحي ستظل حية في كشمير مع أن أحداً من أفـراد عائلتي لم يبقَ على قيد الحياة، لكـن ندعو اللّٰه أن تبقى كشمير حية خالدة.

توقيع

ابنتك الشريفة الطاهرة

كان نياز أحمـد قد جلس وطأطأ رأسه.. وكانـت عيناه مغرورقتين بالدموع، ولكن ظهرت على وجهه ابتسامة..



تفاهم

للأديب: محمد سعيد شيخ

محمد سعيد شيخ من الأدباء الذين يعالجون في قصصهم القضايا الاجتماعية من زوايا مختلفة، وهدفه في قصصه أن يعبر بصدق عن الحقائق الاجتماعية، وهو يحاول إبراز الجوانب الإيجابية في المجتمع من خلال التركيز على القيم الصحيحة مما جعل لقصصه مكانة بارزة في الأدب الأردي، وقصة «تفاهم» صورة معكوسة على مرآة محدبة لما قد يظهر في المجتمع من انحرافات، والكاتب يمسك بأسباب القلق داخل المجتمع ويحوله إلى صورة إيجابية، فالحقائق الاجتماعية والمد والجزر في الفكر الإنساني من ميزات هذه القصة إن لم تكن شاهدًا على براعة أديبنا المعاصر محمد سعيد شيخ من مدينة لاهور بباكستان.

تفاهم:

بدأت المسيرة.. وضمت في معظمها أولئك الناس الذين شاهدوا الواقعة، مرت في الحواري والأسواق ووصلت إلى الشارع الرئيس، فضمت إليها كثيرًا من الناس، بالإضافة إلى من رأى الواقعة ومن سمع عنها، وصارت هذه المسيرة أكبر مسيرة في تاريخ هذه القرية.. كان هذا في

الأصـل احتجاجًا علـى واقعة حدثت في الصبـاح إلا أن الاحتجاج ضمّ بين طياته أناسًا من كل الأنواع، أناسًا لا علم لهم أصلاً بالواقعة، ولكنهم يحملون بداخلهم مشاعر الاحتجاج.. فانضموا إلى المحتجين وتظاهروا معهم.

في هذه البلدة خرجت قبل مسيرات في مناسبات دينية أواحتفالات قومية إلا أن هذه أول مسيرة من نوعها يخرج فيها الناس احتجاجًا على الظلـم والإجحاف، كان هذا هوالاحتجـاج الأول من نوعه، ولم يكن هو أول ظلـم أو أول إجحـاف وقع بحـق النـاس.. فكم من ظلـم.. وكم من إجحاف تعرضت له البلدة: «نوران» اختطفت من السوق في «عز النهار»، اختطفهـا بعضـ الملثمين، ولا يزال أبوها يدور فـي الحواري والشوارع يقـول: إنها موجودة في «دوار العمدة» الكبير في القرية المجاورة، ومع هذا لم يعثر لها على أي أثر يذكر.. ولا يزال صوت أبيها يبح من النداء على ابنته (انضم والد نوران إلى المسيرة وكان أول من ألقى بالحجارة على مدخل السكة الحديد).

ولا تـزال أرملة «غلام رسـول» الشابة على قيد الحياة أيضاً، وكانت ضمن المسيرة، وراحت تنظر إلى ذلك المستشفى الذي توفي فيه زوجها – أبو أولادها – نظرات كلها غضب وثورة، فلم يجد الزوج المرحوم العلاج ولا الدواء في الوقت المناسب، فظل يعاني ويقاسي حتى توفي.

وفي الميـدان الذي وقف فيه النـاس يصيحـون ويهتفون بكل عزم، وقبـل أيام لقي الفتى النـاضر ابن فاطمـة تشبوري حتفه تحت عجلات عربـة النقل الضخمة التي سحقـت عظامه، وقام والد السائق، فجعلها توقـع علـى أوراق تنازلها عـن القضية في مخفر الشرطـة مقابل ورقة

مالية فئة المئة روبية.. وفي هذه المسيرة أيضاً اشترك جمال دين وهو فلاح سلبه أحد الإقطاعيين أرضه وأكثر من هذا رفع قضية ضد أولاده الثلاثة، واشترك أيضاً في المظاهرة «داتانائي» الذي قام جاره بتهريب زوجته ولم يتمكن «داتانائي» من إقامة دعوى ضده حتى الآن.

مثـل هذه الوقائع وغيرهـا حدثت من قبـل إلا أن المسيرة خرجت لأول مرة، ولأول مرة يبدر من الناس رد فعل جماعي.

ربمـا كان سبب هـذه اليقظة التـي ظهرت في البلدة قـرب انعقاد الانتخابات التي ستعقد لأول مرة منذ مدة طويلة، فتذكر الناس آلامهم ومآسيهـم التي تناسوها قبل، إذ فهم أهـل القرية من أول يوم وقبل أن يكتب تاريخ بلدتهم أن الظلم - الذي تعرضوا ويتعرضون وسيتعرضون لـه - قدر مـن الله، وأنه مشيئة الله، فرضوا بـه، وكانت خطبة مولوي عبـد القدوس خطيب المسجد الجامع مؤثرة تمامـاً، وكان صوته لحنًا داوديًّـا بينما ينشدهم دائمًا أشعار العلامـة محمد إقبال، كم من مرة راح يقول لأهل القرية:

«المصيبة والبلاء امتحان للعبد من ربه، ومن يتحمل هذا الاختيار هو في الأصـل المسلم، وهوالرجل المؤمن الـذي وصفه العلامة إقبال في شعره.. وإن الله مع الصابرين».

ثم يقول:

«لا يمكننا أن نحارب المقدر أو نتصارع مع ما كتب علينا، والتسليم بمشيئـة الله يرقق مـن طبع الإنسان، ومرة بعد مـرة وبالتدريج يصبح

البلاء سهلاً محتملاً والتاريخ يخبرنا بذلك وحكيم الأمة العلامة إقبال يقول:... «ثم ينشد مولوي عبد القدوس أشعار إقبال برقة شديدة..».

إلا أن مسيــرة اليوم تبدو، وكأن النـاس يريدون أن يصدروا حكمهم بأنفسهــم أو يقــرروا مصيرهــم بأنفسهــم... لم يكــن للمسيرة زعيم أو قائــد كمــا راح كل إنسان يهتــف بما يشاء وكما يشــاء، وحين وصلت المسيــرة إلى الشــارع الرئيس بدأ النـاس يهتفــون: أوقفوا «البلطجة».. أوقفــوا الشغب والفوضــى.. أوقفوا الظلم.. وتوقفــت حركة المرور من جهتي الطريق... اشنقوا «شيدا» اعدموا «شيدا»..

وخرج خلــق كثير مــن الحافلات والسيــارات الخاصــة، وسيارات النقل الصغيرة التي توقفت علــى جانبي الطريق، وراحوا يشاهدون ما يجري أمامهم.. بدأ المشاركون في المسيرة يحطمون إشارات المرور، بينما قام آخرون بوضع الإطارات في الشارع وإشعال النار فيها، وبدأت أعمدة الدخان ترتفع وتظهر من بعيد، ثم جاءت الشرطة وبدأت تحاول تفريق النـاس بضربهم بالعصي والهراوات.. فتفرق النـاس وعاد المرور في الشارع، كما كان عليه من قبل..

في هذه المسيرة اشترك والد زينب أيضاً، زينب التي حدثت واقعتها صباحًا.. تفرق النـاس وانتهت المسيرة، ووجد أبوها نفسه وحيداً واقفاً علــى «كومة» من القاذورات على جانــب قناة مائية صغيرة تنساب على طول الشــارع. وراح يشاهد بتعجب وذهول منظر النـاس، وهم يتفرقون والدخــان يتصاعد أعمدة فــي السماء.. وكذلك منظــر فوضى المرور وربكته الشديدة..

راح «بركـة» يفكـر، وهو يقف بيـن كومة القاذورات متـى بدأ يحلم بتعليـم ابنته زينب؟ كان يملك عدة قراريط من الأرض... لا يدري متى ومن أين جاءت إلى ذهنه فكرة أن التعليم يميز بين الإنسان والحيوان، فكلاب السادة في قريته وما حولها تعيش حياة أفضل من حياته، ولهذا فكـر أن يرفع من شأن ابنتـه الوحيدة زينب، فيتيح لها فرصة التعليم.. وعارضته أم زينب، وقالت:

«يـا هوه.. يا هوه! عشنا وشفنا البنات يتعلمن.. صديقات زينب في استعداد الآن للزواج وأنت يا بركة، ترسلها إلى المدرسة.. أتظنك تعمل منها معلمة؟!».

وكان بركة يبتسم لحديثها، ويقول:

«يا جاهلة.. امرأة والأدهـى والأمرّ جاهلة.. ماذا أدراك بأن العلم قد ارتقى وتطور..؟!».

كان بركـة قـد سمـع حديـث الأستاذ محمـد دين عن رقـي العلوم وتطورهـا، وسمعه أيضاً يقول: إن المـرأة الآن وصلت حتى إلى القمر.. ونساؤنـا تراهـن كالخارجات من القبـور..! والأمة التي تكـون نساؤها جاهلات لا يمكن أن ترقى وتتطور..

هكذا قـرار الأستاذ محمد دين وكلام الأستاذ محمد دين بالنسبة لبركة كلام مصدق «لا يخرّ منه الماء» وكان بركة الذي نال كل معارفه وتعليمـه دون مدرسـة يرجـع فضـل ذلك لأقـوال الأسـتـاذ محمد دين وأحاديثـه، فماذا يمكن أن تفهم زوجتـه الجاهلة هذه ما يقوله الأستاذ

محمد دين؟! ولهذا قام بركة بالاهتمام بتعليم ابنته، حتى حصلت على شهـادة الثانوية وبعدها ألحقها بالمعهد – في البلدة الكبيرة المجاورة لبلدتهم – الـذي يعدها للتخرج للعمل مدرسة.. ومرة أخرى تصيح أم زينب نادبة حظها:

«لقد صـارت البنت شابة يـا بركة! زوّجها.. هـذا هوأطيب عمل.. زميلاتها الآن في أحضانهن ثلاثة أو أربعة أطفال.. ماذا يفيدها العمل مدرسة؟!».

بيـن كومة القاذورات راحت كلمـات الزوجة تتردد في أذنه، فانتبه فزعـًا.. بينما كانت المسيرة قد تفرقت وعـاد المرور إلى ما كان عليه كأن أحـدًا لـم يهتم بما دار حوله منـذ قليل.. كانت الإطـارات لا تزال تحتـرق فـي الشارع، وراح بركة يجـر أقدامه، وكأنه يعـد خطاه متجهًا ناحية البيت.. فهو يعلم أنه سيجد في البيت زوجته تلطم وجهها وتندب حظها، فقد كانت تعده المسؤول عما حدث لزينب؛ لأنه هوالذي أرسلها للتعليم..

دخل البيت، فوجد الصمـت يخيم عليه، كان (كالمقبرة) التي دفن فيها أحـد الموتى منذ لحظات.. كانت زينب ترقـد في الحجرة الخلفية وأنفاسهـا تخرج منها بصوت مسموع يعلـو، وينخفض، بينما رقدت أمها بطريقـة معكوسة على السريـر الخشبي القابع في صحـن البيت وكانت قـد أوصدت مزلاج البـاب من الداخل؛ حتى لا تسمـح للمتعاطفين معها القادميـن للاستفسار عن حالها بالمزيد مـن إقلاقها ومضايقتها.. أما زينب التي كانت حتى هذا الصباح تعد نفسها ملكة جميع الكائنات، فقد

راحت تتحرك هنا وهناك، وهي تخفي وجهها، كانت تظن أن مباهج الحياة تخرج من أنفاسها وأن الهواء لا يمس إلا جسمها، وأنه يلاطف فقط شعرها ويهفّ ملابسها، وأن جميع ألوان الورود ظهرت لها وأن السحاب يمضي ويمطر من أجلها والطيور تغرد والعصافير تشقشق لها والسماء واسعة زرقاء فقط؛ حتى تراها هي دون سواها.. كانت تقف في بيتها الطيني مساء أيام الصيف تتطلع إلى البيوت البعيدة وتنظر إلى خضرة الحقول وتتطلع إلى السماء، وإلى الجبال العالية ثم تنشر ذراعيها ويتمنى قلبها أن تحتوي جميع الكائنات بين أحضانها، وحين تنام مع أمها في الليل تروح تضم أمها أحيانًا بشدة، فتصيح الأم وتصرخ:

«ما لك يا بنت..! لماذا تطبقين علي هكذا؟ آه عظامي لم تعد بهذه القوة التي تتحملك».

ثم تقول لبركة في اليوم المقبل:

«عليك أن تزوج زينب بسرعة.. البنت لا يمكن أن تسيطر على شبابها..».

فيضحك أبوها..

«لم يحن الوقت بعد.. لقد أصبحت الآن مدرسة.. اتركيها تعلم الأولاد، يقول الأستاذ محمد دين : إن التدريس أعظم عبادة».

كانت زينب حين تمشي ذاهبة إلى المدرسة تحرك أقدامها، وكأنها تمشي فوق النجوم، ألبسها والدها العباءة والبرقع، إذ كان عليها أن

تختـرق السوق فـي ذهابها وإيابهـا... كان بيت «شيـدا» يقع في طريق زينـب، فكان يستعـد وقت ذهابها إلى المدرسـة، فيقف على باب بيته، ويحاول أن يلفت نظر زينب إليه بشتى الطرق، ووصلت محاولاته أحيانًا إلـى حد اعتراض طريقها أو الدندنـة وإصدار صفيـر خافت.. كانت زينـب لا تعير أحـدًا أي اهتمام، فهي ترى أنه لا وجـود في الدنيا لأحد سواهـا وشيـدا بالنسبة لها لا وجـود له، فكيف تعيـره اهتمامها.. هذا بينما أصدقاؤه يسخرون منه ويهزؤون:

«يا صاحبي.. هذه الفتاة لا تلتفت إليك، ولا تقدرك حتى قدر قشة.. يـا صاحبي، إنها لا تهتم حتى بوجودك.. ما فائدة تجولك هنا وهناك؟ ما فائدة ملابسك المكوية وهذا العطر الفواح..؟!»..

وكان شيدا المسكين يسمع ما يقال، وما يصدر من أصحابه، ويرى سخرية رفاقه فيصيبه الخجل، ومرة قال له أحدهم:

«انظـر يا صاحبي.. آه لو استطعت أن تنـزع عنها البرقع، فتكشف وجهها لكل من في السوق...»

وأخذته النخوة والرجولـة، وأخذته العزة بالإثم، وفي وسط النهار سار بجوار زينب ثم تقدمها... وفي اليوم المقبل تجرأ، فقال لها بصوت منخفض:

«إذا لم تنزعي عنك نقابك فسوف نرى...»

لكن زينب لا ترى أحـدًا ولا تهتم على الإطلاق بشيدا، وهي تحتاط

منــه كما تحتــاط حين تشاهد بعض المياه الوسخــة ملقاة في الطريق، فهي تتذكر دائمًا كلمات أبيها التي يسمعها من الأستاذ محمد دين:

«حين يكون الإنسان متعلماً مثقفاً لا يمكن أن يناله أي عيب».

وكان يوم الوقعة.. مضى شيدًا يمشي بجوارها وخاطبها، قائلاً:

«أقول لك: أرني وجهك.. لقد تراهنت مع أصدقائي».

وزينــب لا تهتم بما يقــول، كأنها تسمع شحــاذًا يتابعها يطلب منها صدقــة.. ثم تقدم شيدا إلى الأمام وفي وسط ميدان السوق قبض على ذراع زينب، وأوقفها:

«ألا تستطيعيــن أن تريني وجهك؟! مــاذا تظنين نفسك؟ انظري.. انظري..».

وسحب شيدا النقاب من فــوق رأسها، فانكشف وجه زينب، وانحل عقــد شعرها، فانساب على كتفيها وغطى ظهرهــا.. وراح شيدا يحدق فــي وجههــا، ثم ألقــى بالنقاب في غضــب على الأرض، وصفعها على وجهها بشدة، وانطلق دون أن يقول كلمة...

حــاول كل مــن شاهد هذه الواقعة فهم ما حــدث.. لكن دون جدوى حتــى زينب نفسها لم تــدرِ كيف حدث ما حدث، وشعــرت بالخدر على وجنتيهــا، وعلــى لسانهــا أحست بطعم الــدم، وتقدم أحدهــم، فوضع النقاب على رأسها ولم تتذكر بعد ذلك شيئًا.. من أخذها إلى البيت؟.. ومن هذا الميدان.. ميدان السوق بدأت مسيرة الاحتجاج...

أثمـرت مسيرة الاحتجاج عـن إدراج قضية احتجاج ضد شيدا وتم اعتقالـه، وعرضه على المحكمـة المحلية ورفض الإفـراج عنه بكفالة وشاع خبر القضية بكل تفاصيلها في أنحاء البلدة وشاعت حكايتها على كل لســان، وكان ذكرها خارج بيتهـا بالقدر نفسه الذي ذكرت به داخل بيتهـا، وهكذا وضعـت زينب نفسها فـي سجن اختيـاري داخل البيت، وامتقـع لونها وغطتهـا سحب الحـزن القاتمة وعمَّـت الظلمة، وراحت تخشى الخروج من عتبة دارها.

حيـن رفضت المحكمة العليا أيضـاً الإفراج عن شيدا بكفالة ساور القلـق والديـه، وأصدقاؤه بـدؤوا يشاهدون شيدا بيـن قضبان السجن مقيـد اليدين.. وذات ليلة قام والده ووالدتـه وأصدقاؤهم بتشكيل وفد اتجه إلى بيت بركة والد زينب.

أجلسهـم بركة في صحن الـدار، كان من بينهم بالإضافة إلى والد شيـدا ووالدته بعض معارف بركة منهم مولـوي عبد القدوس والأستاذ محمد دين أيضاً.. بدا هبة الله – والد شيدا – الحديث، فقال:

«أخـي بركة.. نحن في منتهـى الخجل والإحراج ممـا ارتكبه ابننا شيدا في حق ابنتكم زينب، وعلى كل حال فهو ليس بالولد السيئ، لكنه متهـور قليلاً، لقد جئنا نطلب منـك العفو، والصفح عما بدر منه.. لقد كان السبـب الأصلي في هذه الشقـاوة أصدقاؤه.. لقد خدعوه وعلى كل حال فنحن آسفون، وزينب كما هي ابنتك ابنتنا أيضاً».

ظـل بركة وزوجته صامتين لم يـدرِ أحدهما ماذا يقول وهنا راحت أم شيدا تربت على ظهر أم زينب، قائلة:

«وأنت يا أختاه.. اعفي واصفحي عن ابني، فالمسكين قابع في السجن منذ شهر بأكمله..».

واغرورقت عينا أم زينب بالدموع:

«انظري إلى حال ابنتنا أيضاً.. لقد بدأت تخاف حتى من النور.. لم تعد لها همة على الخروج من البيت.. لقد تحطم مستقبلها تماماً».

«نحن نقدر مدى حزنك يا أختاه! فنحن أيضاً أصحاب بنات، ولهذا فإن كنا جئنا نطلب منكم العفو، والصفح فإننا نطلب منك أن تجعلي من زينب ابنة لنا بحق وحقيقة..».

ووضع هذا الاقتراح الذي قدمه والد شيدا بركة وزوجته في حيرة بدت على وجهيهما، وهما يستمعان إليه، وبينما هما على هذه الحالة تقدم أحد أصدقاء بركة ويدعى فقير محمد صاحب محل لبيع الحليب فقال:

«أخي بركة، إذا كان النصيب قد كتب اسم زينب وشيدا معًا، فلنا أن نعد هذا من عند الله ونقبل به وفي هذا عزة لنا.. أليس كذلك ياشيخ؟!».

«بلى، صحيح، فقير محمد، صحيح!! لله في كل أمر حكمة، ونحن لا يمكن أن نعارض التقدير الإلهي، ثم إن العفو من أطيب الأمور، والله يحب العافين كما أن العلامة إقبال أيضاً قال: ...

لكن بركة لم يصبر حتى يكمل المولوي حديثه، فقاطعه:

«لكن يا فضيلة الشيخ، نحن لا يمكن أن نري وجهنا لأحد الآن..».

«ولهـذا، فقد أصبح هـذا الأمر ضروريًّا يا أخي بركة، إن ما يحدث في هذه القضية مـن مرافعات وغير ذلك من أمور مخجلة يصيب أهل الفتـاة أكثـر، وإذا مـا وقع عقـاب على شيـدا وصدر حكـم ضده، فهل يرجـع لك هذا عزتك؟ ثم ذهاب زينب إلـى المحكمة ودفاع المحامين والمرافعـات ومـا إلى ذلك... مـاذا يفيدك كل هـذا؟ فالولد ولد ماذا تفرق معه..؟ فقط اسم ابنتك ستلوكه الألسنة»، جاء كلام عمدة البلدة دليـلاً على صحة الـرأي السابق وكان له وزنه فـي الجلسة، فراح بركة يبحث عن رد وراح مع زوجه في تفكير عميق، بينما عادت أم شيدا مرة أخرى تستعطف أم زينب:

«فكـري يا أختـاه.. شيدا ليـس بالولـد السيئ، ما شـاء اللّه شاب كسيـب... له نصيـب من أرض والده ثم هو معجـب بزينب أيضاً؛ لهذا دفعتـه عاطفتـه القوية لارتكاب تلك الحماقة، ثـم البنات هذه الأيام لا يجدن من يتزوجهن، وزينب بالنسبة لكم ستكون مشكلة كبيرة».

كانت زينب تجلس في غرفة أحكم إغلاقها بجوار صحن البيت الذي يشهـد تبادل الحديث عـن موضوعها، وكاد رأسهـا ينفجر وهي تحاول فهـم مقصـد كل هذه الأحاديث التـي تدور في الخـارج.. كل ما فهمته على أكثر تقدير أن ما يدور من حديث يتعلق بها سواء كان الحديث عن السماء أو عن الأرض، فهي لا تدري شيئاً..

«لكـن ماذا سيقول النـاس؟!» خرج هذا السؤال مـن فم بركة كأنه الصراخ؛ ليعبر عما بداخله من ألم متمكن.

«ما لك والناس يا بركة، اترك الناس فهم الآن أيضاً يثرثرون!..
ألم تسمع؟! وإذا لم تسمع فهذا أطيب»!.

«هل يمكن لأحد أن يغلق أفواه الناس أو يسكت ألسنتهم؟!، ثم إن هذه الواقعة حديثة والناس هنا سوف ينسون كل شيء...».

توقف عقل بركة عن العمل، كان يريد أن يفكر ويزن الأمور، كان يريد أن يميز ويعرف ما هو الأطيب.. إلا أن جميع ما سمعه من كلام راح يتراءى له أمام ناظريه لا يترك له مجالاً للتفكير.

كان الرجل وزوجته قبل ذلك في اضطراب وقلق، وحرّما على نفسيهما الطعام والشراب، فكل يوم كلام جديد وحديث جديد وامرأة تحكي حكاية وأخرى تروي رواية، بينما زينب كانت تجلس وحيدة مضطربة قلقة.. وحيكت آلاف القصص والحكايات والقضية كانت على وشك أن ينظر فيها.. واسم زينب وشيدا لم يكن في أوراق المحكمة فقط، بل كان أيضاً على ألسنة الناس فقد انعقدت بينهما علاقة لو حاولا بأنفسهما فسخها لما سمح لهما الناس، بذلك، فألسنة الناس حفرت على يدي زينب اسم شيدا بينما قيد شيدا زينب بقيده في هذه الدنيا، فهي لا يمكنها أن تهرب من شيدا إلى أي مكان، ولو حاولت الهروب أيضاً فسوف يبحث عنها الناس ويسلمونها له.

سمع بركة كل هذا وظل ساكتًا، وسكت الأستاذ محمد دين، وصمت مولوي عبد القدوس.. ورئيس الشرطة أيضاً!.. جاء مع كل هؤلاء، فقال موجهًا كلامه إلى الأستاذ محمد دين:

«أنت لم تنطق حتى الآن برأيك.. ماذا يرضيك؟».

ورفع الأستاذ عينين مليئتين بالرجاء ونظر إلى بركة:

«أخـي بركة.. مـا جرى هنا كلـه.. هل جرى برضائـك ورضائي.. ونحـن نتحـدث أيضاً برضائنا دون ضغط من أحـد.. فقط هز رأسك، فهذا هو أهم شيء».

وسواء عرف الناس ما يقصد أو لم يعرفوا فهم بركة كلام الأستاذ ورد:

«أفهـم أفهم يـا أستاذ، لقد تحدثتـم بكلام مختلـف، لكنك أيضاً أستاذ و «طلعت» إنسانًا كعامة الناس» قال بركة هذا بصوت كله يأس.

«نعـم، أنا كعامة الناس.. إنسان عادي.. لا يمكن أن أكون مختلفًا.. مـن منا يصعد إلـى المشنقة؟! من منا على استعـداد لأن يظل مطلوبًا طول الوقت؟!».

وسلم بركة بهذا الكلام..

ومثلمـا وضع «بصمة» إصبعه على الأوراق الخاصة بسحب القضية وضـع «بصمة» إصبعه على عقـد زواج شيدا وزينب، ففي كلتا الحالتين تظـل «بصمة» الإصبع أكثر اعتبارًا مـن «التوقيع» باليد.. فالتعليم يفيد فقط في الدرس والتدريس!.

الماضي والمستقبل

للأديب: ممتاز مفتي

ممتاز مفتي أديب معاصر أبدع في فنون النثر المختلفة: فن القصة القصيرة، أدب الرحلات، فن المقال الصحفي الهادف، وبرغم بلوغه الثمانين وأكثر إلا أن قلمه – بفضل من الله – لا يزال ينضح بكل ما هو طيب، ولا يزال إنتاجه الأدبي متجددًا، وربيع إبداعاته مزهراً موردًا.

في قصصه القصيرة يركز الأديب ممتاز مفتي على الصراع النفسي الذي يظهر واضحًا جليًّا على وجه الإنسان، ويغير من مخططات حياته، وعادة ما يركز الأديب أيضاً على جانب اللاشعور في شخصيات قصصه، وهذا ما نلاحظه في قصته التي ترجمناها هنا، وهي بعنوان (ماضي أور مستقبل) أي الماضي والمستقبل، وهي قصة تترك أثرًا فريدًا في نفس القارئ، وخاصة من يعيش في مجتمع مسلم، ويتفهم ما يدور في أيامنا هذه من صراعات أدت أحيانًا إلى انحراف لدى بعض الناس ومواجهة لدى آخرين، ويرى ممتاز مفتي أن مهمة الأب أن يسمو بالإنسان إلى درجة الإنسانية، وأن يجعله يقترب من الله -عز وجل- وأن يوقظ العواطف في داخله.

الماضي والمستقبل:

كان المنظـر من حوله بديعًا إلا أنه كان غارقًا في خيالاته وأفكاره لا يـدري ما حولـه، انتهى امتحان البكالوريوس فجـأة مع زميل دراسته ناصـر، كان يود أن يلتحـق بالدراسة للحصول علـى الماجستير؛ حتى يجد فرصــة للبقاء بعيداً عن البيت عامين آخرين، إلا أن والده عارض الفكـرة بشدة، والآن يجب عليه أن يرجع إلى البيت، وبعودته إلى البيت يبـدأ يناقش موضوع الزواج، فالوالدة منذ مدة، وهي تلح عليه ليتزوج، أمـا هو فلـم يكن يرغب في الزواج، وحتى يطمئـن الأسرة أخبرهم أنه سيفكر في الأمر بعد البكالوريوس، ولم تعد هناك ذريعة، ولا حجة تمكنه مـن إقناعهم بتأجيـل الزواج، فراح يفكر: ما العمـل الآن؟ وفجأة شعر وكأن سحابـة ظليلة تعلو رأسه، فتطلع إلى أعلى فرأى خفير الاستراحة العجوز واقفًا أمامه، وبيده مظروف ملون..

قال: «سيدي.. أنت نجل السيد..؟».

هزّ عماد رأسه بالإيجاب، فقال العجوز:

«هذا الخطاب لك يا سيدي».

«خطاب لي؟! من أعطاه لك؟».

«سيدتـي فـي الحجرة (رقـم سبعة عشـر) فوق.. وتقـول: إنه من الضـروري أن تـرد على هــذا الخطاب، سـوف أحضر غـدًا في الوقت نفسه؛ لأخذ الرد».

سلم العجوز الخطاب، وانطلق عائدًا أدراجه، بينما ظل عماد في حيرة ودهشة وهو يمسك الخطاب في يده، من هذه يا ترى؟! قرأ الخطاب، فبهت إلى أبعد حد.. جاء فيه:

«سيدي العزيز! أنا خطيبتك، أنا لا أريد الزواج بك، ولأني فتاة لا يمكنني الإعلان عن رفضي، ولهذا أطلب منك أن تختلق أي عذر لترفض الزواج بي، فإن لم تفعل فحياة كل منا ستتحطم.. أرجوك استجب لطلبي، لا بد أن تكتب الرد على خطابي هذا.. ردّ في كلمتين.. وأحرق هذا الخطاب. شكراً جزيلاً، ومع السلامة».

قرأ الخطاب فأصيب بصدمة، ففيه احتقار له، في وقت وجب عليه أن يفرح ويسرّ بمثل هذا الخطاب، لا شك أن «عتيقة» كانت خطيبته، لكن خطبته لها كانت خطبة بين الآباء وحدهم، فلم يكن قد رأى «عتيقة»، أقام والده حفل خطبتهما بطريقة جعلت الجميع يبهرون، ويتحدثون عنها، لكن ذلك كان في وقت اعتبر فيه نجل أبناء الذوات المدلل، ثم كان التحاقه بالكلية، الكلية أربكت عقله، فجعلته ينفر من البيت، لم يكن يرغب في العودة إلى بيت والده الشيخ الذي يهيمن على الناس بوقاره المصطنع، لم يكن يود أن يعيش كأحد أبناء الذوات، ثم يموت كأحد الشيوخ المقدسين في أنظار الناس.

في الكلية رأى البنات، فقرر ألا يتزوج «عتيقة»، لم تكن أسرة «عتيقة» تعجبه، كان ينظر إلى والدها «العلامة نور الدين» وكأنه مخلوق جاء من عالم آخر، فجميع أحاديثه تختلف عن بقية أحاديث العباد، ولباسه أيضاً كان مختلفاً: عباءة بيضاء براقة فضفاضة مهلهلة وصدرية سوداء باهتة

وعمامـة بيضاء فوق خصلات شعر مقصوصـة ووجه مدور أبيض ممزوج بالحمرة وعليه لحية كثة صبغها بلون أسود عجيب وعيناه محاطتان برموش كالأشـواك.. كان يـراه وكأنه إنسان زينوه بـأدوات التجميل؛ ليقوم بتمثيل دور مـا، كان في اهتمامه بهندامه وبنفسه لا يمكن إلا أن يشبه امرأة، ولم يقتصر الأمر على الشكل فقط، بل كانت طريقته وحركاته مختلفة عن أي إنسـان طبيعي عـادي، فقد كان العلامة نور الديـن يتكلف الظهور بمظهر «الـذوات» وكان يحـاول أن يدخل في صوته نبرات عجيبـة، فكان الصدى المصطنع الذي يخرجه بصعوبة حين يتكلم قد أثر على الأحبال الصوتية في حلقه، وهكذا حرم تمامًا من القدرة على الحديث بطريقة عادية كعامة الناس، وكانت الهالات التي أحاطت بشخصية، العلامة نور الدين العلمية والتشريفية هالات ضخمة، حتى إن الإنسان يظل يقاسي من تأثيرها.

وكان عمـاد قـد رأى أم «عتيقـة» أيضًـا لحظـة، حين رفعـت برقعها الحريري الأسود، وكأن ستارة قد ارتفعت من فوق المسرح وكأن مهرجانًا من الألوان والأشكال تراءى له ومن الواضح أنها لم تفعل بنفسها هذا ولكن هناك من هيأها هكذا، فليس فيها من صفات الحسن النسائي شيء يذكر، فالحسن الطبيعي تراه فتذوب تأثرًا به، يدخل على قلبك المحبة والسرور، الحسـن الطبيعي يهـز الإنسان بعنف يوقظه يقول لـه: انهض والنداء هنا ليس نداء عاديًّا، بل هو نداء خاص، انهض وإلا فلن تكون هناك قيامة بعد هذا.. هذا هو نداء الحسن الحقيقي.. لا..لا.. لن أتزوج فتاة أبوها هكذا، لن أتزوج فتاة هذه أمها، وإن كان لم يفهم كيف ينفذ قراره هذا!

أوجد جو الكلية كل هذا الاضطراب في داخله، فقبل قدومه إلى الكلية كان يمضـي حياته في سكـون باطمئنان، وهدوء كأحـد «أبناء الذوات»

يرتـدي صباح مساء ملابسه البيضاء ويزين رأسه بعمامة، ويجلس إلى وسادة وثيرة، كأنه مـلاك صغير ينحني الناس أمامه يحيونه ويلمسون قدميه، ثـم يتراجعون باحترام شديد ويجلسـون أمامه، ويجاوره والده صاحـب المقام العالي والجاه، على وجهه نـور، الحلم من طبيعته، في يـده مسبحة تتحرك حباتها بين أصابعه دون انقطاع، وشفتاه تتحركان كآلـة تنطق بالحمـد والثناء، ومن حوله مريـدوه والمعتقدون في بركته يتزاحمـون عليه تزاحم النحل على الشهد، وكان صاحب المقام العالي والجـاه لا يريـد أن يتعلـم «المحروس» ابنه في الكليـة، فقد كان يعتقد أن التعليـم فـي الكلية مجرد خرافات، فعنده العلـم قاصر على التعليم الدينـي لا غير، وعارضت أم عماد هـذه الفكرة وثبتت على معارضتها، حتى أذعن صاحب المقام العالي، وكان هذا بتدبير من أخوال عماد.

وفي الكليـة بدأت حياة جديدة.. أصـوات جديدة.. طرائق جديدة فـي التعامـل.. وجوه جديدة، وشعر الفتى في هـذا الجو وكأنه لا شيء، فهـذا يناديه: «هيه أنـت» وآخر يصيح فيه: «أوه.. إيـه» اضطرب كثيراً فـي البدايـة، شعـر كأنه ينزل مـن على عرش، ويوضع علـى الأرض، وظـل هكـذا مضطربًا شهـرًا أو شهرين، ثـم استيقظـت بالتدريج في داخله مشاعـر وإحساسات جديدة، وأصبح لهـذه الأصوات والنداءات والطرائـق والتعاملات مفهوم جديد، شعر أن هنـاك صداقة حقيقية، زمالة بالمعنى الصحيح، حرارة فـي الأصوات التي تناديه دونما تكلف وتتعامـل معه بعفوية كاملة، كان هناك إخلاص ومحبة وعلاقة حميمة، وهــذه يمكن أن تنتج فقط من التعامل بين الزملاء على قدم المساواة، ولأول مـرة يتعرف عماد على لذة التعامل مع عامة الناس، شعر أن هذه

هي حياته الحقيقية وأن هذا هو زمانه، وأن ما أمامه هو مستقبله، شعر كأن دنيا طفولته كانت دنيا صغيرة.. لا، لا لست مملوكًا لهذه الدنيا، وهكذا انقلب عقل عماد وانقلب تفكيره.

قرأ عماد خطاب عتيقة وأصابته صدمة مع أنه كان من الواجب أن يفرح.

اشترى ناصر علبة سجائر من السوق، ورجع ليجد صديقه عماد، وقد تغير مزاجه تمامًا، بل بدا لا يدرك ما حوله، فقد جلس كأنه صنم قُدّ من صخر، فصاح فيه: «إيه.. ماذا أصابك؟».

نظر عماد إلى صديقه كاتم أسراره نظرة من لا حول له ولا قوة، فقفز ناصر وخطف الخطاب من يده، قرأه بسرعة، ثم قال: «يا فرج الله، لقد تحقق ما كنت تصبو إليه، عليك أن تفرح، لماذا هذا الغم والهم؟».

علت شفتي عماد بسمة خجولة، فصاح ناصر: «لكن يا صديقي، إنها فتاة رائعة حقًّا.. كيف وصلك هذا الخطاب؟ وعن طريق أي بريد وصل؟».

فهزّ عماد رأسه بالنفي: «أحضره خفير الاستراحة..».

«من أين أحضره؟».

«من هناك فوق.. تنزل في الغرفة رقم سبعة عشر».

آه..: صاح ناصر مسروراً: «إذًا يمكنني أن أراها».

«أنـت دائمـاً تعيش في واديك الخاص» قال عماد: «أنـا الآن أفكر في الرد الـذي سأكتبه»، فقال ناصر: «لا تتسرع قل لها أن تأتي بنفسها وتناقش الأمر».

فـي ذلك اليوم بقي الاثنان معًـا يفكران في كتابة الرد، حتى انتهيا بعـد مدة، وبعد أن حمـل الخفير الرد جلس الاثنـان بين رجاء وخوف، وبينما هما كذلك دق جرس الباب..

«ادخل» نطق ناصر بالكلمة، وقلبه يدق بعنف.

دخل الخفير وقال: «الآنسة المحترمة سوف تشرف في تمام الساعة الثامنة» طلبا الشاي لتحيتها وأخذا ينتظرانها، وفي تمام الثامنة دخلت الغرفـة اثنتـان، عتيقة وابنة عمهـا، وقد لفت كلٌّ منهمـا نفسها بعباءة احتوتها تمامًا. قال عماد: «تفضلا».

أرخـت عتيقة عباءتها ووضعتها على كتفيها، لم تكن جميلة كما أنها لـم تتزين مثلما تفعل أمهـا، إلا أنها كانت بلاء شديـداً، كانت ملامحها حـادة كحد السكيـن، كما اتسمت طريقتهـا بالعنف، عنـف أشبه بوخز قارص كوخز الإبر، لم يظهر عليها أي اضطراب، لم يكن هناك أي شعور بالاعتزاز ولا بالتواضع أيضًا، نهض ناصر، وقال: «تفضلا أولاً قدحًا من الشاي وبعدها نتكلم «وسألهما»: «سكر.. ملعقة أو نصف ملعقة؟».

ردت: «ملعقة»

وضع ناصـر أقداح الشاي أمامهما، وهو يقـول: «من فضلك لماذا ترفضين عماد؟ هل شكله لا يعجب، أم...».

فابتسمت عتيقة، وقالت: «لا ليس الأمر كذلك».

«إذًا هل هناك شخص آخر في...؟».

«لا.. لا.. ولا، هذا أيضًا. في الحقيقة أنا لا أريد أن أتزوج أحد أبناء الذوات».

«مع من تريدين الزواج إذًا؟» ابتسم ناصر، وهو يسألها: «هناك بلا شك إنسان».

«لا أحد» قالت هذا بغيظ شديد: «سوف أتزوج من يوافقني في مسلكي».

فسألها ناصر من فوره: «مسلكك؟» وجلس عماد صامتًا، يطيل النظر في عتيقة، وهي تقول:

- «أريد أن أجعل حياتي كلها وقفًا على التبليغ».

قال عماد: «التبليغ.. إن والدك يقوم بهذه المهمة».

«لا..» صاحت وهي تردد: «لا.. لا.. هذا في الماضي... أبي ماض، أما المستقبل فهو أنا» وسيطرت عليها الحماسة، فأنزلت قدح الشاي ووضعته جانبًا وهزت رأسها، فانفك شعرها وبرزت ملامح وجهها أكثر فأكثر. قالت بغضب:

«أنا المستقبل.. نحن، نعم نحن، وما نريد، نحن نعمل ما يجب أن يكون، إن من يعتقد أن عصرنا عصر ضياع، عصر ضلال، كيف يمكنه أن يرشدنا إلى الطريق...» وتوقفت، ثم أردفت:

«إن مـن يرشدنا إلـى الطريق يجب أن يكون مثلنا، وليس قادمًا من كوكب آخر» وتوقفت لحظة، ثم قالت:

«... يجـب أن يكون مؤمنًا بضرورة العمل من أجل الإسلام ومبادئ الإسـلام، لا أن ينشغـل بالتسبيح تارة واختـلاق قضايا ومسائل فرعية تارة أخرى...» وسكتت، وأطبق الصمت على الغرفة بأكملها.

رفعـت عتيقة قدح الشاي واحتسته بأكمله فـي رشفتين، ثم وجهت حديثها إلى عماد، وقالت بصوت خافت:

«توافقني علـى طلبي، أطلق سراحي، سأكون ممتنة لك، ولن أنسى هذا الجميل».

فقال عماد بصوت ضعيف: «أوافق، ولكن بشرط».

فانتفضت عتيقة، وقالت وهي تلوح بالقدح في يدها: «أوافق على كل شرط تطلبه في هذا الأمر».

قـال عماد: «هـل تعدينـي إذا خرجـت للتبليـغ أن تأخذيني معك أيضاً؟!».

ففزعت عتيقـة، ونظرت بحيرة إلى عماد... طـاخ!! وانفلت القدح مـن يدها، سقط على الأرض، تحطـم، تحول إلى قطع صغيرة مدببة.. وساد الحجرة صمت، وجلس الأربعة كلهم وكأنهم خشب مسندة!!.

كشف

للأديبة بانو قدسية

بانـو قدسية أديبة معاصرة ترى الحياة بعينيها، وتمزج هذه الرؤية من خلال تجاربها وعادة ما تختار لقصصها تلك الشخصيات التي تعيش حياتها في مفترق الطرق، فتدرس قضاياهم وتحللها، وتتعاطف أحيانًا مـع شخصيتها، فتجعل من حياتهـم حكاية تنقلها إلـى القارئ؛ ليطلع هـو أيضاً على جوانب حياة هذه الشخصية، فيشاركهم همومهم.. وفي كتاباتها نشعـر دائمًا أنها أم تجلس، ومن حولهـا، وفي حضنها العديد من الأطفال.

وقصتهـا «كشف» والعنوان هكذا بالأرديـة أي كشف الوجه أوكشف الإنسـان عمـا بداخله والتعبير عنـه والإعلان عنه، وهـي قصة تتناول القضايـا الاجتماعيـة والمتاعب العائليـة والأحداث التـي يتم سردها بأسلـوب الأديبة الرائـع الذي تتميز به، ويلاحظ القـارئ أن النتائج لا تأتـي عـادة طبقًا للتوقعـات، والأديبة عـادة توضح جانـب اليأس لدى شخصياتهـا، ثـم تجعل هذه الشخصيـات في النهاية ترفض اليأس، وتبـدأ حياة كلها أمـل، فـ«ضمير» في قصتها «كشف» نـراه برغم يأسه

طـوال حياته يعبر مفترق طريق الكراهية والحب؛ ليتخلص من أسلوب الحياة الذي لم يمكنه من اتخاذ قراراته، ويكشف عن ذلك بوضوح بعد أن ظل سنوات طوالاً يكتم كل شيء بداخله.

كـشف:

فـي ضوء النـور القادم من مصابيح الحارة وقـع نظره على «كوب» الشـاي الأصفر الموجـود على الطاولة.. ظل يراقـب الكوب عدة ثوانٍ، ثـم راح يفرك عينيـه وينظر هنا وهناك.. أدرك «ضميـر» أن ما أمامه هو«برطمـان» المخلـل الصغير، فيـه ليمون أصفر، نهض واقترب من الطاولة وأعاد (برطمان) المخلل إلى الخزانة، هزّ «ضمير» رأسه يريد أن يخـرج جميع النتائـج من عقله، تلك النتائج التـي ملأت دماغه بما كان فـي داخله من مرئيات، كان يتراءى لـه أحيانًا أنه مصاب بمرض عقلـي، أو بحالـة نفسية، وكان يعتقـد أحيانًا أن نظره قـد ضعف وكان يخشـى أن يكـون الجن قد سيطر عليـه أو لبستـه روح العفريت.. وبعد محـاولات عديدة أخرج من داخله هذا الظـن، إنه لا يرى الحقيقة كما يجب أن يراها والوقائع والأحوال والناس ليسوا هم كما كان يراهم..

هـل كان يفحص ويدقق في الظروف المتغيـرة من حوله؟ هل حقًّا كان يمكـن أن يقيم مع أسرته؟ هل تغيـرت القيم في بيته، ولم يدرِ عن ذلـك شيئًا؟! وهـل، وهل... بدا وكأنـه إحدى عجلات آلـة تحطم أحد تروسهـا، فراحت تدور مصـدرة صوتًا متقطعًا فـي كل دورة.. تريك.. تريك.. تريك..

أعـاد قراءة الخطـاب مرة أخرى، ثم طواه ووضعـه في جيبه، كان هـذا الخطاب لا يمـت بصلة من قريب أو بعيد إلى قـراره الذي يود أن يتخذه وجاء صوت أخته الكبرى من الحجرة الداخلية يناديه:

«ضمير..»

رغـب كعادته أن يلقـي بنداء أخته وراء ظهـره.. أن يهمله.. فأخته الكبرى هي أخته على كل حال وليست أمه، ولكن التربية - داخل البيت الـذي يقع فـي نهاية الحـارة - القائمة علـى احترام الصغيـر للكبير جعلت هذا أمرًا لا شعوريًّا لديه.. كان من داخله ثائرًا تتنازعه المشاعر المختلفة...

«ضمير! ماذا فكرت..؟».

«أنا..».

«نعم أنت..».

«ماذا يمكنني أن أفكر وسط هذه الظروف..؟».

«اتـرك الظروف.. مرت ثـلاث سنوات على الخطبـة، وأهل الفتاة يطلبون تحديد موعد الزواج».

«نعم... تاريخ..؟ يطلبون..».

«أسمعني قرارك بسرعة، وإلا قمت أنا بتحديد أي تاريخ».

نظـر «ضميـر» ناحيـة أختـه الواقفة أمـام الشبـاك المفتوح جهة الحــارة.. كان يحب أخته الكبرى حبًّا جمًّا بقدر ما كان يكرهها كراهية شديـدة..! كان يرى في أختــه الكبرى (كشور) تمثــالاً حيًّا يقف أمامه متحدثًا عن المسؤوليات والواجبات.. كانت محبة أخته الكبرى بداخله مثـل حجر ثقيل حط في الماء، بينما ظلت حوله دوائر الكراهية التي لا تحصــى باقية على سطح الماء تتحرك دون توقف.. بدأ يفكر، يتسائل: لمــاذا هذا التعلق الشديد بأختي الكبرى؟ يمكنني أن أنهي هذا الشعور فــي لمحــة واحــدة، لكن هذا لــم يحدث... هبــط السلالــم في غضب وانطلق يمضي في الحارة.

كان هذا دائمًا هو رد الفعل الذي يصدر عنه، إما ينزل إلى الحارة أو يصعـد إلى الطابـق العلوي أو السطح، فيبدأ التجـول هناك.. دائمًا يشعر بضرورة للمشي؛ حتى يعيد حالته الداخلية إلى طبيعتها.. وهكذا ظل يمشي عدة ساعات حتى يصيب نفسه بالتعب والإرهاق.

كانــت نغمات «الموال» التي تنبعث مــن دكان شرائط «الفيديو» في الحــارة تعجبــه كثيرًا حين يكون فــي حالته الطبيعية، لكنــه الآن يشعر بالنفور، لا يريد أن يسمع أي «موال»..

وعلــى جانب الشارع الكبيــر المتصل بالسوق كانــت هناك حديقة صغيــرة، كان المكان منطقــة واسعة في وقت من الأوقــات تتجمع فيها النســاء الهندوكيــات في أعيــاد الديوالي والدسيهــره، فيقمن الزينات ويصدحــن بالأغنيات طــوال تلك الاحتفالات، وبعد قيــام باكستان بدأ النــاس يجعلونها مربطاً للجاموس.. ولمــدة طويلة، وفي ليالي الصيف

خاصـة كان العفـن المنبعث منها يصل إلى كل بيـت من بيوت الحارة، وحيـن تقرر إخراج الجاموس من المدينة تـم تسوير هذه المنطقة من جميع جهاتها بسور من الصفيح الأبيض، ثم أصبحت فيما بعد منتزهًا أقامـوا فيه بعض المقاعد الخرسانيـة، ووضعوا فيه بعض الأراجيح المكسـرة وغرسوا بعض الأشجار، بينمـا نمت الحشائش الطبيعية، فأقامـوا ممـرات وأرصفة مـن الحجارة، وفـوق الحشائش الخضراء راحت أكياس «البلاستيك» الفارغة تتطاير هنا وهناك، وتجمعت أشياء لا فائـدة منها مكونة أكوامًـا من الزبالة والقـاذورات.. وقد أطلق أهل الحـارة على المنتزه اسـم «حديقة الأراجيح».. وفـي حديقة الأراجيح هذه كان «ضمير» يقضي الساعات الطوال جالساً.. ماشياً.. مفكراً..

والآن أيضًـا.. قدم إلى هذه الحديقة، وجلـس على أحد مقاعدها، وأخـرج من جيبه الخطـاب.. قرأه.. وطواه.. ثم عـاد ووضعه في جيبه من جديد، واستدار، ونظر ناحية الحارة..

فـي نهاية هـذه الحارة يقـع بيته المشيـد بالخرسانـة والحجارة، المكـون من ثلاثة طوابق، حيث تقيم فيـه أختاه اللتان أنهيتا دراستهما للماجستير بالانتساب.

تنتمـي هـذه الأسرة إلـى عائلة الراجبـوت التي اشتهـرت بالغيرة والنخـوة والشهامـة، وأختا «ضمير» فتاتان سمـراوان، أنفاهما عاليان معقوفـان كأنـف ببغاء، تمتلـكان إرادة قويـة وفكرًا طاهـرًا بالوراثة.. وهمـا تعدّان السلام علـى أحد أو إظهار الشعـور بالعطف تجاه أحد أو حتـى الذهاب لزيارة أحد إساءة لسمعة العائلة ولهما شخصيًّا... وهما تقتربان من الثلاثين، ولم تتزوجا بعد.

مـن وجهة نظر «ضمير» كانت أختاه معقدتين نفسياً، فكان يحبهما بقدر ما كان ينفر منهما، كان دائمًا يرى أن الناس والأماكن والأحداث والظروف تستحق الحب والكراهية في آن واحد..!!

قبـل ثلاث سنوات حين التحق بالجامعة التقى «بحسنة».. ليس في الجامعــة، بل في بيت يقع بعـد بيته بخمسة بيوت، كانـت حسنة تسكن مثله في بيت مشيد بالحجارة والخرسانة يتكون من ثلاثة طوابق.. وفي الطابقيـن العلويين شيدت شرفة جميلة من الخشب لم يكن لها نصيب منذ سنـوات من الطلاء.. وفي هـذه الشرفة وضع بعض الأثاث الذي أصابتـه الشمس والمطر بالكلاحـة، فلم يكن هناك في البيت من يفتح أبـواب الشرفات أو حتى يقترب منها، فأهل البيـت ينتمون إلى السادة وجو البيت كله جو ديني، فالجميع تربى في بيئة دينية محافظة، والنساء قانعات راضيات مسرورات بما يقمن به من أعمال في البيت من عجين لعمـل الخبز، وإعـداد الطعام، ورعاية البيـت، والمشاركة داخل البيت فـي إعداد ما يلـزم للاحتفال بالمناسبات الدينيـة والأعياد ويدردشن ويستمعن إلى الأحاديث المتعلقة بالبنات وخطبتهن وزواجهن، لكنهن لا يمكنهن المشاركة في كل هذه الأمور خارج البيت.. يحترمن الوالدين.. إلا أن حسنـة كانت تجد نفسها مجبـرة أحيانًا على العصيان؛ لأن أمها تخفيهـا تمامـاً عن الأعين كمـا تخفي ثروة، وكانت أمهـا تجبرها على الاختفـاء عن أعين المتلصصين، وفي ظل هـذه الظروف أنهت حسنة دراستهـا للماجستير دون حاجة إلى الذهاب إلى الجامعة، فقد درست طالبـة منتسبة، ومـن هنا كانت تذهب إلى بيـت «ضمير» لتحصل على مذكرات مادة الدراسات الإسلامية من أخته «زرينة».

كانت حسنة وأخواتهـا مثقفات متعلمات، لكن مجتمعهن في بيتهن لم يكن مجتمعًا تتكشف فيه النساء على الرجال.. فهن يخشين الجنس الآخر، ويرهبنه، ويخفن منه، وكأنهن يخشين الإصابة بمرض معدٍ من جنس الرجال.

اليـوم الأول الـذي رأى فيـه «ضميـر» حسنة كان يقـف أمام محل شرائـط «الفيديـو» يدخن سيجـارة، وكانت الحارة قـد أصابها الوحل فـي ليلة ممطـرة.. وبدت خالية مـن الحياة، وكانت الأحجـار القديمة الملسـاء «تزلق» من لا ينتبه إليها.. ظهرت حسنة من بعيد، كانت تلبس فـي قدميهـا حذاء ذا كعب عـالٍ، وترتدي ثوبًا مليئًـا بالطيات ووضعت علـى وجهها خمارًا أسـود، وعلقت في ذراعها حقيبـة كبيرة من الجلد الطبيعي، وفوق رأسها «شالاً» أسود مزخرفًا بورود كبيرة الحجم..

واضطـر «ضميـر» إلـى الاستماع إلى وقـع أقدامها داخـل الحذاء ذي الكعـب العالـي؛ لأن مثل هـذا الصوت لا يصدر فـي الحارة إلا من قدميهـا هي.. وحين اقتربت حسنـة من محل شرائط «الفيديو» إذا بها تتزلق وتسقط على الأرض، فتقع منها حقيبتها الكبيرة، ويطير خمارها الأسـود وتبتعد عنها فردة من حذائهـا... ربما اضطربت حسنة بسبب نظرات أهل السوق الموجهة إليها كالسهام.. وربما كان السبب «زحلقة» الطريق أو ربما خدعها ذلك الكعب العالي، أو ربما لم تكن لديها تجربة في الانكشاف على الناس.. على كل حال حين سقطت على الأرض راحت الدموع تنسكب من عينيها بغزارة، بسبب وقوعها على الأرض أو بسبب إحساسها بالخجل والمهانة أمام الناس.

بعد هذه الواقعة بدأ «ضمير» في مساعدة «حسنة» وتمكن من الفوز باهتمامها تمامًا كالشاطر حسن أو كبطل من أبطال الحكايات الشعبية الآخرين، ولأول مرة يشعر «ضمير» بالتفريق بين الحب والكراهية، ولأول مرة يشعر أنه دخل إلى قصر المحبة الصافية..

كانت حسنة كلما التحفت بالشال الأسود، ولبست الحذاء ذا الكعب العالي في قدميها، وجاءت إلى بيت «ضمير»، يظل «ضمير» يحوم حولها:

«أختي زرينة.. هل تريدين الشاي؟.. هل أحضر لك مشروبًا باردًا..؟».

وأخيرًا تبادل الحديث مع حسنة:

«لماذا لم تأتِ بالأمس؟».

«نعم.. من يمكنه أن يأتي كل يوم؟».

لماذا لا يمكن أن تأتي كل يوم؟ ويصر «ضمير» على سؤاله، فقد تمكن من قلب حسنة، وكان بدوره يشعر براحة عجيبة، وهو يحاول أن يقنعها في أثناء الحديث، إذ كان يريد أن يثبت ذاته ويضعكم بمسؤولية ما تمامًا مثل أخته الكبرى.

«أمي لا تسمح لي، حتى بالذهاب إلى السوق، فكيف تسمح لي بالمجيء هنا كل يوم؟».

«تعالي معي إلى الجامعة مرة، وسوف ترين.. البنات يأتين وحدهن.. يقدن السيارات بأنفسهن.. يجلسن في الكافتيريا «وحدهن

يشربن الشاي، وأمك التي تنتمي إلى القرن السادس عشر جعلت منك خاتمًا وضعته في علبة مزخرفة».

«أهذا ذنبي؟.. أخبرني؟!».

كان بياض وجه حسنة ناصعًا تموج فيه حمرة وردية، وكانت عيناها مدورتين واسعتين، وجنتاها كوردة مدورة لم تتفتح تماماً، أما رقبتها فكانت مكتنزة وكتفاها عريضين وجسمها ممتلئًا.. تبدو للناظرين أكبر من سنها الحقيقية، ونظرًا لقوة جسمها، فملامح الصحة تظهر على وجهها.. لم تكن حسنة بقادرة على أن تغضب من الناس مدة طويلة، وكانت تتقبل فشلها بكل سرور، إذا تحققت لها أمنية فرحت وسرّت وإلا فإنها لا تسعى لتحقيقها، فقد تربت على الصبر وتحمل الفشل ولم يكن هذا نتيجة لضعف فيها، ولكن ربما لعدم اهتمامها بالأمور التي تدور من حولها، حتى لوكانت تتعلق بها شخصيًّا، ولهذا فقد كان يمكنها الاسترخاء على السرير و«الدردشة» مع صديقاتها مدة طويلة أو اللعب مع الأطفال، كما كانت تفضل أن تقضي الوقت في التطريز وطبع الصور على القماش أو حياكة قمصان لصديقاتها، كما كانت تميل إلى مساعدة العمات والخالات في أداء واجباتهن المنزلية..

كانت كلما التقت بـ«ضمير» تحدثه بكل سرور، وفرح عن الطعام والموائد والمشروبات والحلوى، وكانت تعشق كل أنواع الأطباق وخاصة تلك التي تحتوي على اللحوم والدواجن وأطباق الحلوى المليئة بالسمن والقشدة، كما كانت تفضل الألوان الزاهية، وبصفة عامة كانت ملابسها على جسمها كالألعاب النارية في السماء.

كان نديم على دراية كاملة بالميراث الثقافي للناس الذين يعيشون فـي وسط المدينة، لكن دراسته في الجامعـة بعيدًا عن المدينة غيرت بـلا شك من نظرياته وأفكاره، كان يريـد أن ينقل أهل بيته الذين بقي منهـم الآن أختاه فقط إلى القـرن العشرين، وضمن هذه المحاولة كان كلما تحدث مع أخته الكبرى زرينة أعرضت عنه..

«لو كانت أمي ولو كان أبي على قيد الحياة لكان هناك شأن آخر».

كان قلبه صغيرًا مفعماً بالحب لجميع أهل البيت.. ومرت الأيام.. وجاء اليوم الذي تحملت فيه أخته الكبرى المسؤولية.. فراحت تصدر أوامرها:

«لا تنـم في الطابق الثاني.. لا تلبس بنطلونـات الجينز»... لا ترفع صـوت المسجل بالموسيقى الصاخبة.. لماذا تضع على حائط غرفتك هذا التقويم الـذي يحمل صورة اللاعب «عمران خان»؟.. لماذا تفضل صـور الممثلات الهندوكيـات؟.. إذا أردت الاستماع إلى الغناء فاستمع إلـى الأناشيد القومية، أكل «سندويتشات الهمبرغر» من الخزعبلات.. لماذا تضع سلسلة في عنقك كالبنات؟..».

لـم يكن هناك من الأطفال أو الصغـار من يشغل الأخت الكبرى أو زرينـة لم يكن فـي البيت غير «ضميـر»، فأرادا أن يروضـاه تمامًا كما تروض حيوانـات «السرك» وكان «ضميـر» بداخله صـراع.. كان يريد أن يكـون بـدوره رجل البيت بين أختيه اللتين تسكنـان معه في البيت.. يريد أن يتولـى المصاريف والنفقات، يريد أن يكون بيده إصدار جميع القـرارات، ولا يـزال يتذكـر جيدًا ذلـك اليوم، حين نجـح في امتحان

البكالوريوس بتقدير ممتاز مـع مرتبة الشرف، فانطلق فرحًا إلى أخته الكبرى:

«أختاه! لقد نجحت بتقدير ممتاز.. نعم ممتاز..».

وكانـت الأخـت كعادتها تطل مـن النافذة المفتوحة علـى الحارة، تشاهـد ما يـدور فيها، ففتحـت درج الطاولة، وأخرجـت ورقة من فئة عشر روبيات، وقالت:

«إذًا يجب أن تنال جائزة».

«أعتقد... يجب أن نشتري سيارة.. إن لنا مكانة في هذه المنطقة، ونحن أصحاب أملاك أيضًا».

«إيه..؟ ماذا نفعل بالسيارة؟ أنا وزرينه قلّ أن نخرج من باب البيت، كما أننا لا نريد إفسادك..».

وفـي لمحة انتهى كل سروره بنجاحه بتفـوق، وبدأ بداخله إحساس بالغضـب سرى في جسده، فالأختـان لا تفكران إلا في نفسيهما فقط.. فـي البيت تطبخـان ما يعجبهمـا من طعـام، وتقوم كل منهمـا بدعوة مـن تريد من الضيوف إلى البيت، والأخت الكبرى لا تجعله حتى يلمس «الشيكات» ولا تسمح له باتخاذ أي قرار مهم، ولكن إذا وقعتا في مشكلة فما تقومان بإيقاعه فيما يخجله، وتحملانه المسؤولية..

«ضمير» اذهب إلى «خالة حميدة» وأخبرها أننا لا يمكن أن نقرضها مبلغ عشرين ألف روبية.. فمن هنا بعد أبينا يكسب لنا رزقنا؟!».

«يا أختاه، أخبريها أنت بذلك الأمر» ويتلعثم «ضمير» وهو يرد على أخته الكبرى.

«يـا أخي.. أنت الرجل الوحيد في البيت.. وجميع القرارات المهمة يجب أن تكون عليك.. متى تتحمل المسؤولية؟! في أي يوم ستصبح رب العائلة؟! اذهب وأخبرها بذلك في حزم، وإلا جاءت لتطلب المبلغ..».

كان «ضميـر» يحب خالته حميدة كثيراً، وطـوال الطريق كان يفور بالغضـب من داخله مـن جراء ما به مـن صراع.. فمشاعـر الكراهية تتصـارع بداخلـه مـع مشاعر الحـب، ويظل يفكـر في العبـارات التي ستساعـده وتعينه؛ حتى يتمكن مـن الحديث مع خالته حميدة.. فخالته – من بعد أمه – منحته حبها، فكيف يمكنه أن يخبرها بهذا الأمر بكلمات واضحة.. كانت هذه الفكرة تعتلج بداخله..

والآن الأخت الكبرى تريد منه قراراً..

بـدأ يتمشى فـي حديقة الأراجيـح حينًا، ويتجه إلـى محل شرائط «الفيديـو» ليتحدث مع صاحبه حينًـا ويمضي ليتحدث مع صاحب محل الأحذيـة يسأله عن أنواع الأحذية، بينما يذكـر له صاحب المحل أنواع الجلـد والبلاستيـك الذي نضع فيـه الأحذية، وما فـي البلاستيك من شحنات كهربائية تجعله يلتصق بالأحذية، فيصعب فصلها عنه...

كان بينه وبين حسنة مناوشات بسيطة ومناقشات.. عواطف هادئة مـن الحـب، ومشاعر بسيطـة من الكراهيـة.. كل هذا تغلغـل بداخله، وأصبـح من الصعب أن يتخلص منه، كانت رغبة «ضمير» للاستعراض

قد زادت.. وشعر أن علاقته بالحارة لم تعد كما كانت وثيقة متينة، بل صارت هشة، وخاصة بعد ظهور القيم المتغيرة من حوله وأساليب التعليم والحياة الحديثة.. لم تعد علاقته قوية بطريقة الحياة التي يعيشها، وبالأفكار والعادات والتقاليد السائدة.. خرجت الضفدعة من البئر، مضت على ساحل البحر.. تحطم فيها وفاؤها للبئر.. لكن حسنة لا تزال حتى الآن الورد في العصير.. لا تزال كما هي قابعة وسط ثقافة الحارة وحضارتها، تعيش حياتها بترف ورفاهية..

«لقد تغير الوقت يا حسنة... يجب علينا أن نغير نظارتنا..».

وتعد حسنة جملته هذه لوح زجاج غير مصقول يحول بينهما، فتقول له:

«منذ ذهبت إلى الجامعة، ومحبتك تقل يومًا بعد يوم».

ويبدأ «بندول» المحبة داخل «ضمير» يتجه ناحية الكراهية، وتضطرب مشاعرهما معًا وتموج عواطفهما..

«الإحساس والتفكير شيئان مختلفان يا حسنة... في تفكيري سعة بلا شك، لكن إحساسي كما هو.. لم يتغير».

«وتبدأ حسنة في البكاء.. منذ طفولتها تعلمت استخدام سلاح واحد إذا ما واجهتها مشكلة ما»..

«إذا كان التفكير يتغير، فإن الإحساس يتغير أيضاً... أنت تغيرت أيضاً؟!».

شعر ضمير أمام الدموع المنهمرة بالضعف والهزيمة..

«حسنة.. والله.. إن سعة الفكر لا تقضي أبدًا على ثروة الإحساس، فارتداء «الجينز «وأكل» سندويتشات الهمبرغر «لا يغير الإنسان...»».

«هذا ما تقوله أنت.. لكن كلامك وأسلوبك، طريقتك.. كل هذا تغير.. فقط أنت وحدك لا تدري..»».

«عزيزتي.. كل ما هنالك أن في تفكيري قليلاً من العمق، وقليلاً من السعة فقط».

«أول أمس كنت أتحدث عن الثقافة، وأنت قلت: إنها ثقافة دقيانوسية» قالت هذه العبارة، وهي تبكي.

«وعندك أن الثقافة والحضارة هي الله..؟»».

«يا أخي، افتح عقلك قليلاً... الثقافة والحضارة ليست طيبة وليست سيئة، ليست سوداء وليست زرقاء الثقافة، ثقافة فقط، فنحن نعيش مع الناس ونتغير بطريقة لا شعورية أليس كذلك؟ فكيف يمكن أن أقول: إن ثقافتي ثقافة سيئة؟ لقد نشأت فيها، وتربيت على أساسها..»».

جفت دموع حسنة، وبدت له كأنها مثل أخته كشور، مظهرها مظهر من يملك بزمام الأمور ومن يتحمل المسؤولية..

«الأسبوع الماضي كنت تتحدث، وتتكلم ضد الدين..»».

«أنا؟! ضد الدين؟!»».

«ألم تقل: إنه لا وجود للجن؟».

«أنــا لم أقل هذا.. لم أقل: إن الجن غير موجودين، كل ما قلته: إن العلم لم يثبت ذلك بالدليل المادي حتى الآن».

«هذا هو المعنى نفسه».

«ماذا..؟».

«أي أن اعتقادك ضعيف».

«العلم شيء والاعتقاد شيء آخر..».

«إن مــن يتحدث حديث العلم يقل اعتقاده تدريجياً، ولا تبقى محبة الإسلام بداخله...».

«من قال لك: إن الإسلام ضد العلم؟! ليس الإسلام.. لكنها ثقافتك المفضلة التي لا تريد أن يصل العلم إلى هذا البلد.. أتدرين أن العصر الذهبــي للإسلام هوالعصر الذي شهد مولد العديد من العلماء الكبار الذين أثروا في العالم كله..».

«لا أدري شيئاً.. منذ تغير تفكيرك تغيرت بأكملك».

ولفّــت حسنة، وهي تبكي نفسها بالشال الأسود، وبدأ صوت حذائها يدق الأرضــ، واتجهت عائدة إلى بيتها وتحــرك «ضمير» أيضاً.. وصل إلــى ذلك الجــدار المعلق عليه تعويــذة منع الحسد.. ثــم استدار فوقع نظــره على ذلك المــكان الذي طالما راحت تطير منــه طائرته الورقية

في صغره.. راح يتذكر السباق بينه وبين أقرانه ومعاكساتهم بعضهم بعضًا.. راح يتذكر جلوسه في المساء أو ركوبه الدراجات وتتراءى أمامه تلك التعويذة المعلقة في رقبة الخروف الذي ذبح لتوه، وعلق في ذلك المكان.. ثم خطا خطوات تجاه ذلك القدر الكبير.. كان دائمًا ينظر إليه يمعن النظر ناحيته، فيتخيل رأس المرأة التي تخبز من خلف القدر رأس جن أو عفريتًا يتجه إلى السماء ليطير، بينما ينتظر هو رؤية يديها ورجليها، متخيلاً أنها ستخرج من القدر والدخان يتصاعد من تحته.. كم تخيل الجن، وقد طار في السماء، وكاد يسقط على طائرته الورقية.. راح يتذكر تلك الموالد والاحتفالات التي كانت تعقد في الطابق العلوي.. وتذكر أختيه في البيت، فراح يحاول الوصول إلى نتيجة تتعلق بهما وبحسنة أيضًا.. كان يود أن يصل إلى نتيجة إيجابية فيما يتعلق بثقافته.. نتيجة تجعله لا يخجل من هذه الثقافة إذا ما عاش فيها ومارسها وتعامل معها... ويريد أن يمسك بزمام دينه في يده لا يفلت منه..

لكن لم يكن بداخله الحماسة، ولم تكن بداخله العاطفة القوية لتحقيق ما يريد..

وحين اتجه إلى ذلك المكان الذي اعتاد منذ صغره خامره الإحساس بالكراهية والمحبة معًا، وحين اتجه إلى تلك المنطقة التي طالما أقيمت فيها الاحتفالات في الماضي هاجمته الوساوس والشكوك..

وفي «حديقة الأراجيح» وحين أخرج الخطاب من جيبه لآخر مرة.. قرأه، فانكشفت أمامه فجأة حقيقة أن الذنب كله ذنب اتخاذ القرار..

إيجابياً كان أم سلبياً.. فحين يصل الإنسان في أي لحظة إلى قرار، فإن بقية المراحل سوف تتحدد من تلقاء نفسها... لم تعد هناك ضرورة عنده لرؤية مسافة أخرى.. لقد ترك الاستعانة بالمنظار المكبر الذي يقرب له البعيد، وكذا ترك الاستعانة «بالميكر وسكوب» ووصل بنفسه إلى نتيجة حتمية.

وخطا «ضمير» خطوات بطيئة بين ممرات «حديقة الأراجيح» واتجه إلى الشارع الذي يقع فيه بيته.. وصل إلى البيت، كان يريد أن يحدث أخته الكبرى فيما يتعلق بتحديد موعد الزواج.. في الطريق ألقى السلام على دين محمد الخياط، فهو منذ مدة يحوك ملابس أختيه..

«السلام عليكم..»

نظر «ضمير» إلى دين محمد، وكأنه يشاهده لأول مرة.. رأى فوق جبهته غدة كبيرة وتعرجات كثيرة..

«يا أسطى! هل تؤدي لي خدمة؟».

«بسم الله.. سمعاً وطاعة».

«انظر..» وأخرج «ضمير» من جيبه مظروفاً أراه لدين محمد، وهو يقول..

«لقد وجدت وظيفة طيبة في كراتشي.. اذهب إلى أختي الكبرى، وأخبرها بألا تقلق علي..».

واضطرب دين محمد الخياط لحظات..

«يـا أخي.. لم يبقَ علـى بيتك سوى خطوات أربـع.. اذهب بنفسك وأخبرها» قال دين محمد هذه العبارة وقد بدت عليه علامات الخوف.

«حـاول أن تفهم.. لو ذهبت إلى البيت، فلن أتمكن من الذهاب إلى كراتشي».

«على رسلك، لكن لماذا هذه العجلة؟».

«طبعًـا أنا فـي عجلة.. فمعي صديق.. والطائـرة ستقلع بعد نصف ساعة، ولعله اشترى تذكرتي الآن.. تذكر أخبر أختي بألا تقلق».

«يا للعجـب!..» ورفع دين محمد الخياط يـده، وكأنه يسحب خيطاً «لضمـه» فـي إبرة... هـذا بينما أعطـى «ضمير» ظهـره لدين محمد، ومضـى يرفـع رجليـه الطويلتين، وانطلق إلـى الشارع، وهـو ينظر إلى يمامة وقفت على عمود النور الكهربائي أمامه دون أن تحرك ساكنًا.

كان «ضميـر» كمـا هو دائمًـا على استعـداد للتفكير فـي أن ما قد يصدر عنه قد يكون فيه ظلم لشقيقتيه، ولحسنة أيضًا، لكنه ولأول مرة ظل يمشي.. لم يلتفت خلفه.

كان فـي قراره هذا قـوة تمكنه من أن ينهي النـزاع القائم بداخله بيـن الحب والكراهية.. وحتى لو كان هـذا القرار قراراً بالهجرة، لكنه بدأ يشعر أن فيه تحريراً له من حياته تلك.. تحريراً له من النفاق الذي يسيطـر على مشاعره.. تحريـراً له من تلك المسؤوليـة التي لم تجعله

يتخذ قراراته بنفسه.. تحريرًا له من غموض ذاته.. فهو لا يريد – بعد اليوم – أن يظل في مفترق واسع بين مشاعر الحب ومشاعر الكراهية.. وبعد مدة لم يعد ينظر خلفه.. ناحية الحارة.. كان على يقين من أنه لو نظر خلفه مرة واحدة لتحول إلى حجر.



وخز

للأديب: أحمد نديم قاسمي

أحمد نديم قاسمي أديب باكستاني قضى طفولته وصباه في ريف منطقة البنجاب، فشاهد عن قرب حياة أهل الريف بجميع طبقاتهم، ومن هنا وجدت شخصية الريف طريقًا إلى قصصه التي صاغها بأسلوب معبر يمتاز بالسهولة والبساطة.

ويمكن القول باختصار شديد: إن أحمد نديم قاسمي أوجد مكانًا رحبًا للريف في القصة الأردية، يذكرنا بمكانة الريف في كتابات الأديب العربي محمد عبد الحليم عبد الله مثلاً مع الفارق في المعالجة لاختلاف البيئة والظروف. وتشهد على ذلك مجموعته القصصية الأردية التي نشرها بعنوان «الحجر الأزرق» عام ١٩٨٠م ومجموعته الأخرى بعنوان «زهرة القطن» أونوار القطن إن صح التعبير، وبسبب هذه القصص الرائعة نال أحمد نديم قاسمي شهرة واسعة في الأوساط الأدبية؛ ذلك لأن أسلوبه في معالجة قضاياه وطريقته في عرض شخوصه مختلف عن أدباء الأردية الآخرين ممن عالجوا أيضاً موضوعات الريف في قصصهم من أمثال الأديب غلام الثقلين نقوي والأديبة جميلة هاشمي، والأديب صادق حسين، وغيرهم.

وقصته «وخز» يعالج فيها هوس جمع المال في أوساط «المستشيخين» الذين اتخذوا من المزارات والأضرحة وسيلة لنهب الناس البسطاء واستغلالهم، يفسدون عليهم عقيدتهم ويوقعونهم في حبائل الشرك بعد أن يكونوا قد أبعدوهم عن صفاء عقيدة التوحيد ونقائها، التي هي أساس الدين الحنيف.

وتعد هذه القصة التي ننقلها عن الأردية إلى العربية - بأمانة ودقة ومراعاة عامة للنص الأردي - من الروائع الأدبية للأديب أحمد نديم قاسمي.

وخز:

لم يفهم أحد كيف ظهر هذا الحب الإلهي في قلب شمشاد علي وفي هذا العمر؟! ذلك الشاب الوجيه الذي كانت أنظار الناس تتعلق به حيثما مضى... كانت شعرات ذهبية متفرقة تلمع وتبرق في لحيته التي نبتت حديثاً وفي شاربه أيضاً، أما إنسان عينيه فكان يبدو أحياناً للناظرين بلون اللوز الداكن وأحياناً يبدو بلون يميل إلى الزرقة، كان الناس قد اعتادوا مشاهدته، حين كان يخرج من بيته ذاهباً إلى المسجد، وحين كان يعود إلى بيته قادمًا من المسجد، ولم يحدث أن وقع نظرهم عليه في أي مكان آخر علاوة على ذلك. كان شمشاد علي يجلس في المسجد مددًا طويلة، ويستغرق في تلاوة القرآن الكريم.

وفي البيت كان يجلس مفترشًا سجادة الصلاة، يردد الأدعية والأذكار ساعات طويلة، فساور الخوف إخوته الكبار؛ ظنًّا منهم أن يكون أخوهم الأصغر شمشاد علي قد «انجذب» وأخذه الوجد، وسيظل هكذا «مجذوبًا»، فزوجوه...

وصـــار شمشاد أبًا، إلا أن حبه لأهله كان من نوع عجيب، فكان بعد أن يتـم قــراءة الأدعية والأذكار ينهض وينفخ فــي وجه طفله القابع في حضــن أمه حينًا أو يقوم بتمرير أنفاسه بامتداد جسم طفله النائم في مهــده حينًا آخــر، وكأنه ينقل ثواب جميع الأدعيــة والأذكار التي قرأها إلــى وليده، ومن ثم يأخــذ طريقه إلى المسجد. وكم مــن مرة أجلسوه وأفهمــوه أن تــلاوة الأدعيــة والأذكار شيء طيــب، إلا أن الإنسان الحي عليه واجبــات أخرى كثيرة، فهو رجل لزوجة كمــا أنه والد لابن، وعليه بعض الواجبات لا بد أن يقوم بها، ولكنه كان يجلس، وقد ازدانت شفتاه بابتسامــة لم تكتمل، وحين يبــدأ الجميع في التفــرق، ينهض هو أيضًا ويتجه إلى المسجد...

فــي فصــل الشتــاء كان يعاند فيتوضــأ بالماء البــارد، معتبرا هذا جــزءًا من العبادة أيضاً، ومن ثــم كان يضع جانباً إبريق الماء الساخن الــذي كانــت زوجه تحمله إليــه، حتى ظهرت الشقوق فــي كعبيه وتسلخ جلد أصابع يديه وتحول إلى قشور، وبرغم هذا ظلت الابتسامة التي لم تكتمل بعد تزين شفتيه، واستمرت حياته على هذا المنوال.

كان شمشــاد علــي ينتمــي إلــى أســرة اشتهــر أفرادها بيــن الناس بالانقطــاع إلى عبادة اللّه، أســرة ورث أفرادها المشيخة أبا عن جد، إلا أن مــزار شيوخ هــذه الأسرة كان بعيــدًا عن القرية في موضــع يقال له: «ونــدي شيخــان» وكان الأخ الأكبر، ويدعى أمجد علــي هو «الخليفة» بين أفراد هــذه الأسرة، وكان كلما رجع من «ونــدي شيخان «إلى قريته يظل قلقًــا وهو يشاهد أخاه فــي حالة الطرب هذه، منتشيًــا بذكر اللّه، ويظل يفكر ويفكر وفــي النهاية وذات يوم، وبعد التشاور مع إخوته قرر ضرورة

أخـذ شمشاد علي إلى «وندي شيخان» إلـى «المزار» فإذا لم يتراجع بأي شكل من الأشكال عن هذا الاستغراق المستمر في تلاوة أدعيته وأذكاره وقـراءة أوراده، وجب إبقاؤه في المزار، حيث (خانقاه) الآباء والأجداد، فمـن الممكن أن يفيق قليلاً مما هو فيه، ويكـون بشكل أو بآخر ذا فائدة لأخيـه الأكبـر أمجد علـي، وحين أخبـر شمشاد علـي بأن أخـاه الأكبر سيأخذه إلى المزار قال: «حسنًا... ليأخذني إلى هناك، فالله هو الله في كل مكان، والقرآن هو القرآن في كل مكان، لا يفرق الأمر معي شيئًا».

وفي «وندي شيخـان» أجلس شمشاد علي في جانب من المزار على مسند المشيخة، وظل جالساً منشغلاً بما هو فيه كعادته كل يوم، وحين علـم المريدون أنه هو الشيخ الصغير، تدفقوا عليه جماعات جماعات؛ نظـرًا لاعتقادهـم في ولايته، وراحـوا يقبلون يديه حتـى ابتلتا، وراحوا يتمسحـون بركبتيـه حتى اتسخ سرواله مـن أوله إلى آخـره، ومع هذا استمـر شمشاد علي فـي تلاوة أوراده وأذكاره وترديـد أدعيته، دون أن يعيـر هؤلاء المريدين المتمسحين به أدنى اهتمام، وربما قال لهم مرة أومرتيـن: «هاكم أخـي، إنه يجلس هناك: ولما لـم يهتم المريدون بما يقول تراجع وانكمش على نفسه واستمر فيما هو عليه، وفي تلك الأثناء شاهد أحد المريدين يرفع طرف «المسند» الذي يجلس عليه، ثم يعيده ثانيـة إلى وضعـه الأول، فظن شمشاد علي أن هـذه الحركة مظهر من مظاهـر التكريـم والتبجيل، لكـن حين جاء أخـوه؛ ليأخـذه بعد حلول الظـلام، قـام خادمه مبارك خـان برفع جميع أطـراف المسند وجمع «رزما» من الأوراق المالية، في تلك اللحظة ابتسم شمشاد علي – ولأول مرة – ابتسامة عريضة واحدة، وقال:

«ظننت أن الناس يتلمسون البركة من المسند أيضاً، كما يتلمسونها من يدي وركبتي، الآن فقط عرفت أنهم كانوا يقدمون لي النذور».

فنبهه أخوه، قائلاً: «شمشاد! هذه النذور لم تقدم لك، هذا مال المزار، هذا ملك «المقام الشريف» افهم! هذا المال وصل المزار عن طريقك وبواسطتك، وسوف تنال عن ذلك ثوابًا عظيماً».

فقال شمشاد علي: «حتى لو حصلت على هذا المال كله، فماذا أفعل به؟! إن ربي يرزقني بما أحتاج... غدًا سوف أقول للمريدين: لا تتلمسوا البركة من مسندي، وإذا كان عليكم أن تقدموا النذور، فلتذهبوا بها إلى أخي...».

فقال أخوه من فوره: «لا.. لا.. لا تفعل هذا أبداً.. أبداً.. فاهم.. إن النذور التي ترد عن طريقي شيء، والنذور التي ترد عن طريقك شيء آخر.. لماذا تقول هذا، فترتكب جريمة خفض إيراد المزار؟!».

قال شمشاد علي: «حسناً.. حسناً.. لكن إيراد المزار كله يؤول إليك أليس كذلك؟».

فرد الأخ، وقد ضاق ذرعًا بكلام شمشاد: «افعل ما قلته لك، ولا تدخل في جدال حول هذه النذور والأموال؛ حتى لا يفسد إيمانك».

فقال شمشاد علي، متظاهراً بالخوف: «حاضر.. حاضر».

وحين رجع المريدون من المزار إلى قراهم، ذكروا لذويهم وأهليهم أن الأخ الأصغر للشيخ الكبير قد شرف المزار بحضوره، وأن على وجهه نورًا عظيمًا، فكأنه ملاك يجلس على مسند المشيخة،

وهكذا اصطف الناس طوابير طويلة أمام المزار، أما أمجد علي فكان بعد تقديم النذور يأتي من فوره إلى شمشاد علي، فينظر إليه ويحدق، وكأن بصره قد عشي، كان المريدون لا يضعون الأوراق المالية فقط تحت أطراف المسند، بل كان الحريصون منهم يعمدون من باب الاحتياط إلى حشو جيوب قميص شمشاد علي بالأوراق المالية.. وفي المساء يتولى مبارك خان، وهو من حاشية أمجد علي جمع النذور من تحت المسند وإفراغ جيب شمشاد من كل ما به، ثم يتوجه الاثنان معًا إلى حجرة جانبية، حيث ينهمكان في عد وإحصاء النقود، ويغرقان في الضحك، فببركة شمشاد علي تضاعف إيراد المزار، وتزايدت كمية النذور المقدمة للمقام الشريف.

بعد موسم حصاد القمح مباشرة، ينعقد «المولد» السنوي للمزار، فيتجه المريدون من طول المنطقة وعرضها إلى المزار محملين بأموال النذور، فيشحن كل من أمجد علي وشمشاد علي بالأوراق المالية وكأنهما خزانتان مكتظتان، وبمناسبة «المولد» وبسبب تدفق المريدين، وتزاحمهم تمزق جيب شمشاد علي من كثرة ما وضع فيه من نقود؛ نظرًا لأنه لم يكن فيه متسع للمزيد من أموال النذور، فقام أحد المريدين وأراد أن يضع النذور في يد شمشاد علي، فسحب شمشاد علي يده، وانتفض، وكأن صاعقة أصابته، ثم نظر إلى المريد باستياء جعله يرتعد من الخوف، فنهض شمشاد علي، ومسح بيديه على رأسه، ثم وضع يده على صدره، قائلًا:

«اعذرني يا أخي، فقد ظننت أنك تعطيني هذا المال، وأنا لا حاجة لي به، إن الله يعطيني ما أحتاج، هذا المال هو مال المزار، هو ملك

هذا المقام الشريف، لهذا لا تضعه في يدي، ولا تضعه في يد أي إنسان آخر؛ لأن صاحب اليد الذي يأخذ هذا المال يصبح نجسًا».

وهكذا أثبتت هذه الواقعة صدق «ولاية» شمشاد علي وعظمته، فراح الناس يتزاحمون عليه، حتى إن القلق ساور أمجد علي أحيانًا، فقد يلعب الزهر (النرد) لعبته، وينكشف الملعوب، ويخسر كل شيء، ولكنه كان حين يرى مبارك خان وقد جمع «رزم» الأوراق المالية من تحت المسند الذي يجلس عليه شمشاد علي، ومن جيب شمشاد علي الواسع الذي خيط بالقميص بدلاً من ذلك الجيب الذي تمزق من قبل كان يلتزم الصمت، ولا ينطق بكلمة.

وذات ليلة حين غادر مبارك خان المزار بعد أن جمع النذور، رأى شمشاد ورقة بمئة روبية، وقد برز منها طرفها من تحت المسند الذي يجلس عليه، فتناول المنديل الموضوع على كتفه، ولفه على يده، ورفع بيده ورقة المئة روبية واتجه إلى حيث يجلس أخوه، ففتح الباب فوجد أمام أخيه أمجد علي أكوامًا مكدسة من الأوراق المالية فئة مئة الروبية وفئة خمسين الروبية وفئة عشر الروبيات وخمس الروبيات والروبية والواحدة، ومبارك خان يقوم بترتيبها وعدّها، واستاء أمجد علي من دخول شمشاد علي المفاجئ، فقال:

«شمشاد.. حجرتك هناك في الناحية الأخرى، ماذا جاء بك هنا؟!».

أما مبارك خان فظل جالساً، حيث كان لم يغير من وجهته، فقال شمشاد علي:

«مبارك خان نسي هذه الورقة، هناك تحت المسند، ففكرت أن آتي لأعطيكما إياها».

فهدأت ثائرة أمجد علي وقال: «ضعها هنا».

فأسكن شمشاد علي مئة الروبية يد مبارك خان، وجلس بجوار أكوام الأوراق المالية، وراح يدقق النظر فيها، ثم قال: «هذا المبلغ كله ملك للمزار! أليس كذلك يا أخي العزيز؟».

«نعم.. نعم..» أجاب أمجد علي.

كان هذا بمنزلة هجوم آخر مفاجئ على أمجد علي، وراح شمشاد علي يتساءل كطفل يستفسر عن شيء لا يعرفه:

«لكن في أي شيء تنفقون هذه الأموال يا أخي؟».

فقال أمجد علي: «هذا المطبخ الذي يعمل ليل نهار، وما نقدمه من أجل تكريم الضيوف الأعزاء القادمين من أماكن بعيدة، وتلك الرواتب التي قررناها للمساكين واليتامى والأرامل، والمولد الذي يعقد كل سنة والذي ننفق عليه تقريبًا مئة ألف روبية، و...».

فقاطعه شمشاد علي، وهو ينهض من مكانه: «أخي، أنا لا أعرف الحساب لكن أقول بالتقريب: إن ما يجمع فقط في وقت المولد من نذور هو بالتأكيد يعني أكثر من مئتين وخمسين ألف روبية».

فقال له أمجد علي، وهو يحدق في وجهه: «ألم أقل لك: ألا تتدخل في مثل هذا الجدال حول النذور والأموال؛ لئلا يفسد إيمانك؟!».

فانسل شمشاد علي من الغرفة كطفل علت وجهه مسحة من ندم، بعد أن انكشف ما وقع فيه من خطأ.

في فصل الشتاء وذات يوم، دهش أمجد علي، وتحير حين رأى بعض المريدين يتهامسون فيما بينهم أمام المسند الذي خلا لأول مرة من الشيخ، وراح أحدهم يتساءل:

«يبدو أن شيخنا الفاضل بعافية؟!».

فرد عليه آخر:

«لقد نهض الآن، وذهب إلى حجرته، لكنه كان يتعثر وكأن الأرض تميد به، وراح يتلوى منحنيًا على ركبتيه..».

وصل أمجد إلى حجرة أخيه، فوجده يتلوى من شدة الألم، ويسعل ويلهث بشدة، وقد تقطعت أنفاسه، فراح أمجد علي يتأمل حالة أخيه، وعرف أنه قد ابتلي بداء «ذات الجنب»، فأخذ بعض الأدوية من أحد (الحكماء) وقرر في الوقت نفسه أن يعيد شمشاد علي فورًا إلى قريته مسقط رأسه، إنه الالتهاب الكلوي الذي يحمل رسالة الموت، لهذا أراد أن يبقي شمشاد علي في لحظاته الأخيرة مع زوجته وابنه؛ حتى لا يتهم بأنه كان سببًا في موت أخيه غريبًا عن أهله.

وحمل شمشاد علي، ووضع على السرير المفتول من حبال قائمة على أربع أرجل خشبية داخل بيته، وأرقدوه على جنبه الأيمن، فانتفض من فوره، قائمًا، وقال:

«وخز.. وخز شديد يؤلمني.. وخز آه، وخز».

قال أمجد علي:

«في الالتهاب الكلوي يحدث وخز، بل ألم فظيع.. يرحمنا الله!».

وفي صباح اليوم المقبل حين قدم أمجد علي؛ ليسأل عن حال أخيه. قال له شمشاد علي: إنه حين أراد أن يرقد على جنبه الأيمن شعر في داخل تجويف الحوض في جسمه كأن وخز سكين حاد يمزق داخله. وجاء الطبيب ففحص بدقة الجنب الأيمن من جسم شمشاد علي، فلم يجد أي بثور أو دمامل أو أورام ولم يجد حتى أي علامة تدل على ذلك، فطلب الطبيب من شمشاد علي أن يرقد أمامه على جنبه الأيمن إلا أنه صرخ، قائلاً:

«ليس هناك أي تغيير في حدة الألم الشديد الناتج عن هذا الوخز الذي يمزق داخلي».

نظر الطبيب ناحية أمجد علي، وكأنه يقول له: إن المرض الذي أصيب به شمشاد علي قد عرف سببه، ثم انتحى به جانبًا، وهمس في أذنه، قائلاً:

«لا يمكنني سوى القول: إن هذا هو وخز الموت».

قال أمجد علي:

«لكن.. حضرة الطبيب.. لماذا لا يشعر بهذا الوخز، وهو على جنبه الأيسر؟!».

وفجـأة تحول الطبيب إلـى فقيه، فقال: «إن الميت يوضع في القبر على جنبه الأيمن، حتى تكـون رأسه في اتجاه القبلة.. والشيخ الصغير يشعـر بهذا الوخز حين يكون على جنبه الأيمن؛ لأنه غير مستعد ذهنيًّا للموت... وإلا فما عساه يكون السبب؟!».

وفي اليوم المقبل حين رأى واحدًا من كبار العائلة المعمرين أن آخر لحظات شمشاد علي قد قربت وروحه سوف تنتقل إلى بارئها بين لحظة وأخرى، قرر أن يبدأ الحضور في ترتيل سورة «يس»،وأن يديروا شمشاد علـي إلى ناحية القبلة، وعلى جنبـه الأيمن. وحين أداروا جسم شمشاد علي على جنبه الأيمن إذا به ينهض مضطربًا منزعجًا، ويقول:

«وخز.. وخز.. وخز».

فوضـع فقيـه القريـة يده تحـت الجانـب الأيمن من جسمـه وراح يحركها هنا وهناك، وفجأة أشار عليهم بأن يجعلوه يستلقي على ظهره، ثـم راح يخرج من جيب شمشاد علي أعـدادًا كبيرة من الأوراق المالية التـي أصبحت طياتها من كثرة تحركه يمينًا وشمالاً مدورة كالحصيات ذات الأطـراف المدببة.. وحينئذ فتح شمشاد علـي فمه، وقال بصوت خافت:

آه.. إنهـا تلـك الروبيـات مـن نذور المـزار هي التـي تخزني هذا الوخز.

منشورات رابطة الأدب

الإسلامي العالمية

١- من الشعر الإسلامي الحديث، لشعراء الرابطة.

٢- نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي.

٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.

٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، د. عبدالباسط بدر.

٥- النص الأدبي للأطفال، د. سعد أبو الرضا.

٦- ديوان «البوسنة والهرسك»، مختارات من شعراء الرابطة.

٧- لن أموت سدى «رواية»، الكاتبة جهاد الرجبي.

٨- ديوان «يا إلهي»، محمد التهامي.

٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د. عودة الله القيسي.

١٠- ديوان «مدائن الفجر» د. صابر عبدالدايم.

١١- العائدة «رواية»، سلام أحمد إدريسو.

١٢- محكمة الأبرياء «مسرحية شعرية» د. غازي مختار طليمات.

١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د. حلمي القاعود.

١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» د. جابر قميحة.

١٥- ديوان «في ظلال الرضا»، أحمد محمود مبارك.

١٦- في النقد التطبيقي، د. عماد الدين خليل.

١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، حليمة الحمد.

١٩- د. محمد مصطفى هدارة، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

٢٠- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د. ماجدة مخلوف.

٢١- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية»، محمد رشدي عبيد.

٢٢- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».

٢٣- أدب المرأة .. دراسات نقدية من بحوث الملتقى الدولي الأول للأديبات الإسلاميات.

٢٤- الآمال صارت آلاماً، رواية من الأدب التركي، تأليف د. نور الله كنج، ترجمة د. عوني لطفي أوغلو.

٢٥- نحو كوكب الحرية - رواية من الأدب الفارسي، تأليف محمود حكيمي، ترجمة عثمان أيزدبناه.

٢٦- مملكة النحل - رواية من الأدب التركي - تأليف علي نار، ترجمة كمال أحمد خوجه.

٢٧- أقباس - ديوان شعر - طاهر العتباني.

٢٨- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - د. كمال سعد خليفة.

٢٩ - عقد الروح - ديوان شعر - نبيلة الخطيب.

٣٠- المفسدون في الأرض - مجموعة قصصية - فاطمة محمد شنون.

٣١- فوهة الجرح - مجموعة قصصية - سكينة قدور.

٣٢- الأرض الجريحة - مجموعة قصصية - صورية مروشي.

٣٣- نوبة قلبية - قصص قصيرة - من الأدب الأردي - ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم.

صدر في سلسلة أدب الأطفال

١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.

٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.

٣- تغريد البلابل - شعر - يحيى الحاج يحيى.

٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.

٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.

٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.

٧- باقة ياسمين - قصص للأديب التركي علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

٨- أغنية للغيمة البعيدة - شعر - أحمد زرزور.

٩- مغامرات عصفور - قصص - عبدالجواد الحمزاوي.

١٠- شيماء - قصص - حسن القشتول.

١١- مدينة الرحمة - مسرحية - محمود عبدالله محمد.

١٢- بيض من ذهب - مسرحية - لطفي عبدالمعطي مطاوع.

١٣- سجين الهاء والواو - مسرحية - محمد عبدالحافظ ناصف.

● تطلب من رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤- ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨-٤٦٢٧٤٨٢ فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

web page adress: www.Adabislami.org

E-mail: info@adabislami.org

المؤلف في سطور

● د. سمير عبد الحميد إبراهيم.

- ولد في محافظة الشرقية بمصر عام ١٩٤٦م.

- حصل على الليسانس من آداب القاهرة ١٩٦٧م، وعلى الماجستير في اللغات الشرقية ١٩٧١م، وعلى الدكتوراه في اللغة الأردية وآدابها من جامعة البنجاب ١٩٧٨م.

- عمل في الهيئة التدريسية في جامعة القاهرة من ١٩٦٧- ١٩٧٨م، ثم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض من ١٩٩٤- ٢٠٠٦م.

- أستاذ اللغات الشرقية وآدابها بجامعة دوشيشا باليابان.

● له عدد من المؤلفات من أهمها:

- إقبال وأرمغان حجاز (رسالة الماجستير).

- الأسرار والموز لإقبال.

- الأدب الأردي الإسلامي.

- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي.

- معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية.

- إقبال والعرب.

- الإسلام والأديان في اليابان.

● وقد فازت مجموعته القصصية (نوبة قلبية ..) بالجائزة الثانية في مسابقة الرابطة في ترجمة الإبداع من آداب الشعوب الإسلامية. وله مشاركات مستمرة في الكتابة عن الأدب الأردي في مجلة الأدب الإسلامي وغيرها من المجلات العربية.

صدر في سلسلة أدب الأطفال

١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.

٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.

٣- تغريد البلابل - شعر - يحيى الحاج يحيى.

٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.

٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.

٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.

٧- باقة ياسمين - قصص للأديب التركي علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

٨- أغنية للغيمة البعيدة - شعر - أحمد زرزور.

٩- مغامرات عصفور - قصص - عبدالجواد الحمزاوي.

١٠- شيماء - قصص - حسن القشتول.

١١- مدينة الرحمة - مسرحية - محمود عبدالله محمد.

١٢- بيض من ذهب - مسرحية - لطفي عبدالمعطي مطاوع.

١٣- سجين الهاء والواو - مسرحية - محمد عبدالحافظ ناصف.

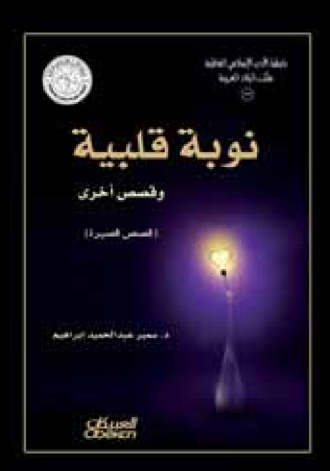
● تطلب من رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤- ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨-٤٦٢٧٤٨٢ فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

web page adress: www.Adabislami.org

E-mail : Ingo@Adabislami.org


نوبة قلبية
وقصص أخرى
(قصص قصيرة)
د. سمير عبد الحميد ابراهيم
العبيكان
Obeikan